زُبْدَةُ
السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

الْمُجْمَلُ الصَّحِيحُ الْمَنْقُولُ
مِنْ تَارِيخِ حَيَاةِ سَيِّدِنَا الرَّسُولِ ﷺ

تأليف

الحافظ العلامة

السيد عبد الله بن صدقة بن زيني دحلان

الحسيني الهاشمي القرشي المكي رحمه الله

غفر الله له ولوالديه وأسكنه فسيح جنانه

تحقيق

الدكتور ربيع بن صادق دحلان

مراجعة

السيد يوسف بن علي الزَّواوي المكي

من علماء الأزهر رحمه الله عام ١٣٥٥ هـ

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

Tous droits de traduction, d'adaptation et de reproduction par tous procédés, réservés pour tous pays pour Dar El-Fikr- Beyrouth-Liban. Toute reproduction ou représentation intégrale ou partielle, par quelque procédé que ce soit, des pages publiées dans le présent ouvrage, faite sans autorisation écrite de l'éditeur, est illicite et constitue une contrefaçon. Seules sont autorisées, d'une part, les reproductions strictement réservées à l'usage privé du copiste et non destinées à une utilisation collective, et d'autre part, les analyses et les courtes citations dans un but d'exemple et d'illustration justifiées par le caractère scientifique ou d'information de l'œuvre dans laquelle elle sont incorporée. Pour plus d'informations s'adresser à l'éditeur dont l'adresse mentionne

جميع الحقوق محفوظة لدار الفكر ش.م.ل. بيروت - لبنان. ولا يُسمح بنسخ أو تصوير أو خزن أو سحب أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال دون الحصول مسبقاً على إذن خطي من الناشر. يستثنى من هذا الإمتناع مهمات الدراسة الخاصة أو إجراء الأبحاث أو قيام لجنة على أن يشار إلى الإستثناء بذلك إلى التعريف وفي حدود القانون المدني لحماية حقوق النشر والتصنيف وتوجه الإستفسارات إلى الناشر على العنوان المذكور

All rights reserved for "Dar El-Fikr S.A.L." Beirut- Lebanon. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior permission in writing of "Dar El-Fikr S.A.L." Beirut- Lebanon. Exceptions are allowed in respect of any fair dealing for the purpose of research or private study, or criticism or review, as permitted under the Copyright Designs and Patents Act. Enquiries concerning reproduction outside those terms should be sent to the publisher at the address shown.

الطبعة الأولى

١٤٢٦ ـ ١٤٢٧ هـ

٢٠٠٦م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb

دار الفكر

حارة حريك ـ شارع عبد النور ـ برقيا: فكير ـ ص.ب: ٧٠٦١/١١

تلفون: ٥٥٩٩٠٠ ـ ٥٥٩٩٠١ ـ ٥٥٩٩٠٢ ـ ٥٥٩٩٠٣

فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤

بيروت لبنان

تقريظ فضيلة العلامة الجليل إمام المعقول والمنقول شيخ علماء الأزهر وفخر المجاهدين الأخيار الشيخ يوسف الدَّجوي ـ رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الَّذي بعث في الأميِّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، والصَّلاة والسَّلام على خاتم النَّبيين وإمام المتقين سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد:**

فقد قرأت فقرات من كتاب **زبدة السِّيرة النَّبويَّة** لمؤلفها الفاضل **السَّيد عبد الله بن صدقة دحلان المكِّي** فوجدته مختصراً مفيداً للمبتدئين من الطلاب وتذكرة نافعة للعاملين الأخيار، وهو كما وصفه مؤلِّفه زبدة المجمل لصحيح المنقول من تاريخ حياة سيِّدنا الرَّسول مراعياً حاجة المسلمين إلى تعليم أبنائهم التَّاريخ الإسلامي لينشؤوا نشأةً إسلاميَّةً صحيحةً بعيدةً عن الأهواء والمذاهب المتطرِّفة وذلك بعد جهادٍ ودرسٍ وزياراتٍ متتابعةٍ إلى الأقطار الإسلاميَّة زهاء ربع قرن.

فكان موفَّقاً في عمله، مخلصاً في تأليفه، محسناً لنفسه، فجزاه الله أفضل ما ويُجزىٰ محسنٌ على عمله.

هذا وقد آن للمسلمين أن يثوبوا إلى ربهم، ويعتصموا بينهم بالعمل بشريعته قبل أن يقضي عليهم طوفان الإلحاد فيندمون ولات ساعة مندم. وعليهم أن يتَّبعوا خطوات سلفهم الصالح وما كانوا عليه من التَّضحية والفداء في سبيل إعلاء كلمة الله. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1].

وأنَّ ما عليه المسلمون من الضعف والوهن إزاء القوات المتضافرة الهدامة لا يزيلها إلا إيمانٌ صادقٌ، وجهادٌ متواصلٌ، في جميع مرافق الحياة ابتغاء لمرضاة الله ورسوله ﷺ.

وفَّق الله المخلصين لما فيه خَيرَي الدنيا والآخرة وهدانا جميعاً سواء السبيل.

يوسف الدجوي

عضو جماعة كبار العلماء بمصر العربية

يوم الخميس: ٢٩/ ذي القعدة/ ١٣٥٥هـ

١١/ فبراير/ ١٩٣٧م

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

وهذا تقريظ محدث المغرب وحافظها مولانا العلامة والبحر الفهامة الأستاذ الجليل الشيخ محمَّد حبيب الله الشَّنقيطي ـ رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر ببِعْثَةِ رسوله سيِّدنا محمَّد ﷺ دينه القويم، وأذلَّ بغزواته وبعوثه المنصورة أعداءه المعاندين حتى أُهلكوا وأُلقوا في القليب ثم أُلقوا في الجحيم، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله المطهَّرين من الرِّجس على تعاقب الأيَّام، وعلى أصحابه المجاهدين لإعلاء كلمة التَّقوى حتى نالوا بذلك الفوز بنعيم دار السَّلام.

أمّا بعد: فقد راجعت مواضيع من **زبدة السِّيرة النَّبويَّة** المسمّاة **بزبدة المجمل لصحيح المنقول من تاريخ حياة سيّدنا الرَّسول** ﷺ وعلى أصحابه صلاة تمنح بها نتائج المعارف والوصول. للأستاذ الفاضل الذائق المحقِّق الكامل **السَّيِّد عبد الله بن صدقة بن زيني دحلان**، فإذا بها زبدة طابق اسمها مسمّاهُ ووافقه. ودلَّ عليه دلالة المطابقة. بجمعه فيها ما تفرَّق في كتب

السِّير مع الاختصار واختياره لمَّا عليه المعول عند أولي السُّنة الأبرار. فهي نافعةٌ جدّاً للمبتدئين. وتذكرةٌ مفيدةٌ للمنتهين، فيتعيَّن على من له التفاتٌ للسِّيرة النَّبويَّة تحصيلها ومطالعتها. ولأهل المدارس تدريسها ومدارستها نفع الله بها كما نفع بأصولها، إنّه سميعٌ قريبٌ. والصَّلاة والسَّلام على من جمعت هذه السِّيرة في شأنه النَّبيِّ الأمين الحبيب سيدنا محمد وآله، وكلِّ ناسج على منواله، قال بلسانه، وقيده ببنانه، خادم السُّنَّة بالحرمين الشَّريفين سابقاً وبالتَّخصُّص للأزهر الشَّريف حالاً في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٦٥ هـ.

محمد حبيب الله الشنقيطي

يوم الخميس: ١٥/ ذي القعدة/ ١٣٥٥ هـ

٢٧/ ينـــــاير/ ١٩٣٦م

هدية مجانية

بسم اللَّه والحمد للَّه والصَّلاة والسَّلام على نبينا رسول اللَّه

سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم

لكم يا ناشئة المسلمين وشبيبتهم نهدي هذا الكتاب

"مختصر زبدة السيرة النبوية"

وهو خير ما يبذل في هذه الأوقات التي جهل فيها كثيرٌ من المسلمين سيرة نبيهم الصَّادق الأمين ﷺ، فكانت تلك الحملة البغيضة ضدّه من أولئك القوم في الغرب ببعض صحفهم التي جسَّدوا فيها حقيقة عدائهم للأنبياء والرُّسل بتعاون شيطانيٍّ أخبرنا عنه ربّنا عزَّ وجل في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢ ـ ١١٣] وكان علينا واجب نصرة نبيّنا بجعل عظمته ﷺ فوق كلِّ عظمةٍ وفضله فوق كلِّ فضلٍ، وتقديره فوق كلِّ تقديرٍ عملاً بقول اللَّه تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

يا لائِمي في هواهُ وَالهَوى قدرٌ ... لو شَقَّك الوَجدُ لم تَعذِل وَلم تَلُم

يا ناشئة المسلمين وشبيبتهم: لا شكَّ إنَّ اللَّه كافِ رسوله ولكنَّه عزَّ وجلَّ جعل لكم الشَّرف في أن تكونوا من الأسباب التي يُكفى بها نبيّه ﷺ فاغتنموا الفرصة أنتم أولى من فلاسفة الغرب الذين أنصفوه أمثال:

١ ـ الفيلسوف الأميركي مايكل هارت الذي قال في كتابه «الخالدون مئة» صفحة ١٣: (محمّد عليه السّلام هو الإنسان الوحيد في التّاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الدّيني والدّنيوي).

٢ ـ الفيلسوف الإنكليزي برنارد شو الذي قال في مؤلفه (محمد): (إنَّ العالم أَحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، وإنّ رجال الدّين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التَّعصُّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورة قاتمة).

٣ ـ الفيلسوف الرُّوسي ليو تولستوي الذي قال: (يكفي محمّداً فخراً أنَّه خلَّص أُمَّةً ذليلةً دمويَّةً من مخالب شياطين العادات الذَّميمة، وفتح في وجوههم طريقَ الرُّقيِّ والتَّقدُّم، إنَّ شريعة محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة).

٤ ـ الفيلسوف النمساوي شبرك يقول: (إنَّ البشريَّة لتفتخر بانتساب رجلٍ كمحمدٍ إليها، إذ أَنَّه رغم أمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرْناً أنْ يأتي بتشريعٍ، سنكون نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمته).

٥ ـ الفيلسوف الكندي زويمر الذي قال: (إنَّ محمَّداً كان ولا شكَّ من أعظم القوَّاد المسلمين الدِّينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنّه كان مصلحاً قديراً، وبليغاً فصيحاً، وجريئاً مغواراً، ومفكِّراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصِّفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحَّة هذا الإدعاء).

٦ ـ الفيلسوف الفرنسي مونته الذي قال: (عُرف محمّد بخلوص النِّيَّة والملاطفة وإنصافه).

٧ ـ الفيلسوف الألماني جوتة الذي قال: (إنَّنا أَهل أوروبة بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمَّد، وسوف لا يتقدَّم عليه أَحَدٌ، ولقد بحثت في التاريخ عن مَثَلٍ أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النَّبيِّ محمّد .. وهكذا وجب أن يظهر الحقّ ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم بكلمة التوحيد).

يا ناشئة المسلمين وشبيبتهم: اعلموا أنَّ العداء بين الحقِّ والباطل لن يقف أبداً إلاَّ بدخول أهل الحقِّ للجنَّة برحمةٍ من اللَّه ودخول أهل الباطل إلى النَّار بأمر اللَّه، وسيظلُّ أعداء الرُّسل في كلِّ وقتٍ يقذفون بحمم كرههم وبغضهم وحقدهم بتعاون شيطانيٍّ أخبرنا عنه اللَّه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]

نسأل اللّه لنبيِّنا الوسيلة والفضيلة، والدَّرجة العالية الرَّفيعة في الجنَّة، وأن يلطف اللّه بنا ويثبِّتنا في الدّنيا والآخرة على دينه وسنَّة نبيِّه سيّدنا محمَّد ﷺ، وأن يحشرنا يوم القيامة في زمرته، كما نسأله تعالى أن يغفر لوالدنا المؤلف ويعفو عنه ويدخله الجنَّة بغير حسابٍ ويسكنه فيها درجة الشُّهداء والصَّالحين والصَّابرين، وأن يغفر للمسلمين جميعاً، ولا يحرمنا الأجر، والسَّلام عليكم ورحمة اللّه.

السَّيِّد صادق بن عبد اللّه دحلان

مكة المكرمة

الأربعاء: ١/ ٢/ ١٤٢٧هـ

الموافق: ١/ ١/ ٢٠٠٦م

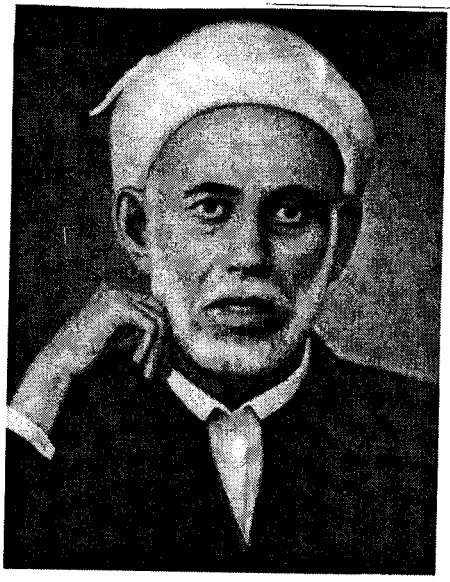

ترجمة المؤلف

الحافظ العلاَّمة الفقيه الرَّحَّالة السَّيِّد عبد الله بن صدقة دحلان الحسني الهاشميّ القرشيّ المكّيّ المدرس بالمسجد الحرام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]

وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله اصْطَفَى كَنَانَة مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيل، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كَنَانَة، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيشٍ بَني هَاشِم، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِم**».

والسَّادة الأشراف آل الدَّحلان بمكَّة المكرمة حسنيُّون هاشميُّون من نسل عبد الله المحض ابن الحسن المثنَّى ابن الحسن السّبط ابن سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب والسَّيِّدة فاطمة الزَّهراء بنت سيّدنا محمّد ﷺ بن

عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وهم من أعرق وأكرم بيوت الحجاز علماً وفضلاً ونسباً، بيتُ علمٍ ودينٍ ومعرفةٍ، عُرِفَ أهله بأخلاقهم الفاضلة من تواضعٍ، ورأفةٍ، ورحمةٍ، وجهادٍ، وكفاحٍ، ووفاءٍ، وسماحةٍ في المعاملة، وحملٍ للمودّة والسُّمعة الطَّيِّبة، تحدَّث عنهم كثيرٌ من العلماء والمؤرّخين وبيّنوا فضلهم وجودهم في خدمة الدِّين والعلم وأهله، جدُّهم شيخ الإسلام تاج العارفين: **السَّيِّد عبد القادر الجيلاني** القائل رحمه الله:

أنا عبدُ القادر طابَ وقتي وَجدِّي المُصْطَفَى شَفيعُ الأَنام

والمؤلف السَّيِّد عبد الله بن صدقة دحلان هو: عبد الله بن صدقة بن زيني بن أحمد بن عثمان بن نعمة الله بن عبد الرَّحمن بن محمّد بن عبد الله بن عثمان بن عطايا بن فارس بن مصطفى بن محمّد بن أحمد بن زيني بن عبد القادر بن عبد الوهّاب بن محمّد بن عبد الرّزاق بن أحمد بن أحمد بن محمّد بن زكريّا بن يحيى بن محمّد بن عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى الجون بن عبد الله المحض ابن الحسن المثّنى ابن الحسن السّبط بن سيّدنا علي بن أبي طالب والسَّيِّدة فاطمة الزَّهراء بنت سيّدنا محمّد رسول الله ﷺ.

ولد السَّيِّد عبد الله بن صدقة بن زيني دحلان رحمه الله، سنة ١٢٩٠ هـ ونشأ وتربَّى في حُجر عمِّه العلاَّمة السَّيِّد أحمد بن زيني دحلان رحمه الله بعد وفاة والده وهو في السّادسة من عمره، فلازمه حتَّى وفاته، وقد أَحاطه عمُّه برعايةٍ خاصَّةٍ، وربَّاه تربيةً إسلاميَّةً بحتةً، وعُيِّن إماماً بالمسجد الحرام، وانفرد بالإمامة والتَّدريس في حلقة باب السَّلام بالحرم، وقد دفعته همَّته العالية ونفسه الأبيَّة إلى التِّرحال لنفع المسلمين فأسَّس الكثير من المدارس في آسيا وأفريقيا، لا يزال بعضها قائم إلى الآن، وتوفِّي السَّيِّد عبد الله رحمه الله في عام ١٣٦٠ هـ وهو يدعو ويجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله، وله من الذُّرِّيَّة العديد من البنين والبنات منهم بمكة المكرمة العلاَّمة الحافظ الفقيه **السَّيِّد أحمد بن عبد الله دحلان** مدرّس العلوم الشَّرعيَّة بالمدرسة الصّولتية بمكة المكرَّمة رحمه الله، ومن ذرِّيَّته السَّيِّد حسن بن أحمد دحلان، والسَّيِّد محمد بن أحمد دحلان رحمهم الله، والسَّيِّد عبد الله بن أحمد دحلان حفظه الله، **والفاضل السَّيِّد صادق بن عبد الله دحلان** حفظه الله الذي عمل منذ عام ١٣٥٣ هـ بمجلس الشّورى أميناً للسِّرِّ ثمَّ عضواً فنائباً لرئيس المجلس حتَّى نهاية عام ١٤١٣هـ، ومن ذرِّيته السَّيِّد الدُّكتور ربيع ابن صادق دحلان، خبير التَّنظيم والإدارة ومدير عام اتّصالات الغربية من عام ١٣٩٨ هـ إلى ١٤٠٩ هـ ووكيل إمارة مكّة المكرِمة من عام ١٤٠٩ هـ إلى ١٤٢٠ هـ، والسَّيِّد المهندس سمير بن صادق دحلان رجل الأعمال المعروف، والسَّيِّد الدكتور عبد الله بن صادق دحلان أمين غرفة جدَّة التِّجاريَّة السّابق وعضو مجلس الشّورى وعضو الهيئة التأسيسية لأكاديمية إدارة الأعمال بجدَّة، والسَّيِّد المهندس عماد بن صادق دحلان المدير

السابق لإدارة التدريس بالغرفة التجارية الصناعية بجدة ورجل الأعمال حالياً، والسَّيِّد الدُّكتور المهندس عمَّار بن صادق دحلان أستاذ التَّصاميم والعمارة الإسلاميّة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، والشَّريفة الدُّكتورة هالة بنت صادق دحلان خبيرة التّأهيل التَّعليمي بوزارة الصحة.

وللسَّيِّد عبد الله دحلان رحمه الله عدَّة مؤلَّفات منها:

* **إرشاد ذي الأحكام إلى واجب القضاة والحكّام.**
* **زبدة السِّيرة النَّبويَّة (في ثلاثة أجزاء).**
* **تحفة الطُّلاب في قواعد الإعراب.**
* **خلاصة التِّرياق من سموم الشِّقاق.**
* **مفتاح القراءة والكتابة ودليله.**
* **إرشاد الغافل إلى ما في الطَّريقة التِّيجانيَّة من الباطل.**
* **فتوى في إبطال طريقة وحدة الوجود.**

المراجع

* الأعلام ١/ ١٢٥.
* معجم المطبوعات ٩٩٠.
* نسب قريش: للإمام عبد الكريم السمعاني.
* جمهرة أنساب العرب: لأبي محمد علي بن حزم.
* اللُّباب في الأنساب: لعزّ الدّين ابن الأثير الجزري.
* معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: لعمر كحالة
* قلائد الجواهر: للعلاَّمة محمد بن يحيى التَّادفي الحنبلي.
* طرفة الأصحاب: تصنيف الأشرف لابن رسول الغسَّاني.
* لبُّ اللُّباب في تحرير الأنساب: للإمام جلال الدّين السُّيوطي

* عمدة الطّالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة المتوفى سنة ٤٦٤ هـ.
* إتحاف فضلاء الزّمن بتاريخ ولاية بني الحسن: لمحمّد بن علي الطّبري.
* منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم: لعلي بن تاج الدين السّنجاري.
* سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب: لأبي الفوز محمد البغدادي الشّهير: بالسويدي.
* القواعد اللّؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسنيّة الهاشميّة: للشّريف محمّد بن علي الحسني.
* نفحة الرّحمان في بعض مناقب السيد أحمد دحلان: لبكري شطا، مؤسسة الكتب الثقافية ـ لبنان.
* سير وتراجم علماء من القرن الرابع عشر للهجرة: لعمر عبد الجبّار، تهامة، الكتاب العربي ١٩٦٧.
* نزهة الفكر ـ تراجم القرن الثاني والثالث عشر: لأحمد بن محمد الهاشمي ـ وزارة الثقافة السورية.

المُقَدّمَةُ
أنباءُ الرُّسل عَلَيْهم الصّلاةُ والسّلامُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

قَصّ اللّه في كِتَابِهِ العَزيز كَثيراً منْ أَنْبَاءِ الرُّسلِ ومَا عَانُوهُ في القيَامِ بِدَعْوَتِهِمْ إلى دِينِ اللَّهِ وَجَعَلَ ذَلِكَ تَثْبِيتاً لِقَلْبِ رَسُولِهِ مُحَمَّد وَمُصْطَفَاهُ وَتَسْلِيَةً عَمَّا يُلاَقِيهِ منْ أَذَى السُّفَهَاء.

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ أيْ أَنْبَاءِ القُرْآن ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي الأَمْرُ الّذي لاَ رَيْبَ فِيهِ وَهُوَ مَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى للمُؤْمِنِينَ.

الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصّلاةُ والسَّلامُ هُمْ صَفْوَةُ العِبَادِ، وَدُعَاةُ الهُدَى وَالرَّشَادِ، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَتَلقِّي وَحْيِهِ وَإبْلاَغِ هَدْيِهِ، فالضَّرُورَةُ إلَى مَعْرِفَتِهِمْ ودِرَاسَةِ سِيرَتِهِمْ أَعْظَمُ مِن ضَرُورَةِ الرُّوحِ للْبَدَنِ وَالنُّورِ للبَصَرِ، إذْ لا سَبِيْلَ إلَى تَمْييزِ الطّيِّبِ مِنَ الخَبِيثِ، والحَسَنِ مِنَ القَبِيحِ، والفَاسِدِ مِنَ الصَّحِيحِ، إلاّ مِنْ جِهَتِهِمْ وعَلَى أَيْديهِمْ

فأخلاقُهُمْ وَأَقْوالُهُمْ وَأَعْمالُهُمْ هِيَ المِيزانُ القِسْط للأَخْلاقِ وَالأَقْوالِ وَالأَعْمالِ، وبِمُتابَعَتِهِمْ يَتَمَيّزُ أَهْلُ الهُدَى مِنْ أَهْلِ الضّلالِ. بَلْ لاَ سَبِيلَ إِلَى رِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى والسّعَادَةِ والفَلاَحِ إلاَّ مِنْ طَرِيقِهِمْ.

وَقَدْ قَصّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ مِنْ سِيرَة رَسُولِهِ سَيّدِنَا مُحَمّدٍ ﷺ مَا قَصّهُ مِنْ سِيَرِ الرُّسُلِ قَبْلَهُ مِنَ العِظَةُ والعِبْرَةُ لِكُلِّ مُسْلِم وَمُسْلِمَة. فَالْعِلْمُ بَسِيرَتِهِ ﷺ مِنْ أَوّلِ الوَاجِبَاتِ الشّرعِيّة وَأَهَمِّ الأَوَامِرِ الدّينِيَّةِ وقَدْ أَوْدَعْتُ كِتَابِي هَذَا «**زُبْدَةَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ**» جُزءاً يَسيراً مِنْ تَارِيخِ حَيَاةِ سَيِّدِنَا الرَّسول لا يَسْتَغْنِي عَنْهُ مَنْ لَهُ أَدْنَى هِمّة فِي مَعْرِفَةِ أَخْلاَقِهِ وَسِيرَتِهِ فِي سَبِيلِ النَّجَاحِ بِأُمَّتِهِ.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ وَيَجْعَلُه فِي حَيِّزِ القَبُولِ. فَذَلِكَ غَايَةُ القَصْدِ وَنِهَايَةِ المأمُولِ.

● بِعْثَةُ الْمُنْقِذِ الأَعْظَمِ صَلّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وسَلّمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرّحِيمِ

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

هِذه الآيَةُ وَجِيزَةُ اللَّفْظِ، جَزِيلَةُ الْمَعْنَى، قَرِيبَةُ الإِشَارَةِ بَعِيدَةُ المَغْزَى، حَاصل مَعْنَاهَا أَنّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ بِأَنَّ إِرْسَالَهُ إِنّمَا كَانَ لأَجْلِ الرّحْمة بِكَافَّةِ العِبَادِ، فَالآيَةُ مُفِيدَةٌ لِحَصْرِ

الرّسَالَةِ الخَاصّةِ فِي الرّحْمَةِ العَامّةِ وَإِيضَاحُ ذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ حَالِ الأُمَمِ فِي العَصْرِ الّذي وُلِدَ فيهِ مُنْقِذهَا الأَعْظَمُ وكَيْفَ كَانَ سَيْرُهُ ﷺ بِهِمْ وَسِيرَته فِيهِمْ. فَقَبْلَ الشُّرُوعِ في تَارِيخِ حَيَاتِهِ أَقْتَطِفُ مِجْمَلَ حَالَةِ العَالَمِ فِي الْقَرْنِ السّادِسِ لِمِيلاَدِ سَيّدنَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَعني القَرْنَ الّذي وُلِدَ فِيهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّد صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلّمَ وبِذَلِكَ يَتّضِحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الآيةِ الكَرِيمَةِ المَعْنَى المُرَادُ وَأَنّهُ ﷺ هُوَ المَبْعُوثُ رَحْمَةً لكَافَّةِ العِبَادِ.

● حَالَةُ العَالَمِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والدِّينِيَّةِ والأَخْلاَقِيَّةِ فِي القَرْنِ السّادِسِ للْمِيلاَدِ:

اتّفَقَتْ كَلِمَةُ ثِقَاتِ المُؤَرِّخِينَ شَرْقِيّينَ وَغَرْبِيّينَ عَلَى أَنَّ القَرْنَ السّادِسَ لِلمِيلاَدِ قَدْ عَمَّ فِيه الظُّلْمُ وَالْفَسَادُ، وَفَشَتْ أَمْرَاضُهمَا الرُّوحِيَّةِ فِي طَبَقَاتِ العِباد. وأنّ السِّيَادَةَ عَلَى العَالَمِ تَنَازعَتْهَا دَوْلَتَان عَظِيمَتَانِ الفُرْس فِي الشّرق وفِي الغَرْبِ الرُّومَان. وأَنّ الحَرْبَ قَدْ اسْتَعَرَتْ بَيْنَهُمَا مدةً طَوِيلَةً أُرِيقَتْ فِيها دِمَاءٌ غَزِيرَةٌ وَبُدِّدِتْ جُزَافاً أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، فَضَعُفَتْ بِذَلِكَ قُوى الرّعَايَا، وتَجَرَّعُوا كُؤُوساً مِنَ المِحَنِ والرَّزَايَا. ثُمَّ إِنّ قُوَى سَلطاتِ الأقوياءِ اتّجَهَتْ إِلَى التَّسَلُّط عَلَى أَمْوَالِ الضُّعَفَاءِ وَأَفْكَارِ العُقَلاَءِ وانحَصَرَت فِي الاخْتِيَالِ عَلَى سَلْبِ ما بَقِيَ في أَيْدِي الأَغْبِيَاءِ، ولِهَذِهِ الأَغْرَاضِ السافِلَةِ بَالَغَ ذَوُو السِّيَادَةِ فِي فَرْضِ الضَّرَائِبِ

والأَتَاوَاتِ، وَاسْتَأْثَرَ بِأَمْرِ التَّشْرِيعِ أَرْبَابُ النُّفُوذ وأَصْحَابِ الطَّبَقَاتِ، فَلَمْ يَجْعَلُوا قَانُوناً لِحِمَايَةِ الضَّعِيفِ مِنْ جَوْرِ المُعْتَدِي، وَسُلْطَانِ القَوِيِّ، والمتظلّم المْتَظَلّم لا يَعْرِفُ مَنْ يَرْفَعُ لِظُلامَتِهِ طَرْفاً، وَالشَّاكِي لا يَجِدُ مَنْ يَفْتَحُ لِشِكَايَتِهِ أُذُناً، فَعَمّتْ بِذَلِكَ الفَاقَةِ، واسْتَوْلَى الخَوْفُ والذلُّ عَلَى قُلُوبِ المُسْتَضْعَفِينَ حَتّى فَقَدُوا اسْتِقْلالَهُمُ الشَّخْصِيِّ وَجَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ تَحْتَ تَسَلُّطِ المُعْتَدِينَ بَلْ ظَنَّ أَفْرَادٌ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا إلاّ لِخِدْمَةِ سَادَاتِهِمْ وتَوْفِيرِ لَذَّاتِهِمْ.

هَكَذَا كَانَتْ حَالَةُ العَالَمِ الاجْتِمَاعِيَّةِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ.

وَمِثْلَهَا بَلْ أَسْوَأُ حَالَتِهِمْ الدّينِيّةِ ضَلّتْ سَبِيلَ الهِدَايَةِ عُقُولُ الرُّؤَسَاءِ وَغَلَبَتْهُمْ عَلَى الحَقِّ الشَّهَوَاتِ وَالأَهْوَاءِ، فَحَرَّفُوا كَلِمَ الكُتُبِ السّمَاوِيةِ. وبَدّلُوا أَحْكَامَهَا حَسْبَ مقَاصِدِهِم الدَّنِيَّةِ، ثُمَّ مَنَعُوا العُقُولِ مِنَ النَّظَرِ فِيهَا والبَحْثِ فِي شَيءٍ مِنْ مَعَانِيهَا وَأنشَؤوا سُحُباً مِنَ الأَضَالِيلِ والخُرَافَاتِ، أفسَدُوا بِهَا العَقَائِد وَالعِبَادَاتِ، فَفَشَتْ أَمْرَاضُ الوَثَنِيَّةِ وَرَاجَتْ سِلَعُ الإبَاحِيَّةِ.

ثُمَّ تَبِعَ فَسَادَ العَقَائِدِ وَالعِبَادَاتِ، فَسادُ الأَخْلاَقِ وَالعَادَاتِ فِي جَمِيعِ الطّبَقَاتِ، فَأنُوفٌ شَامِخَةٌ بِالكِبرِ والاسْتِبْدَادِ، وَرُؤوسٌ خَاضِعَةٌ مِنَ الفَاقَةِ للذُّلِّ والاسْتِعْبَادِ، ثُمَّ بُيُوت مَعْمُورَة بالخَنَا والفُجُورِ، وأُخْرَى بِجَوْرِ الرّبَا وَمُعَاقَرَةِ الخُمُورِ.

هَذه صُورَةٌ مُصَغَّرَةٌ عَنْ حَالَةِ الأُمَمِ فِي ذَلِكَ القَرْنِ تُرِيكَ جَوّ العَالَمِ ظلاماً، قَدْ مُلِىءَ شُرُوراً وإجْرَاماً، لا فَرْقَ بَيْنَ شَرْقٍ وغَرْبٍ، وَلاَ بَيْنَ عُجْمٍ وَعُرْبٍ.

أَفَلا يَكُونُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالإِنْسَانِ الذي خَلَقَهُ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. وبَنَى قِوامَهُ عَلَى أَسَاسِ الإِرْشَادِ وَالتَّعْلِيمِ، أنْ يَبْعَثَ لَهُ فِي ذَلِكَ العَصْرِ مَنْ يُنْقِذُ هالِكِيهِ، ويُرْشِدُ ضَالّيهِ، بَلَى. كَانَ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنْهُ وَفَضْلاً، وَتِلْكَ سُنَّتُهُ سُبْحَانَهُ فِي عِبَادِهِ قسْطاً وعَدْلاً.

● سُنَّةُ اللَّهِ فِي بِعْثَةِ الرُّسُلِ

مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ الّتي لا تَتَحَوَّلُ وَنِظَامِ مَلْكِهِ الذي لاَ يُبَدَّلُ أنّهُ مَتَى ضَلّتْ أمّةٌ سَبِيلَ الهِدَايَةِ، وَاسْتَمَرَأَتْ مَرْعَى الغِوَايَةِ بَعَثَ إلَيْهَا مَنْ يُؤهّلُهُ لِتَلَقّي وَحْيِهِ، وَإبْلاَغِ هَدْيِهِ، يَخْتَارُهُ مِنْ أشْرَفِ قَبَائِلِهَا وَأَطْيَبِ عَنَاصِرِهَا لِئَلا يَقُولُ شُرَفَاؤُهَا الضّالُّونَ مَا كَانَ لَنَا أنْ نَسْمَعَ لِدِعَايَةِ وَضِيعِ الأَصْلِ دَنِيءِ الخُؤُولَةِ، وَلاَ يَنْبَغِي لذَوِي الأَعْرَاقِ الرّفِيعَةِ أنْ يَنْقَادُوا لِحَشَرَاتِ البَشَرِ الوَضِيعَةِ فَحَيْثُ أنّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي بِعْثَةِ الرُّسُلِ مَقَرّنَا وَحَالَةَ الفَسَادِ عَامّةٌ لَجَمِيعِ الأُمَمِ كما قَدَّمْنَا وَجَبَ أنْ نُقَارِنَ بَيْنَ الأُمَمِ لِنَعْلَمَ أَيَّتُهَا أجْدَرُ بأن يَكُونَ رَسُولُ الإِنْسَانِيَّةِ العَامَّةِ منْهَا.

● المُقَارَنَةِ بَيْنَ الأُمَمِ وفَضْلُ العَرَبِ

إنَّ المُطَّلِعَ الخَبِيرَ، وَمَنْ بِصِفَاتِ التَّفَاضُلِ بَصيرٌ، يَجْزِمُ بِأَنَّ الأُمَّةَ العَرَبِيَّةَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ العَصْرِ أَسْعَدَ الأُمَمِ حَظّاً. وأَبْعَدَهُمْ عَنْ أَعَاصِيرِ الفِتَنِ أَرْضاً، لا تَزَالُ فِي نُفُوسِهِمْ بَقِيَّةٌ مِنَ الأَخْلاَقِ السّامِيَة مِثْلُ فَصَاحَةِ اللّسَانِ. وثَبَاتِ الجِنَانِ، والصَّبْرِ والوفَاءِ والكَرَمِ وَالإِبَاءِ. لَمْ تَخْضَعْ رؤوسُهُمْ لِسُلُطَاتِ الاسْتِبْدَادِ. ولَمْ تَنْحَنِ رِقَابُهُمْ لِرِبْقَةِ الرقِّ والاسْتِعْبَادِ. فالعَرَبُ وإنْ تَلَوَّثُوا بالأَمْرَاضِ الرُّوحِيَّة لَمْ تَصِلْ جَرَاثِيمها إلى حَبَّاتِ قُلُوبِهِمْ. ولَمْ تَفْسِدْ ذكِيّ عُقُولِهِمْ. فَهُمْ وَإِنْ سَقَطُوا في حَمْأَةِ الوَثَنِيَّةِ، بِعِبَادَةِ الصَّنِمِ، لَمْ يَبْلُغُوا فِي تَعْظِيمِهِ مَا بَلَغَهُ غَيرُهُمْ مِنَ الأُمَمِ.

كَانَ البَدَوِيّ مِنْهُمْ يَصْنَعُ لِرَسْمِ عِبَادَتِهِ صَنَماً مِنَ الدَّقِيقِ. فإذَا جَاعَ أَكَلَهُ وَأَطْعَمَ مِنْهُ الرَّفِيقَ، وذَلِكَ دَلِيلٌ واضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ للصَّنَمِ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى حُرْمَة، وإلاّ لَمَا كَسَّرَهُ بِيَدِهِ قِطَعاً وَالْتَقَمَهُ.

فَمِنَ الصِّفَاتِ والمَزَايَا يَظْهَرُ فَضْلُ العَرَبِ عَلَى سَائِرِ البَرَايَا وَأَنَّهُمُ الأَجْدَرُ بِأَنْ يَكُونَ رَسُولُ الإِنْسَانِيَّةِ العَامَّة مِنْهُمْ (وكذلك كَانَ) فَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ نَبِيّهُ مُحَمَّداً مِنْهُمْ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ خَاتِمَة الشَّرَائِعِ بِلِسَانِهِمْ. وَعَلَى أَسَالِيبِ لُغَتِهِمْ الرَّاقِيَةِ. وَهِيَ الصَّالِحَةُ بِأَنْ تَكُونَ لُغَةَ التَّفَاهُمِ العَامّةِ بَيْنَ جَمِيعِ المُسْلِمِينَ.

وَمَنْ يَقُلْ إنَّ الأُمَّة العَرَبِيَّةِ كَانَتْ أَسْوَأَ الأُمَمِ حَالاً، فَهُوَ غَبِيٌّ

جَاهلٌ بَالتَّارِيخِ الصَّحِيحِ، أوْ ذَاهِلٌ عَنِ الفَرْقِ بَيْنَ الأسْوأ والسّيِّىءِ والأقْبَحِ والقَبِيحِ. أوْ هُوَ يَتَعَامَى عَنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِي بِعْثَةِ رُسُلِهِ ويَصُمُّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمَاعِ الوَارِدِ فِي الاصْطِفَاء مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ والأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، فَمِنَ الآيَاتِ قَوْلُهُ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

وَمِنَ الأَحَادِيثِ فِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ:

«إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إسمَاعِيل، واصْطَفَى قُرَيْشاً مِن كِنَانَة، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِم، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هاشِمٍ فَأَنَا خيارٌ مِنْ خِيَار»(١).

ومِنْهَا مَا رَوَاهُ الإمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: **«إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيرِ فِرقِهِمْ، ثُمَّ تَخَيَّرَ القَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيرِ قَبِيلَة، ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيرُهُمْ بَيتاً وخَيرُهُمْ نَفساً»**(٢) عَلَيهِ وَآلِهِ أفْضَلُ الصَّلاةِ والسّلامِ.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: (٣٦٠٦)، وأحمد في المسند: (٤/ ١٠٧)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٤٦٨١)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (١٢/ ٦٤)، والهندي في كنز العمال: (٣١٩٨٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٥٧٤٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٩/ ٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٣٥٣٢)، (٣٦٠٧)، وأحمد في المسند: (١/ ٢٠١)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٦٩٥)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٤٨١٧)، والبيهقي في دلائل النبوة: (١/ ١٣٢).

● **تَنْبِيهٌ:**

لا تَزَالُ الأُمَمُ الحَيّةُ مِلِّيِينَ وَغَيْرَ مِلّيين يَحْتَفِلُونَ بالمُلُوكِ والأُمَرَاءِ، وَالعُلَمَاءِ، وَالزُّعَمَاءِ، يَتْلُونَ سِيَرَهُمْ، وَيَقُومُونَ عِنْدَ ذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ، تَنْوِيهاً بِفَضْلِهِمْ، وإِجْلالاً لِقَدْرِهِمْ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ الصّلاَةُ والسَّلاَمُ هُمْ سَادَةُ النّاسِ وَأَئِمَّةِ الأَكْيَاسِ، فَجَدِيرٌ بأَنْ تُقَامَ لَهُمْ الاحْتِفَالاتِ، وَتُتْلَى سِيَرُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقَاتِ.

لِهَذَا نَرَى المُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ البِلادِ يَحْتَفِلونَ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ بِوِلادَةِ خَيْرِ العِبَادِ. وَيَصْرِفُونَ في ذَلِكَ الجَمَّ مِنَ الأَمْوَالِ، وَيَرَى الكَثِيرُ مِنْهُم أَنّ ذَلِكَ مِنْ أَهَمّ السُّنَنِ الشّرْعِيَّةِ، وأَفْضَلِ الأَعْمَالِ الدّينِيّةِ، وَيَرَى آخَرونَ أَنّ تِلْكَ الاحْتِفَالاتِ لَيْسَتْ مِنَ الأَعْمَالِ الحَسَنَة بَلْ مِنَ البَدَعِ الدّينيّة المسْتَهْجَنَةِ وَالذي يَرَاهُ المُحَقِّقُونَ أَنَّ هذِهِ الاحْتِفَالاتِ لَيْسَت مِنَ السُّنن الشّرْعِيَّةِ وَلاَ مِنَ البَدَعِ الدّينيّةِ بَلْ هِيَ مِنَ العَادَاتِ المرضيّةِ وَالسُّنَنِ الجَمَاعِيّةِ، **وَلَهَا فَوَائِدٌ عَظِيمةٌ تَدُلُّ عَلَى إِحْسَاسَاتٍ كَرِيمةٍ مِنْهَا:**

أَوَّلاً: ذِكْرَى وِلاَدَةِ المُنْقِذِ العَظِيمِ وَمَا كَانَ بِبِعْثَتِهِ وَهِجْرَتِهِ مِنْ الخَيْرِ العَمِيمِ.

ثانياً: إِظْهَارُ مَا تُكِنُّهُ القُلُوبُ مِنَ المَحَبَّةِ لَهُ وَالسُّرُورِ بِوِلادَتِهِ وَبِعْثَتِهِ وَهِجْرَتِهِ.

ثَالِثاً: تِلاوَةُ شَيءٍ مِنْ سِيرَتِهِ وسَيْرِهِ فِي سَبِيلِ الفَلاَحِ بِأُمَّتِهِ فَتَثْبُتُ القُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ وتَنْبَعِثُ الهِمَمُ إِلَى نَشْرِ دَعْوَتِهِ.

لِهَذِهِ المَقَاصِدِ السّامِيَةِ يَنْبَغِي أَنْ تُقَامَ الاحْتِفَالاتِ، وَأَنْ تَطْهَرَ مِنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ الشّرعَ أَوْ يُخِلُّ بالآدَابِ مِنْ سَيءِ العَادَاتِ بِحَيْثِ تَكُونُ فِي غَايَةٍ مِنَ الكَمَالِ مُشعِرَةً بِمَا للمُحْتَفَلِ بِهِ فِي القُلُوبِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلاَلِ.

مصادر الكتاب

قد اعتمدت فيما حرّرت على كتاب السِّيرة النَّبويَّة لعمِّي المرحوم السَّيد أحمد بن زيني دحلان.

وعلى سيرة ابن هشام.

وكتاب زاد المعاد.

وتفسيري الإمامين الطَّبري والنَّيسابوري.

ومتني البخاري ومسلم وشروحهما.

وبعض كتب محقِّقي المتأخرين.

فأسأل الله الهداية للصواب إنه كريم جواد وهاب.

عبد الله بن صدقة بن زيني دحلان.

الهاشمي القرشي المكي.

الثلاثاء ٧ صفر الخير سنة ١٣٥٥ من هجرة سيد المرسلين.

الموافق: ٢٨/ إبريل/ ١٩٣٦ من ميلاد سيدنا عيسى ابن مريم.

الجُزء الأوّلُ

من كتاب زبدة السِّيرة النَّبويّة

أو

زبْدَة المُجْمَلِ لصَحِيحِ المَنْقُولِ مِنْ تَارِيخُ حَياةِ الرّسُول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للَّهِ الّذي جلَّتْ قُدْرَتُهُ، وعَمّتِ الكَائِنَاتِ رَحْمَتُهُ، جَادَ عَلَى كُلِّ حَيٍّ بِمَا يَحْتَاجُهُ فِي أَدْوَارِ حَيَاتِهِ، وَلَمْ يُحرِمْ جَلِيلاً وَلاَ حَقِيراً مِنْ فَضْلِ عِنَايَتِهِ، أَحْمَدُهُ حَمْداً يُوَافِي جَزِيلَ نِعَمِهِ، وأَسْتَمْطِرُ وَابِلَ إِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ذِي الخُلُقِ العَظِيمِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ السّالِكِينَ سَبِيلَهُ القَوِيمَ.

أمَّا بَعْدُ:

فَلَيْسَ بِالأَمْرِ السَّهْلِ الكِتَابَةُ فِي تَارِيخِ حَيَاةِ المُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّ حَيَاتَهُ، وإِنْ كَانَتْ لَيْسَتْ بِالطَّوِيلَة، هِيَ ثَلاَثٌ وَسِتُّونَ مِنَ السِّنِينَ، فكُلُّ سَاعَة مِنْهَا تَفُوقُ وَتَفْضُلُ سَنَواتٍ كَثِيرةً مِنْ حَيَاةِ العُظَمَاءِ العَامِلِينَ.

نَعَمْ إِنْ ما حَوَتْهُ كُلُّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ مِنْ حِينِ وِلاَدَتِهِ إِلَى وَفَاتِهِ، جَدِيرٌ بِأَنْ يكُون دُرُوساً يَسِيرُ عَلَى مُقْتَضَاهَا كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، بَلْ لاَ يَلِيقُ أَنْ يَجْهَلَهَا كُلُّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكُون إِنْساناً بِمَعْنَى الكَلِمَة. وَقَدْ عَنَى العُلَمَاءُ بِهِ كُلَّ العِنَايَةِ، فَأَلَّفُوا فِيهِ الكُتُبَ الكَثِيرَةَ مَا بَيْنَ مُخْتَصَرٍ فِي وُرَيْقَاتٍ،

وَمُطوّلٍ يَبْلُغُ المُجَلَّدَاتِ، دَونُوا فِيهَا الكَثِيرَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَافْعَالِهِ، وَحُرُوبِهِ وَمُعَاهَدَاتِهِ، بَلْ لَمْ يَتْرُكُوا شَيْئاً مِنْ أَحْوَالِهِ، حَتّى مَا كَانَ مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ العَادَةِ، أوْ المِزَاح وَالمُبَاسَطَة، فاستِخْرَاجُ الخُلاَصَة مِن تِلْكَ المْجَلَّدَاتِ، وَاستِخلاصُ الزُّبْدَة مِنْ مُخْتَلَفِ الرّوايَات. يَحْتَاجُ إلى عِنَايَةٍ عَظِيمةٍ، وَعَنَاءٍ كَبيرٍ، لا سيَّمَا إذَا كَانَ القَصْدُ تَثْقِيف عُقُولِ النَّاشِئينَ، وَالاقْتِصَارَ عَلَى مَا بِهِ العِظَةُ والعِبْرَةُ لِعَامَّةِ المُسْلِمِينَ، لِهَذَا عَزَمْتُ عَلَى تَحْريرِ كِتَابٍ مُخْتَصَرٍ سَمَّيْتُهُ «**زُبْدَةَ السيرَةَ النَبَويّة أو زُبْدَةَ المَجْمَل لصَحِيحِ المَنْقُول من تَاريخ حَيَاة سَيّدنا الرّسُول**».

فَأسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أنْ يُوَفِّقَنِي لِلصَّوابِ إنَّهُ كَرِيمٌ جَوَادٌ وَهّابٌ.

الفَصلُ الأَوَّلُ

اصطِفَاءُ اللّه لَهُ ﷺ

اصْطِفَاءُ اللَّه لَهُ ﷺ
وَعُلُوُّ نَسَبِهِ مِن جهَة أبَوَيْهِ الكَرِيمَيْنِ

لَمّا تَعَلّقَتْ إرَادَةُ اللَّهِ الأزَليَّةُ، بإيجَادِ سَيّدنَا مُحَمَّدٍ خَيْر البَرِيّةِ، اصْطَفَاهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أشرَفِ الأُمَم وَهِيَ الأُمّة العَرَبِيّة، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي أكْرَم قَبَائِلِهَا، ومِنْ أشْرَفِ بُيُوتِهَا، ذَوِي الأَخْلاَقِ السَّنِيَّة، وَالصِّفَاتِ المَرْضِيَّة، فأَبُوهُ الكَرِيمُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِب بْن هَاشِم بْن عَبْدِ مَنَاف بْن قُصَيّ بْن كلاب وَأُمُّهُ الطَّاهِرَةُ هِيَ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْب بْن عَبْد مَنَاف بْن زُهْرَةَ بْن كلاب، فَكلاب جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ الرابعُ وَجَدُّ آمِنَةَ الثَّالِثُ. هُوَ ابْنُ مُرَّةَ بْن خُزَيْمَةَ بْن مُدْرَكَة بْن إلياس بْن مُضَرَ بْن نِزار بْن مَعَدّ بْنِ عَدْنَانَ. وَنَسَبُ عَدْنَانَ يَتّصِلُ بِسَيِّدِنَا إسْمَاعِيلَ بْن سَيِّدنا إبْراهيم الخَلِيلِ عَلَيْهِمَا وَعَلَى نَبِيّنَا الصَّلاة والسَّلام.

إذَا تَأَمَّل العَاقلُ المُجَرَّدُ عَنِ الهَوَى وَالحَسَدِ، في حَبَّاتِ عَقْد هَذَا النَّسبِ جَزَمَ بِأَنَّ كُلّ حَبَّةٍ مِنْ الحَبَّاتِ دُرَّة ثَمِينَة، وأنّ جَوْهَرَتَهُ وَاسِطَةَ العِقْدِ هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّد المَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ، صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأَصْحَابِهِ الطّيّبين الطّاهِرينَ.

الفَصلُ الثَّانِي

اقْتِرَان أَبَوَيْهِ الكَرِيمَيْنِ

اقْتِرَان أَبَوَيْهِ الكَرِيمَيْنِ
وَحَمْلُهُ صَلّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلّمَ وولادَتُهُ

لَمَّا أرَادَ اللَّهُ إبْرَازَ جَوْهَرَةِ الوُجُودِ، وإظْهَارَ فَخْرِ كُلِّ حَادِثٍ مَوْجُود، يَسَّرَ اقْتِرَانَ عَبْد الله الكَرِيم بِآمِنَة العَفِيفَةِ الطَّاهِرَة، فَأَوْلَمَ جَدُّه عَبْدُ المُطَّلِبِ وَلِيمَةً فَاخِرَةً، وَتَمَّ زِفَافُهما وعُمْرُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دُونَ العِشْرِينَ.

مَكَثَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ الزِّفافِ شُهُوراً مَعَ قَرِينَتِهِ المَصُونَةِ، وَلَمَّا عَلِمَ بانْتِقَالِ جَوْهَرَتِهِ الثَّمِينَة إلَى صَدَفَة آمِنَةَ الأمينة. سَافَرَ إلَى الشَّام، وَمَرَّ فِي عَوْدِهِ بِيَثْرِبَ لِزِيَارَةِ أَخْوَالِهِ الكِرَام، وَفِيهَا مَرِضَ شُهُوراً، وَوَافاهُ رَسُولُ الحِمَامِ. فَلَمّا بَلَغَ آمِنَةَ خَبَرُ وَفَاةِ بَعْلِهَا، حَزِنَتْ حُزْناً عَظِيماً لا سِيَّمَا وَهِيَ فِي ثَالِثِ شَهْرٍ مِنْ حَمْلِهَا،(١) فَاعْتَنَتْ بِجَنِينِهَا العنايةَ التَّامَّةَ، وَلَمَّا مَضتْ لَهَا تسْعَةَ أشْهُرٍ عَلَى القَول الأَشْهَرِ، وَضَعَت النَّبِيَّ الأَطْهَرَ بَكَمَالِ الرَّاحَةِ بِمَكَّةَ المُشَرَّفَةِ، بَلَدِ اللَّهِ المُعَظَّمِ، وَذَلِكَ قَبْلَ فَجْرِ لَيْلَةِ الاثْنَيْنِ، اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ

(١) في تهذيب الكمال: (١/ ٥٢): مات أبوه وهو حملٌ.

رَبِيعِ الأَنْوَرِ[١]، عِشْرِينَ إبريل عَامَ خَمْسِمَائَةٍ وَوَاحِدٍ وسَبْعِينَ مِنْ مِيلادِ سَيِّدنا عيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.

ثُمَّ أرْسَلَتْ إلَى جَدِّهِ مَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَوْلُودِ وَيُعْلِمُهُ. فَأَقْبَلَ مُسْرِعاً وَنَظَرَ إلَيْهِ وَمَسَحَ رَأسَهُ وقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ حَمَلَهُ وضَمَّهُ وَقَصَدَ البَيْتَ الحَرَامَ وَأُمَّهُ. وفِي دَاخِلِهِ حَمَدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ وَسَأَلَهُ تَعَالَى أنْ يَتَوَلَّى بِعِنَايَتِهِ أمْرَهُ، ثُمَّ رَدَّهُ إلَيْهَا لِتَقُومَ بِوَاجِبِ مَوْلودِهَا عَلَيْهَا. وَفِي اليَوْمِ السَّابِعِ مِنْ مِيلادِ النَّبِيِّ الأَمْجَدِ أوْلَمَ جَدُّهُ وَلِيمَةً فَاخِرَةً وَسَمَّاهُ بِمُحَمَّد. عَلَيْهِ وَآلِهِ وأَصْحَابِهِ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

(٢) كذا في المرجع السابق.

الفَصلُ الثَّالِثُ

رَضَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَفَالَتُهُ

رَضَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَفَالَتُهُ

أَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ أَيَّاماً. ثُمَّ ثُوَيْبَةُ الأَسْلَمِيَّةُ وَاتِّبَاعاً لِعَادَةِ أَسْلافِهِ ذَوي الأَنْسَابِ العَلِيّة أَسْلَمَتْهُ لِمَنْ أَسْعَدَهَا بِحَضَانَتِهِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيةِ فَبَقِيَ عِنْدَهَا أَرْبَعَةَ أعوامٍ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى أُمِّهِ فَقَامَتْ بِحَضَانَتِهِ أَتَمَّ قِيامٍ إِلَى أَنْ وَافَاهَا رَائدُ المَنُونِ وَعُمْرُهُ ﷺ سِتُّ سِنينَ، عِنْدَ ذَلِكَ حَضَنَتْهُ جَارِيتُهُ أُمُّ أَيْمَنَ الحَبَشِيَّةُ وَضَمَّهُ جَدُّهُ عَبْدُ المُطَّلبِ إِلَيْهِ، وشَغِفَ بِحُبِّهِ وَحَدَبَ عَلَيْهِ فَكَانَ يَصْحَبُهُ فِي مَجَالِسِهِ مَعَهُ فَيَجْلِسُ ﷺ عَلَى الوَسَائِدِ المُعَدَّةِ لَهُ، وَيُسَرُّ بِذَلِكَ جَدُّهُ وَيَقُولُ لِعُظَمَاءِ قَوْمِهِ: «**إِنَّ لابْني هَذَا لَشَأْناً عَظِيماً**» وَحِينَ حَضَرَتْ جَدَّهُ الوَفَاةُ أَوْصَى بِه أَبَا طَالِبٍ شَقِيقَ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ. وَكَانَ شَهْماً كَرِيماً فَعَنِي بِكَفَالَتِهِ فِي صِغَرِهِ وعَظمَتْ مَحَبَّتُهُ لَهُ فِي كِبَرِهِ ثُمَّ قَامَ بِوَاجِبِ حِمَايَتِهِ حين أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِبِعْثَتِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ مَعَ عُلُوِّ قَدْرِهِ فِي قُرَيْش، قَدْ كَانَ فِي شَظَفٍ مِنَ العَيْشِ، فَتَرَبَّى ﷺ مَعَ أَبْنَاءِ عَمِّهِ فِي تِلكَ الخُشُونَةِ (شَأْنُ كُلِّ الرِّجَالِ) بَيْنَ أَتْرَابٍ مِنْ نَبْتِ الجَاهِلِيَّةِ وَخُلَطَاء أُمِّيِّين حُلَفَاءَ لِلْوَثَنِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِك لَمْ يَعْلَقْ بِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ شَيْءٌ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَأَثَّرْ عَقْلُهُ بِمَا يَسْمَعُهُ أَوْ يَرَاهُ بَلْ كَانَ ﷺ

يَتَكامَلُ بَدَناً وأدَباً وعَقْلاً لَمْ تجْر العَادَةُ بَأَنْ تَتَحَلَّى بِشَيءٍ مِنْ مِثْلِهِ نُفُوسُ الأَيتَامِ لاَ سِيَّمَا مَعَ فَقْرِ القُوّامِ، وَفُقْدَانِ أَهْلِ العَلْمِ وَوَسَائِلِ التعْلِيمِ، لا أُسْتَاذَ يُرْشِدُهُ، وَلاَ كِتَابَ يُنَبِّهُهُ، وَلاَ مَعْهَدَ عِلْمٍ يَقْصُدُهُ، وَلاَ قَرِينَ عَلَى الخَيْرِ يُسَاعِدُهُ، مَا ذَاكَ إلاَّ أَنَّ عَيْنَ العِنَايَةِ تَرْعَاهُ وَيَدَ القُدْرَةِ الإلٰهِيَّةِ تَخْرُقُ لَهُ أَسْوَارَ السُّنَنِ العَادِيّة مِنْ حَالِ صِبَاهُ، فَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاكتَهَلَ كَامِلاً وَالقَوْمُ نَاقِصُونَ شبّ على الهمَّةِ عَلَى الهِمَّةِ وَهُمْ مُنْحَطُّونَ مُوَحِّداً بَيْنَ وَثَنِيِّينَ سِلْماً فِي وَسَطٍ مِنَ المُشَاغِبِينَ، صَحِيحَ الاعْتِقَادِ مَطْبُوعاً عَلَى الخَيْرِ بَيْنَ أُمَّةٍ جَاهِلَةٍ وَعَنْ سَبِيلِ الهُدَى لاَهِيَةٍ عَادِلَةٍ.

الفَصلُ الرَّابِعُ

أَطْوَارُهُ فِي نَشْأَتِهِ

أَطْوَارُهُ فِي نَشْأَتِهِ

حَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى العَمَلَ إِلَى مُجْتَبَاهُ وَبَغَّضَ إليْهِ الكَسَلَ مِنْ حَالِ صِبَاهُ فَكَانَ ﷺ يَخْرُجُ مَعَ أَبْنَاءِ مُرْضِعَتِهِ حَلِيمَةَ لِرَعْيِ الأَغْنَامِ وَعُمْرُهُ فِي الرَّابِعِ مِنَ الأَعْوَامِ، وَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَى كَفَالَةِ أَبِي طَالِبٍ رَعَاهَا لِقَوْمِهِ بِأُجْرَةٍ زَهِيدَةٍ جَعَلَهَا مُسَاعَدَةً لِعَمِّهِ، ثُمَّ إِنَّ نَفْسَهُ العَالِيَةَ لَمْ تَمِلْ إِلَى شَيءٍ من اللَّهْوِ كَمَا هِيَ العَادَةُ فِي الصِّبْيانِ، بَلْ كَانَ بَعِيداً عَنْهُ كُلَّ البُعْدِ غَيْرَ أَنَّ رَفيقاً له حَرَّضَهُ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ عَلَى سَمَاعِ غِنَاءٍ، فِي بُيُوتِ أَحَدِ الأَغْنِيَاءِ، فَلَمَّا وصَلَ ﷺ إِلَى مَحَلِّهِ غَلَبَهُ سُلْطَانُ النَّومِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إلاّ بَعْدَ انْصِرَافِ القَومِ.

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ العُمْرِ، صَحِبَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ فِي السَّفَرِ إِلَى الشَّامِ، فَلَمّا وَصَلا إلى بُصْرَى عَرَفَهُ الرّاهِبُ بُحِيرَا، فأَشَارَ عَلَى عَمِّه بِرَدِّهِ إِلَى وَطَنِهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا عَرَفَهُ مِنْ عَلاَمَاتِ نُبُوَّتِهِ، وَحِينَ بُلُوغِهِ سنَّ الرُّجُولِيَّةِ اشْتَغَلَ بِالتِّجَارَةِ مُنْفَرِداً، ثُمَّ اشْتَرَكَ مَعَهُ السَّائِبُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ، فَكَانَ ﷺ المَثَلُ الأَعْلَى فِي الأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ، حَتى لُقِّبَ «بالصَّادِقِ الأَمِينِ».

ثُمَّ اخْتَارَتْهُ الكَرِيمَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد لِيَقُومَ عَلَى تِجَارَتِهَا فَخَرَجَ بِهَا إِلَى الشَّام وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ غُلاَمُهَا يَخْدمُهُ، وَنِعْمَ ذَاكَ الغُلاَمُ، وَلَمَّا رَجَعَ رَبِحَتْ تِجَارَةُ خَدِيجَةَ رِبْحاً لَمْ تَرَهُ فِي مَاضِيهَا مِنَ الأَعْوَام، ثُمَّ لَمَّا أَخْبَرَهَا غُلامُهَا بِمَا عَلِمَهُ مِنْ أَخْلاَقِهِ وَسِيرَتِهِ. وَبِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ الرَّاهِبُ نَسْطُور مِنْ عَلاَمَاتِ نُبُوَّتِهِ، وأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ لِسَائِرِ العبَاد، عَظُمَتْ بِهِ ثِقَتهَا، وخَطَبَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا، مَعَ تَرَفُّعِها عَنْ قَبُولِ عُظَمَاءِ قَوْمِهَا، فَأَخْبَرَ ﷺ بِذَلِكَ عَمَّهُ، وعَرَضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، فَتَقَدَّمَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى وَلِيّها، فَسُرَّ بِذَلِكَ وَزَوَّجَهُ بِها وقَدْ تَمَّ عَقْدُ الزَّواجِ عَلَى عَشْرَةٍ مِنَ الإِبِلِ. وعُمْرُ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ، وَخَدِيجَةُ فِي سِنّ الأَرْبَعِينَ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سُرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُروراً عَظِيماً، وقَامَتْ هِيَ بِخِدْمَتِهِ، وَجَعَلَتْ أَمْوَالَهَا تَحْتَ إِرَادَاتِهِ، فَكَافَأَهَا اللَّهُ بِجَعْلِ ذُرِّيَّتِهِ الطَّاهِرَةِ، مِنْ ابْنَتِهَا «فَاطِمَةَ الزَّاهرة» وَلَمْ يَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ بِغَيْرِهَا. مُدَّة حَيَاتِهَا، بَلْ كَانَ يَصِلُ بِرُّهُ إِلَى صَدِيقَاتِهَا، حَتّى بَعْدَ وَفَاتِهَا. عَلَيْهِ وَآلِهِ وصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ.

الفَصلُ الخَامِسُ

زُهدُهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيهِ وَسَلَّم فِي المَالِ

زُهْدُهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي المَالِ وَمُجَاهَدَتُهُ فِي سَبِيلِ الوصُولِ إِلَى مَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ مِنَ الآمَالِ

وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سُلْطَتِهِ عَلَى أَمْوَالِ خَدِيجَةَ سَبِيلاً إلى رَفَاهِ العَيْشِ وَالحُصُولِ عَلَى مَا يَتَنَافَسُ فِيهِ قَوْمُهُ مِنَ المَالِ، فَلَمْ يَرُقْ فِي عَيْنِهِ سُلُوكِ تِلْكَ السَّبِيلِ، بَلْ زَهَدَتْ نَفْسُهُ فِي ذَلِكَ كُلِّه، وَحَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الخَلْوَةَ وَالانْفِرَادِ، بُغْيَةَ الوُصُولِ إِلَى مَا تَتَطَلَّبُهُ مِنَ الهِدَايَةِ والرَّشَاد، وَلَمَّا نَمَا فِي قَلْبِهِ حُبُّ الانْقِطَاعِ عَنِ الخَلْقِ وَالرغْبَةِ فِي التَّحَنُّثِ لِمُرَاقَبَةِ الخَالِقِ وَمُنَاجَاتِهِ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ بُغْضِ عِبَادَةِ الأَصْنَام، أَشعَرَ قَرِينَتَهُ خَدِيجَةَ بِذَلِكَ، فَوَافَقَتْهُ ﷺ عَلَى مَا أَرَادَ، وَأَعَدَّتْ لَهُ مَا يَحْتَاجُهُ فِي خِلْوَتِهِ مِنَ الزَّادِ، وَسَاعَدَتْهُ عَلَى القِيَامِ بِمُهِمَّتِهِ، فَجَعَلَ ﷺ رَأْسَ جَبَلِ حِرَاءَ مَقَرّاً لِعِبَادَتِهِ، وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ الفَيْنَةَ بَعْدَ الفَيْنَةِ يَتَحَنَّثُ بِهِ. مُسْتَغْرِقاً فِكْرُهُ فِي مُنَاجَاةِ رَبِّهِ، مُلْتَمِساً السَّبِيلَ لِتَخْلِيصِ قَوْمِهِ، وَالعَالَمِ بِأَسْرِهِ، مِنَ الشَّرِّ الذي تَوَلاَّهُ.

مَكَثَ ﷺ عَلَى ذَلِكَ سَنَواتٍ حَتَّى انْفَتَقَ لَهُ الحِجَابُ وَتَجَلَّى لَهُ النُّورُ القُدْسِيُّ، وَهَبَطَ عَلَيْهِ الوَحْيُ مِنَ المَقَامِ العَلِيِّ، فَنَالَ مَا تَتُوقُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَتَمَنَّى هُوَ، عَلَيْهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلام.

الفَصْلُ السّادِسُ

بَدْءُ نُزُولِ الوَحْيِ

بَدْءُ نُزُولِ الوَحْي

عِنْدَمَا بَلَغَ ﷺ مِنَ العُمْرِ أَرْبَعِينَ، هَبَطَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي خَلْوَتِهِ الأمينُ جِبْرِيلُ، يَحْمِلُ كَلاَمَ الرَّبِّ الجَلِيلِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1] نَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الآيَاتِ، فِي يَوْمٍ سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى أَشْهَرِ الرِّوَايَات، وَلَمّا حَفِظَ ﷺ عَنْ جِبْرِيلَ ما تَلاَهُ، اعْتَرَاهُ مِنَ الخَشْيَةِ مَا اعْتَرَاهُ، فَنَزَلَ مِنَ الجَبَلِ، وَأَخْبَرَ خَدِيجَةَ بِمَا حَصَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «**أَيْ خَدِيجَةُ مَالِي فَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**» أَيْ يَا خَدِيجَةُ أَيُّ شَيءٍ هَذَا الّذي حَصَلَ لِي مِنْ شِدَّةِ الوَحْي وَعَظِيمِ ثِقَلِهِ. فَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَضْعُفَ قِوَايَ عَنْ تَحَمُّلِهِ، فأجَابَتْهُ الطَّاهِرَةُ بِقَوْلِهَا، (كَلاَّ يَابْنَ العَمِّ، أَبْشِر فَوَاللَّهِ لَنْ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وُفُورِ عَقْلِ

(١) سورة الأعلى، الآيات: (١ ـ ٥).

خَدِيجَةَ، وَلَطِيفِ اسْتِنْتَاجِهَا، مِنْ أَنَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى لاَ يَفْعَلُ بِأَهْلِ الخَيْرِ، إلاّ مَا فِيهِ السّعادَةُ وَالخَيْرُ، فَمَن اتَّصَفَ بِصِفَاتِ الكَمَالِ، أُعِينَ عَلَى حَمْلِ الأَثْقَالِ، وَلاَيِكْلُهُ مَوْلاهُ إلَى نَفْسِهِ فِي حِالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، وَمَواقِفُ خَدِيجَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ فِي الثّبَاتِ مَعَهُ وَمُعَاوَنَتِهِ أَجَلُّ مِن أنْ تُحْصَرَ، كَيْفَ لاَ تَكُونَ كَذَلِكَ، وَهِيَ أَوّلُ النّاسِ بِهِ إيماناً، وَاسْبَقَهُمْ تَصْدِيقاً وَإِذْعَاناً، ثُمَّ إجَابَةً لِطَلَبِ **خَدِيجَةَ ذَهَبَ مَعَهَا إلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ**، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالأَدْيَانِ وَأَخْبَرَهُ بِالخَبَرِ. فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الّذي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ بِمَا سَيَلْقَاهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ جَفَاءٍ، وإيذَاءٍ، حَتّى يَضْطَرَّهُ إلَى الخُرُوجِ مِنْ وَطَنِهِ.

فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هِم؟**»[1].

قَالَ: نَعَمْ... وَهَكَذَا حَالُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَآلِهِم وَصَحْبِهِم أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (١/ ٤)، و(٦/ ٢١٥) و(٩/ ٣٨)، وأحمد في المسند: (٦/ ٢٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ٥١) و(٩/ ٦)، وابن حجر في فتح الباري: (١/ ٢٢) و(٨/ ٧١٥)، (١٢/ ٣٥٢)، والسيوطي في الدر المنثور: (٦/ ٣٦٨)، وأبو عوانة في المسند: (١/ ١١١)، وابن كثير في تفسيره: (٨/ ٤٥٨)، والطبري في تفسيره: (٣٠/ ١٦٢).

الفَصْلُ السَّابِع

فَتْرَةُ الوَحْيِ وَشِدَّةِ شَوْقِ الرَّسُولِ

فَتْرَةُ الوَحْيِ وَشِدَّةِ شَوْقِ الرَّسُولِ

قَضَتِ الحِكْمَةُ الإلٰهِيَّةِ بِفَتْرَةِ الوَحْيِ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الآياتِ، فَعَظُمَ شَوْقُ الرَّسُولِ، وَحَزِنَ حُزْناً عَظِيماً، حَتّى هَمَّ بِإِلْقَاءِ نَفْسِهِ مِنْ شَوَاهِقِ الجِبَالِ مَرَّاتٍ، غَيْرَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، كَانَ يَتَمَثَّلُ لَهُ وَيَمْنَعُهُ عَمَّا أَرَادَ، وَيُبَشِّرُهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ الله إِلَى كَافَّةِ العِبَادِ.

وَفِي مُدَّةِ انْقِطَاعِ الوَحْيِ وَحِكْمَتِهِ، اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ العُلَمَاءِ، وَالمَشْهُورُ أَنَّ مُدَّةَ الانْقِطَاعِ كَانَتْ ثَلاَثَ سَنَواتٍ، أَوْ سَنَتَيْنِ وَنِصْفاً، والمُحَقِّقُونَ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَتَجَاوَزْ أَرْبَعِينَ يَوْماً، بَلْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّها خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً.

وأَمَّا الحِكْمَةُ فِي الانْقِطَاعِ وَشِدَّةِ الحُزْنِ فَهِيَ أَنَّهُ ﷺ لَقِيَ مِنْ ثِقَلِ الوَحْيِ وَشِدَّةِ وَقْعِهِ، مَا ارْتَجَفَتْ مِنْهُ بَوَادِرُهُ، فَشَفَقَةً مِنَ اللَّهِ بِهِ، قَطَعَهُ تِلْكَ المُدَّةَ، لِتَسْتَرِيحَ قُواهُ، وَتَسْتَعِدَّ نَفْسُهُ لِتَحَمُّلِ أَعْبَاءِ مَا سَيَتَلَقَّاهُ، غَيْرَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا رَأى مِنَ النُّور مَا رَأَى، وَفَهِمَ عَنْ مَوْلاَهُ مَا فَهِمَ، وَذَاقَ مِنْ حَلاَوَةِ المَعْرِفَةِ مَا ذَاقَ، نَسِيَ كُلَّ تِلْكَ الشِّدَّةِ، وعَظُمَ شَوْقُهُ وَحُزْنُهُ لأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ شِدَّة الحَاجَةِ إِلى تَوَالِي الإرشَادِ، وَدَوامِ الإِمْدَادِ، وَيَرَى أَنَّ فِي الفَتْرَةِ

إِبْطَاءٌ عَمَّا هُوَ شَغِفٌ بِالوُصُولِ إِلَيْهِ، وَلاَ يَرْضَى بِدُونِ مَا وُعِدَ بِهِ مِنَ الحُصُولِ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ حَالَةٌ عَظِيمَةٌ تَعْتَرِي نُفُوسَ خَواصُ ذَوِي الإِخْلاصِ، الذينَ يَسْعَوْنَ لأُمَمِهِمْ فِي الخَلاَصِ وَيَبْذِلُونَ مَجْهُودَاتِهِمْ لإِنْقَاذِ الهَالِكِينَ، وإِرْشَادِ الضَّالِينَ، لِهَذَا سَكَنَ رَوْعُهُ ﷺ وَاطمَأَنَّتْ نَفْسُهُ بِنُزُولِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ، كَامِلَةً مُتَضَمِّنَةً لِمُجْمَلِ مَا سَيَتَوَالَى عَلَيْهِ نُزُولُهُ، ثُمَّ نَزَلَتْ سُورَةُ الضُّحَى، فَكَانَت مُبَشِّرَةً لَهُ بَعْدَ القَسَمِ بِأَنَّ اللَّهَ مَا وَدَّعَهُ وَمَا قَلاَهُ، وأَنَّهُ سَوْفَ يُعْطِيهِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ مَا يَرْضَاهُ، ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ بِنُزُولِ آيَاتِ القُرآنِ أَقْسَاطاً حَسْبَ مُقتَضَيَاتِ الأَحْوَالِ، وَتَمَّ ذَلِكَ فِي نَحْوِ ثَلاثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الأَعْوَامِ، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلامِ.

الفَصلُ الثَّامِن

قُوَّةُ عِزِيمَتِهِ ﷺ وَمُلَخَّصُ دَعوَتِهِ

قُوَّةُ عِزِيمَتِهِ ﷺ وَمُلَخَّصُ دَعْوَتِهِ

نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحِيداً فَرِيداً، لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ مَا يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ رُوحِ العِنَايَةِ الإلٰهِيَّةِ وأَنْوَارِ الإِمْدَادِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَدَعَا النَّاسَ قَاطِبَةً إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالاعْتِقَادِ بِالعَلِيِّ المَجِيدِ، والكُلُّ إِذْ ذَاكَ بَيْنَ وَثَنِيَّةٍ مُفَرَّقَةٍ، وَدَهْرِيَّةٍ وَزَنْدَقَةٍ، نَادَى فِي الوَثَنِيِّين بِنَبْذِ غير المُتَصَرِّفِ فِي الأَكْوَانِ، وَرَدَّ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى حُكْمِ الرَّحِيمِ، أَهَابَ بِالسَّبعيينَ لِيَمُدُّوا يَسَارَهُمْ إِلَى مَا وَرَاء الحِجَابِ، فَيَتَنَوَّروا السِّرَّ الذي قَامَتْ بِهِ كُلُّ الأَسْبَابِ صَاحَ بِذَوِي الزَّعَامَةِ، أَنِ اهْبِطُوا إِلَى صُفُوفِ العَامَّةِ، فالكُلُّ لِفَاطِرِ السَّمواتِ والأَرْضِ عَبِيدٌ، مَالَ عَلى قُرَّاءِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ فَبَكَّتَ المُحَرِّفِينَ لَهَا، والوَاقِفِينَ عِنْدَ أَلْفَاظِهَا، ثُمَّ دَعَا الجَمِيعَ إِلَى فَهْمِهَا، وَالتَّحَقُّقِ بِأَسْرَارِ عِلْمِها، أَلْفَتَ كُلَّ إِنْسَانٍ إِلَى ما أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ المَوَاهِبِ، وَمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ العَقْلِ وَمَيَّزَهُ بِهِ مَنَ الفِكْرِ وَحُرِّيَةِ الإِرَادَةِ، وَأَمَر الجَمِيعَ بِالنَّظَرِ والبَحْثِ فِي حُدُودِهِمَا المَشْرُوعَةِ العَادِلَةِ، لِيَصِلُوا إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ مَعْرِفَةِ خَالِقِهِمْ بِالأَدِلَّةِ القَاطِعَةِ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ قَاطِبَةً إِلَى الاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ المَعَادِ، وبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ خَيْرَ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ العَبْدُ مِنَ الزَّادِ هُوَ الإِخْلاَصُ

لِلَّهِ تَعَالى فِي العِبَادَةِ وَلِلنَّاسِ بَالعَدْلِ والإِرْشَادِ.

قَامَ بِالنُّبُوَّةِ بَيْنَ مَحْجُوبِينَ بِغُرُورِ العِزَّةِ لاَ يَلفِتُونَ لَدَعْوَتِهِ نَظَراً وَلاَ يَفْتَحُونَ لِسَمَاعِ إِرْشَادِهِ أُذُناً، فَقَارعَهُمْ بَالحِجَّةِ وَاسْتَمَالَهم بِالتَّبشِيرِ وَالتَّرْغِيبِ، وَأَزْعجَهُمْ بِالإِنْذَارِ وَالتَّرْهِيبِ، فَكَانَ لَهُمْ كالأبِ الشَّفُوقِ حَكِيماً فِي تَرْبِيَتِهِ، رَؤوفاً فِي شِدَّتِهِ، رَحِيماً فِي سُلْطَتِهِ، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ التّاسِع

سِيَاستُهُ ﷺ فِي دَعوَتِهِ وَأَوَّلُ مَنْ سَارَعَ بِإِجَابَتِهِ

سِيَاستُهُ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ وَأَوَّلُ مَنْ سَارَعَ بِإِجَابَتِهِ

لَمْ يَكُنْ فِي سَيَاسَةِ دَعْوَتِهِ ﷺ شَيْءٌ مِنَ المُدَاهَنَةِ الَّتِي يَكْتَسِبُ بِهَا صَدَاقَةَ الأَقْوِيَاءِ، بَلْ كَانَ شَدِيدَ اللَّهجَةِ فِي مُخَاطَبَتِهِمْ: **«لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ فِي يَدِي اليُمْنَى وَالقَمَرُ فِي يَدِي اليُسْرَى عَلَى أَنْ أَترُكَ شَيئاً مِمَّا جِئتُ بِهِ عَنْ رَبِّي مَا فَعَلْتُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ»**[1]. نَعَمْ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَيْئَتِهِ ﷺ مِنَ الأُبَّهَةِ وَالفَخْفَخَةِ مَا يُفْزِعُ قُلُوبَ الضُّعَفَاءِ أَوْ يُدْهِشَ عُقُولَ البُسَطَاءِ.

وَقَفَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ تُرِيدُ خِطَابَهُ فَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهَا فَقَالَ لَهَا: **«هَوِّنِي عَلَيْكِ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ القَدِيدَ، بِمَكَّةَ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»**[2].

بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّعْوَةَ بِمَنْ يَتَوَسَّمُ فِيهِم الخَيْرَ مِنْ عَشِيرَتِهِ فَكَانَ أولَ النَّاس بِهِ إِيماناً خَدِيجَةُ قَرِينَتُهُ، فَبِنْتَاهِ، وَرَبِيبُهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمَوْلاَهُ زَيْدٌ بْنُ حَارِثَةَ، وَصَدِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ

(١) أخرج بنحوه الطبري في تاريخه: (٢/٣٢٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/٤٦٦) و(٣/٤٨)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٥/٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور: (٦/١١١).

عُثْمَانُ، وَطَلحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَمَّار بْنُ يَاسِر، وَبِلاَلُ بْنُ رَبَاحٍ، وَسَعْدُ بنُ أبِي وَقَّاصٍ، ثُمَّ أَسْلَم الأَرْقَمُ بنُ أَبِي الأَرْقَم، وكَانَتْ لَهُ دَارٌ فِي عَطْفَةِ قُرْبَ مَشْعَرِ الصَّفَا اتُّخِذَتْ نَادِياً وَمَدْرَسَةً لِتَلَقِّي العُلُومِ.

فَدَارُ الأَرْقَم رَضي اللَّهُ عَنْهُ هِيَ أَوَّلُ مَدْرَسَةٍ فِي الإِسْلاَم، وَمِنْ هذِهِ المَدْرَسَةِ تَخَرَّجَ فَطَاحِلَةُ الزُّعَمَاءِ وَأَقْطَابُ القُوَّادِ، وعَواهِلُ السَّاسَةِ وَأَئِمَّةِ العُلَمَاءِ وَالزُّهَّادِ، وَمِنْ هَذِهِ المَدْرَسَةِ انْتَشَرَتْ شَمْسِ الإِسْلاَمِ إِلَى سَائِرِ الأَقْطَارِ، وَلَكِنْ مَعَ الأَسَفِ إِنَّ هَذِهِ المَدْرَسَة قَلَّ أَنْ تَجِدَ مَنْ يَعْرِف مَحَلَّهَا أو يَقُصّ عَلَيْكَ خَبَرَهَا، وَتُعْرَفُ الآنَ بِدَارِ الخَيْزُرَانِ، يَتَعَلَّمُ فِيهَا صِغَارُ الصِّبْيَانِ، يَحْزَنُ لِمَا هِيَ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ فِي قَلْبِهِ وجْدَان، حَبَّذَا لَو يَلْتَفِتُ المُسْلِمُونَ إِلَى تَعْمِيرِهَا عِمَارَةً تَلِيقُ بِشَأْنِهَا وَيَهْدِمُونَ الدُّورَ الَّتِي أَمَامَهَا.

الفَصلُ العَاشِر

جَمْعُهُ بَنِي هَاشِمٍ لِسَمَاعِ دَعْوَتِهِ

جَمْعُهُ بَني هَاشِمٍ لِسَمَاعِ دَعْوَتِهِ ثُمَّ إِنْذَارُهُ قَبَائِلَ العَرَبِ

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﷺ آيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[1] جَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى طَعَامٍ ثُمَّ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: «**إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعاً مَا كَذَبْتُكُمْ وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعاً مَا غَرَرْتُكُمْ وَاللَّهِ الذِي لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً وَاللَّهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيقِظُونَ وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُون وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَداً أَوْ لَنَارٌ أَبَداً. وَاللَّهِ لاَ أَعْلَمُ رَجُلاً جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ**» فَتَكَلَّمَ القَوْمُ بِكَلاَمٍ حَسَنٍ إِلاَّ أَبَا لَهَبٍ، فَرَدَّتْ عَلَيهِ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ بِقَوْلِهَا: واللَّهِ مَا زَالَتْ الأَحْبَارُ تُخْبِرُ بِأَنَّهُ سَيُخْرِجُ اللَّه نَبِيّاً مِنْ صُلْبِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَهُوَ وَاللَّهِ هُوَ.

فَقَال أَبُو لَهَبٍ: هَذَا كلامُ النِّسَاءِ فِي الحِجَالِ، خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَيْكُمُ العَرَبُ فَإِنْ أَسْلَمْتُمُوهُ ذُلِلْتُمْ وَإِنْ مَنَعْتُمُوهُ قُتِلْتُمْ.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعَنَّهُ مَا بَقِينَا، فَلَمْ يَجْسُرْ أَبُو لَهَبٍ عَلَى إِجَابَتِهِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ آيَةَ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾[1].

فَصَعِدَ عَلَى الصَّفَا وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: **«يَا بَنِي فُلانٍ يَا بَنِي فُلانٍ»**. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيلاً بِالوَادِي سَتُغِيرُ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»**. قَالوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقاً. قَالَ ﷺ: **«إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَإِنِّني لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا نَفْعاً وَلاَ مِنَ الآخِرَةِ نَصِيباً إِلاَّ أَنْ تَشْهَدُوا أَنْ لا إِلٰه إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ»**. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبّاً لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ وَانْصَرِفُوا عَنْهُ وَلَكِنَّهُ ﷺ لَمْ يَنْصَرِفْ عَنْهُمْ بَلْ جَدَّ فِي الدَّعْوَةِ مُقْتَصِراً فِيهَا عَلَى الإِقْرَارِ للَّهِ بِالوَحْدَانِيَّةِ، وإِفْرَادِهِ بَالعِبَادَةِ وَالعُبُودِيَّة، وَعَلَى الإِذْعَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِيَوْمِ المعَادِ وَبِمُجَازَاةِ المُحْسِنِ بَإِحْسَانِهِ وَالمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ، وَبِأَنَّ هَذِهِ الأَصْنَامَ أَحْجَارٌ لا نَفْعَ مِنْهَا وَلاَ إِضْرَارَ، فَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ آلِهَتِهِمْ بِالتَّحْقِيرِ ثَارَتْ فِي رُؤوسِهِمُ حَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّة، وَسَفَهُوا عَلَيْهِ وآذَوْهُ بِكُلِّ أَذِيَّةٍ[2] فَقَابَلَ سَفَهَهُمْ بِالحِلْمِ، وَإِيذَاءَهُمْ بَالصَّبْرِ حَتَّى أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

---

(١) سورة الحجر، الآية: (٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (١/٣٠٧).

الفَصلُ الحَادِي عَشَر

القُرآن الكَرِيم هُوَ مُعجِزَتُهُ البَاقِيَةُ

القُرْآن الكَرِيم هُوَ مُعْجِزَتُهُ البَاقِيَةُ الَّتِي تَحَدّى ﷺ بِهَا العَالَمِينَ

لَمْ يَعْتَمِد ﷺ فِي الإِقْنَاعِ بِنُبُوَّتِهِ وَإِثْبَاتِ رِسَالَتِهِ عَلَى غَيْرِ القُرآنِ الكَرِيمِ مَعَ وُقُوعِ الشَّيءِ الكَثِيرِ مِنْ خَوارِقِ العَادَات عَلَى يَدَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقَاتِ حَسْبَ الأَحْوالِ وَالمُقْتَضَيَاتِ، مِثْلُ إِشْبَاعِ الجَمِّ الغَفِيرِ بِالطَّعامِ اليَسيرِ، وَإِرْوَاءِ الجَيْشِ الكَبِيرِ بِمَاءٍ يَخْرجُ مِنْ بَينِ أَصَابِعِهِ كالغَدِيرِ، ومِثْلُ رَمْيِهِ بِقَبْضَةٍ مِنْ تُرَابٍ فِي وُجُوه المُحَارِبِينَ لَهُ وَإِصَابَةِ عَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بقِسْطٌ مِنْهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يُحْصَى، غَيْرَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَتَّحَدَّ بِشَيءٍ مِنْ ذَلِكَ، لأَنَّ التَّحَدِّي بِمِثْلِ هَذِهِ الخَوارِقِ وَإِنْ كَانَ مُفِيداً فِي العُصُورِ السَّابِقَةِ، فَهُوَ مُلاَئِم لحَالَةِ الأُمَمِ وَقْتَ بِعْثَتِهِ صَلّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم، إِذْ أَنَّ المُجْتَمَعِ البَشَرِيَّ فِي عَصْرِهِ ﷺ قَدْ بَلَغَ سِنَّ رُشْدِهِ، وَأَوْصَلَتْهُ الحَوادِثُ الَّتي مَرَّتْ بِهِ فِي أَطْوَارِ حَيَاتِهِ حَدَّ أَشُدِّهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ ﷺ اعْتِمَادَهُ فِي التَّحَدِّي عَلَى الكِتَابِ الذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، كِتَابٍ وَاضِح العِبَارَةِ، لَطِيف الإِشَارَةِ، حَوَى مِنْ أَخْبَارِ الأُمَمِ المَاضِية مَا فِيه العِبْرَةُ للأَجْيَالِ الحَاضِرَةِ وَالمُسْتَقْبَلَةِ،

قَصَّ مَا صَحَّ مِنْ سِيَرِ الأَنْبِيَاءِ وَسِيَرِهِمْ، وَبَرَّأَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا رَمَتْهُمْ بِهِ أُمَمُهُمْ، آخَذَ رُؤَسَاءِ المِلَلِ عَلَى مَا أَفْسَدُوهُ مِنَ العَقَائِدِ وَمَا حَرَّفُوهُ مِنْ كَلِمِ الأَحْكَامِ، ثُمَّ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ مَا تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مَصَالِحهمْ، وَيَعْظُمُ بِهِ نَفْعُهُمْ، وَأَوْضَحَ مِنَ الحِكَمِ وَالمَوَاعِظِ وَالآدَابِ مَا تَخْشَعُ لَهُ قُلُوب ذَوِي الأَلْبَابِ، جَاءَ بِهَذَا الكِتَابِ فَدَعَا النَّاسَ إِلَى فَهْمِهِ وَإِلَى العَمَلِ بِمَا حَوَاهُ. وَقَالَ: إِنَّهُ مُنَزَّلٌ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ عَلاَمَةَ صِدْقِهِ فِي صِحَّةِ دَعْوَاهُ عَجْزُ البَشَرِ قَاطِبَة عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ فِي بَلاَغَةِ لَفْظِهِ وَجَزَالَةِ مَعْنَاه.

وَقَعَ مِنْهُ هَذَا التَّحَدِّي فِي عَصْرٍ اتَّفَقَتِ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّهُ أَرْقَى العُصُورِ عِنْدَ العَرَبِ، امتَازَ بِوَفْرَةِ عَدَدِ رِجَالِ البَلاَغَةِ وَفُرْسَانِ الخَطَابَةِ وَعَلَى أَنَّهُ مَعَ تَفَانِي قَوْمِهِ فِي المُفَاخَرَةِ بِذَلِكَ وَحِرْصِهِمْ العَظِيمِ عَلَى تَكْذِيبِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ، وَالتِمَاسِهِمْ قَرِيبَ الوَسَائِلِ وَبَعِيدَها لإِبْطَالِ دَعْوَاهُ، وَعَلَى أَنَّهُ مَعَ اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا العُلَمَاءِ وَالْبُلغَاءِ لِيَأْتُوا بِشَيءٍ مِمَّا تَحَدَّاهُمْ بِهِ لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ رَضُوا بِذُلِّ الغَلَبَةِ وَالهَوَانِ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ الإِتْيَانَ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَةِ إِنْسَانٍ وَمَا زَالَتْ هَذِهِ المُعْجَزَةُ لِلقُرْآنِ بَاقِيَةً لِنَبِيِّنا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ الثَّانِي عَشَر

جَرَاءَةُ قُرَيشٍ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ

وَإِسلاَمُ عَمِّه حَمزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ

جَرَاءَةُ قُرَيْشٍ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِسْلاَمُ عَمِّه حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمَّا عَجَزت قُرَيْشٌ عَنْ مُعَارَضَةِ القُرآنِ وَالإِتْيَانِ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِهِ عَدَلُوا إِلَى الإِيذَاءِ وَسَلَّطُوا عَلَيْهِ السُّفَهَاءَ.

جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً عَلَى الصَّفَا وَرَآه أَبُو جَهْلٍ، فَدَنَا منْهُ وَشَتَمَهُ وَأَلْقَى عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ مُبَالَغَةً فِي أَذَاهُ، فَلَمْ يَلْتِفِتْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْصَرَفَ عَنْهُ أَبُو جَهْلٍ إِلَى نَادِي قُرَيْشٍ بِالمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ ﷺ إِلَى دَارِ الأَرْقَمِ، وَقَدْ شَاهَدَتْ ذَلِكَ كُلُّهُ جَارِيَةٌ، فَمَرَّ بَعْدَ بُرْهَةٍ حَمْزَةُ يَتَبَخْتَرُ فِي مِشْيَتِهِ، فَقَالَت الجَارِيَةُ: لَو عَلِمَ أَبُو عَمَارَة مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ بِابنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ لاقْتَصَدَ فِي مِشْيَتِهِ؟ فَقَالَ لَهَا حَمْزَةُ: وَأَيُّ شَيءٍ فَعَلَ بِهِ أَبُو جَهْلٍ؟.

فَأَخْبَرَتْهُ الخَبَرَ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ الأَمْرُ، وَحَمَلَ سِلاَحَهُ وَقَصَدَ أبا جَهْلٍ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَوَقَفَ عَلَى رأسِهِ وضَرَبَهُ بِقَوْسِهِ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُم: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ أَتُؤذُونَ مُحَمَّداً وَأَنَا عَلَى دِينِهِ؟ أَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَمَنْ مِنْكُمْ مَانِعِي عَنْ ذَلِكَ أَوْ يَجْرُؤُ بَعْدَ اليَومِ عَلَى أَذَاهُ؟ فَقَامَ القَومُ إِلَيْهِ

يُرِيدُونَ قِتَالَهُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو جَهلٍ: دَعُوا أبا عِمَارَةَ فَقَد أَسْمَعْتُ ابنَ أخيهِ مَا يَكْرَهُ، فَتَرَكَهُمْ حمزةُ وَذَهَبَ إِلَى دَارِ الأَرْقَمِ وَأَخْبَرَ النَبِيّ بِمَا حَصَلَ وَتَمَّ، وَنَطَقَ أَمَامَهُ بِكَلِمَتَي الشَّهَادَة فَكَانَ لَهُ بِهَا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ، وَفِي ذَلِكَ الوَقْتِ طَلَبَ حَمْزَةُ مِنَ النَّبِي أَنْ يَجْهَرَ بِدَعْوَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَهُوَ المُتَكَفِّلُ بِحِمَايَتِهِ، فَفَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بإِسْلامِ عَمِّه حَمْزَةَ فَرَحاً عَظِيماً، وَقَوِيَتْ عَزَائِمُ المُسْلِمِينَ بِمَا سَمِعُوهُ مِنْ تَحْرِيضِ حَمْزَةَ عَلَى الجَهْرِ بِالعِبَادَةِ فَنَشِطُوا لِمُسَانَدَةِ النَّبِي فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ. وَكَانَ إِسْلامُهُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ بِعْثَتِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ الثَّالِث عَشَر

قُوَّةُ عَزِيمَة أَبِي طَالِبٍ فِي الدِّفَاعِ عَن النَّبِي ﷺ

قُوَّةُ عَزِيمَة أَبِي طَالِبٍ فِي الدِّفَاعِ عَن النَّبِي ﷺ ومُحَاوَلَةُ قُرَيشٍ إِرْضَاء النَّبِي بِالمَالِ أو الرِّئَاسَةِ عَلَيْهِمْ

لَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ رَضِي اللَّهُ عنهُ وَنَشَطَ المُسْلِمونَ فِي الدعوةِ، قَالَتْ قُرَيْشٌ: سَيَكُونُ لِمُحَمَّدٍ شَأنٌ عَظِيمٌ إِنْ نَحْنُ تَرَكْنَاهُ يَبُثُّ دَعْوَتَهُ فَجَاؤُوا إِلَى أَبِي طَالِبٍ وَحَاوَلُوا إِقْنَاعِهِ بِتَسْلِيمِ النَّبِيِّ إِلَيْهِمْ لِيَقْتُلُوهُ وَيُعْطُونَهُ مَن شَاءَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ، فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: أَأُعْطِيكُمْ ابْني تَقْتُلُونَهُ وَآخُذُ ابْنَكُمْ أُرَبِّيه؟ وَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتُمُونِي، فَانْصَرَفُوا مِن عِنْدِهِ خَائِبِينَ ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَقَالُوا: إِنَّكَ مِنَّا فِي المَحَلِّ الّذي تَعْلَمْ. وَإِنَّ ابنَ أَخِيكَ بِمَا جَاءَ بِهِ فَرَّقَ كَلِمَتَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلامَنَا، وَعَابَ أَصْنَامَنَا، وَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا أَمْراً نَرَى فِيهِ الخَيْرَ لَكَ وَلَنَا، انْظُرْ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا فَإِنْ كَانَ بِهِ مَرَضٌ عَالَجْنَاهُ بِكُلِّ مَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بِهِ حَاجَة لِلْمَالَ جَمَعْنَا لَهُ المَالَ، وَإِنْ كَانَ بِهِ حُبٌّ لِلرِّئَاسَةِ رَأَسْنَاهُ عَلَيْنَا وَمَلَّكْنَاهُ أَمْرَنَا، فَأَخْبَرَ أَبُو طَالِبِ النَّبِيّ بِمَا جَاؤُوا لَهُ وَقَالَ لَهُ: يا ابْنَ أَخِي أَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ وَلا تُحَمِّلْنِي مِنَ الأَمْرِ مَا لا أُطِيقُ. فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ بِقَوْلِهِ:

«وَاللَّهِ يَا عَمَّاهُ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي والقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ شَيْئاً مِمَّا جِئْتُ بِهِ عن رَبِّي مَا فَعَلْتُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهلَكَ دُونَهُ»[1]، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو طَالِبٍ جَوَابَهُ لاطَفَهُ كُلَّ المُلاَطَفَةِ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ يَا ابْنَ أَخِي مَا أَحْبَبْتَ واذْهَبْ فِي دَعْوَتِكَ كَيْفَ شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لا أُسَلِّمُكَ لِسُوءٍ أَبَداً.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه: (٢/ ٣٢٦).

الفَصلُ الرَّابِعُ عَشَر

الهِجرَةِ الأُولَى إلَى الحَبَشَةِ وَأَسمَاءُ المُهَاجِرِينَ

الهِجْرَةِ الأُولَى إِلَى الحَبَشَةِ
وَأَسْمَاءُ المُهَاجِرِينَ

عَلِمَ المُشْرِكُونَ بِمَا جَرَى بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فَتَحَقَّقَ لَدَيْهِمْ أَنَّ الرَّسُولَ لا يَكِفُّ عَنْ دَعْوَتِهِ، وأَنَّ عَمَّهُ لا يَأْلُو جَهْداً فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ وحِفْظِ كَرَامَتِهِ، فَصَبُّوا أَنْوَاعَ الأَذَى عَلَى مُسْتَضْعَفِي المُسْلِمِينَ، عِنْدَ ذَلِكَ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالهِجْرَةِ إِلى الحَبَشَةِ لِمَنْ أَرَادَ، فَهَاجَرَ إِلَيْهَا فِي الهِجْرَةِ الأُولَى اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً وَخَمْسُ نِسْوَةٍ وَهَذِهِ أَسمَاؤُهُمْ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الأُمَوِيُّ، أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، أَبُو سَلَمَةَ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيُّ، عَامِرُ بْنُ رَبِيعَ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْف، الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ، عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، أَبُو سَبْرَةَ بْنُ رَهْمٍ العَامِرِيُّ، حَاطِبُ بنُ عَمْرٍو العَامِرِيُّ، سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ زَوْجُ عُثْمَانَ، وَمَعَهُمَا أُمُّ أَيْمَنَ حَاضِنَةُ رَسُولِ اللَّهِ، سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ زَوْجُ أَبِي حُذَيْفَةَ، أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أُمَيَّةَ زَوْجُ أَبِي سَلَمَةَ، لَيْلَى بِنْتُ

أَبِي خَيْثَمَةَ زَوْجُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، خَرَجَ هؤُلاءِ الأَمْجَادُ مِنْ مَكَّةَ أَوَّلَ شَهرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ البِعْثَةِ سِرّاً. فَوَفَّقَ اللَّهُ لَهُمْ سَاعَةَ وُصُولِهِمْ سَاحِلَ البَحْرِ سَفِينَةً فَحَمَلَتْهُمْ إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ، فَأَكْرَمَهُمْ النَّجَاشِيُّ غَايَةَ الإِكْرَامِ، وَلَكِنْ لَمْ يَطُلْ مَقَامُهُمْ بِهَا لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِلُغَةِ تِلْكَ البِلادِ، وَلَمَّا بَلَغَهُمْ أَنَّ قُرَيْشاً قَد اتَّفَقَتْ مَعَ النَّبِيِّ وَكَفَّتْ أَذَاهَا عَنْ أَصْحَابِهِ، عَادُوا إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ لَمَّا دَنُوا مِنْهَا عَلِمُوا أَنَّ قُرَيْشاً قَد ازْدَادَ عُتُوّهَا وبَغْيهَا، فَلَمْ يَجْسُر أَكْثَرُهُمْ عَلَى الدُّخُولِ إِلاَّ فِي جَوَارِ بَعْضِ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ.

مَسْأَلَةُ الغَرَانِيقِ

وَهَهُنَا يُحْسِنُ أَنْ نُنَبِّهَ عَلَى المَسْأَلَةِ الَّتِي وَلِي بِنَقْلِهَا أَهْلُ السِّيَرِ تَبَعاً لِبَعْضِ المُفَسِّرِينَ والمُحَدِّثِينَ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ فِيمَا تَسْتَلْزِمُهُ تِلْكَ الرِّوَايَةِ مِنَ المُنَافَاةِ لِعِصْمَتِهِ ﷺ مَعَ أَنَّهَا أَوَّلُ وَاجِبٍ للرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ. إِذَنْ فَهِيَ فِرْيَةٌ لا تَصِحُّ بِحَالٍ من الأَحْوَالِ.

وَحَاصِلُ مَا يَصِحُّ نَقْلُهُ هُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ يَوْماً فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ سُورَةَ النَّجْمِ جَهْراً بِحُضُورِ جَمَاعَاتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ. وأَنَّهُ لَمَّا أَتَمَّ السُّورة سَجَدَ فَسَجَدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ مِنَ المُسْلِمِينَ وَتَبِعَهُمْ المُشْرِكُونَ.

ثُمَّ لَمَّا انْصَرَفَ المُشْرِكُونَ لامَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَانْتَحَلوا لَهُمْ عُذْراً وَقَالُوا: إنَّ مُحَمَّداً قَدْ أَثْنَى عَلَى آلِهَتِنَا وَقَرَأَ بَعْدَ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[1] (تِلْكَ الغَرَانِيقِ العُلا وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجى) قَالُوا: وَلِهَذَا سَجَدْنَا مَعَهُ ثُمَّ شَاعَتْ تِلْكَ الفِرْيَةُ حَتَّى نَقَلَهَا مِنَ المُسْلِمِينَ مَنْ لَمْ يَحْجُرِ القِرَاءَةَ ظانّاً صِدْقَ الخَبَر فَتَنَاقَلَهُ المُحَدِّثُونَ وَالمُفَسِّرُونَ عَنْهُمْ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ، فَالعَارِفُ بِأَسَالِيبِ القُرآنِ العَظِيمِ يَجْزِمُ بِأَنَّ هَذِهِ الأَلْفَاظُ الرَّكِيكَةِ لَيْسَتْ مِنْ كَلامِ الرَّسُولِ فَضْلاً عَنْ أن تَكُونَ مِنْ أَلْفاظِ القُرْآنِ الكَرِيم، وَقَدْ تَكَلَّفَ العُلَمَاءُ عَلَى فَرْضِ صِحَّةِ الرِّوَايَةِ فِي الجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ بِمَا لَيْسَ تَحْتَهُ طَائِلٌ فَلا يُشْغِلْ فِكْرَهُ بِذَلِكَ عَاقِلٌ.

(١) سورة النجم، الآيات: (١٩، ٢٠).

الفَصلُ الخَامِسُ عَشَر

إِسلاَمُ عُمَرَ رِضَيَ اللّهُ عَنْهُ وَطَوافُ المُسلِمينَ بِالبَيتِ جِهَاراً

إِسْلاَمُ عُمَرَ رِضَيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَطَوافُ المُسْلِمينَ بِالبَيتِ جِهَاراً

لَمَّا رَأَى المُشْرِكُونَ نَجَاحَ الرَّسُولِ فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ وَعَدَمَ مُبَالاَتِهِ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ أَذَى سُفَهَائِهِمْ، اجْتَمَعَ صَنَادِيدُهُمْ وَتَذَاكَرُوا فِي اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ شَتَمَ أَصْنَامَكُمْ وَسَفَّهَ أَحْلاَمَكُمْ فَمَنْ يَقُمْ مِنْكُمْ بِاغْتِيَالِهِ ضَمِنْتُ لَهُ مَائَةً مِنَ الإِبِلِ أَوْ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ مِنَ الفِضَّةِ. وَكَانَ عُمَرُ مِمَّنْ حَضَرَ ذَلِكَ الاجْتِمَاعَ فَأَخَذَ عَلَى عَاتِقِهِ القِيَامَ بالاغْتِيَالِ، بُغْيَةَ رَبْحِ المَالِ، وَلَكِنَّ العِنَايَةَ الرَّبَّانِيَّةَ سَاقَتْهُ إِلَى بَيْتِ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ فَدَخَلَ دَارَهَا وَعَنَّفَهَا عَلَى مَا بَلَغَهُ مِنْ إِسْلاَمِهَا مَعَ زَوْجِهَا سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ثُمَّ نَظَرَ فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ فَإِذَا صَحِيفَةٌ تَنَاوَلَهَا وَتَلا ما فِيهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾[1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾[2] فَلَمَّا تَأَمَّلَ مَعْنَاهَا نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، ثُمَّ قَصَدَ دَارَ الأَرْقَمِ، وَطَلَبَ مُقَابَلَةَ

(١) سورة طه، الآية: (١ ـ ٢).
(٢) سورة طه، الآية: (١٦).

النَّبِيِّ الأَكْرَمِ، وَلَمَّا مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَذَبَهُ ﷺ مِنْ ثَوْبِهِ حَتى جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: **«أَلَمْ يَأْنِ لَكَ يَا عُمَرُ أَنْ تَشْهدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ أَلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ»**[1].

فَنَطَقَ بِهَا وَسُرَّ النَّبِيُّ بِإِسْلاَمِهِ وَالمُسْلِمُونَ سُرُوراً عَظِيماً، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ البِعْثَةِ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ طَلَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَطُوفَ مَعَ أَصْحَابِهِ بِالْبَيْتِ الحَرَامِ جِهَاراً، فَأَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ صَفَّيْنِ فِي أَحَدِهِمَا حَمْزَةُ وَفِي الآخرُ عُمَرُ. فَطَافُوا بِالبَيْتِ جِهَاراً لَهُمْ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ فَلَمْ يَجْسُر عَلَى مُقَاوَمَتِهِمْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ مَعَ كَوْنِ مَجْمُوعِ عَدَدِهِمْ وَقْتَ الطَّوَافِ أَرْبَعِينَ.

وَمِنْ هُنَا وهِمَ بَعْضُ المُؤَرِّخِينَ فَذَكَرَ أَنَّ بِإِسْلاَمَ عُمَرَ كَمُلَ عَدَدُ المُسْلِمِينَ أَرْبَعِينَ، ولَكِن الوَاقِعُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَمَا سَنُوَضِّحُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الفَصْلِ بَعْدَ هَذَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالطَّوَافُ بِالبَيْتِ جِهَاراً أَوَّلُ مَنَاقِبِ سَيِّدِنَا عُمَرَ الَّتي تَجِلُّ عَنِ الحَصْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

---

(١) انظر: جمع المسانيد: (٢/٤٥٦).

الفَصلُ السَّادِس عَشَر

عَدَدُ مَنْ أَسلَمَ مِنْ أَوَّلِ البِعثَةِ إِلَى الطَّوَافِ بِالْبَيتِ جَهَاراً وَيُسَمَّونَ السَّابِقِينَ وَالسَّابِقَاتِ

عَدَدُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَوَّلِ البِعْثَةِ إِلَى الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ جِهَاراً وَيُسَمَّوْنَ السَّابِقِينَ وَالسَّابِقَاتِ

إِنَّ ضَبْطَ عَدَدِ المُسْلِمِينَ مِنَ اليَوْمِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ نَبِيُّنَا إِلَى أَنْ أَسْلَمَ عُمَرُ ثُمَّ طَافُوا بِالبَيْتِ جِهَاراً بَعْدَ ذَلِكَ، عَسِرٌ جِدّاً لأَنَّ العَرَبَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بَالتَّارِيخِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ، وَلَكِنَّنِي أَذْكُرُ مَنْ ظَفِرْتُ بِأَسْمَائِهِمْ مُنْهُمْ بَعْدَ البَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ فِي أَبْوابِ كُتُبِ التَّارِيخِ المُطَوَّلَةِ، مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ الأَسْبَقِيَّةِ: (١) خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيَّةُ (٢) زَيْنَبُ (٣) رُقَيَّةِ (٤) أُمُّ كُلْثُوم (٥) فَاطِمَةُ بَنَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٦) أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ الحَبَشِيَّةُ حَاضِنَتُهُ ﷺ (٧) عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبِ الهَاشِمِيُّ (٨) أُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَد (٩) جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبِ (١٠) أُمُّ هَانىء بِنْتُ أَبِي طَالِب (١١) أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ زَوْجُ جَعْفَرَ (١٢) زَيْدُ بْن حَارِثَةَ الكَلْبِي (١٣) أُمُّ دَرْمَانَ زَوْجُهُ (١٤) حَمْزَةَ بْن عَبْد المُطَّلِب الهَاشِمِيُّ (١٥) صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْد المُطَلِب وَهِيَ أُمُّ الزُّبَيْر (١٦) أَرْوَى بِنْتُ عَبْد المُطَّلِب أُمُّ القُصَيّ (١٧) عُبَيْدَةُ بْنُ الحَارِثُ بن عَبْدِ

المُطَّلِبِ (١٨) الطُّفَيْلُ أخُوهُ (١٩) الحُصَيْنُ أخُوهُ أيضاً (٢٠) أَبو كَبْشَةَ الفَارِسيّ مَولاهُ ﷺ (٢١) أنِيسَةُ الحَبَشِي مَوْلاهُ ﷺ (٢٢) هِنْدُ بِنْتُ أَبِي هَالَةَ (رجل) (٢٣) هِنْدُ بِنْتُهَا مِنْ عَتِيق (٢٤) وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلَ بنُ أسَد فَهُوَ ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ (٢٥) أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي قُحَافَةَ التَّيمي (٢٦) زَوجُهُ أُمُّ رُومَان (٢٧) أُمُّهُ أُمُّ الخَيْر وَأَوْلاَدُهُ (٢٨) أسمَاءُ (٢٩) عَبدُ اللَّهِ (٣٠) عَائِشَةُ (٣١) عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الأمَوِيُّ (٣٢) أُمُّهُ أروَى بِنْتُ كُرَيْزِ بْنِ رَبِيعَةَ (٣٣) الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ (٣٤) طَلحَةُ بنُ عُبَيْد الله التّيمي (٣٥) أُمُّهُ الصَّعْبَةُ بِنْتُ الحَضرَمِيّ (٣٦) سَعْدُ بنُ أبِي وَقَّاص الزُّهرِي (٣٧) أخُوهُ عَامرٌ (٣٨) أَبُو عُبَيْدَةَ عَامرُ بنُ الجَرَّاح (٣٩) عَمرو بنْ أُمِّ مَكْتُوم (٤٠) الأَرْقَمُ بنُ أَبِي الأَرْقَمِ المَخْزُومِيّ (٤١) عَبدُ الرَّحْمٰن بنُ عَوْف الزُّهري (٤٢) الشَّفَّاءُ أُمُّهُ (٤٣) خَبَّابُ بنُ الأرَتّ التَّيمي (٤٤) أَبُو سَلَمَةَ عَبدُ اللَّهِ بنُ عبد الأسَد المخزُومي (٤٥) زَوجُهُ أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ (٤٦) أَبُو سبرَةَ بنُ أبي رَهْمٍ القُرَشِيّ (٤٧) زَوجُهُ أُمُّ كُلْثُوم (٤٨) بِلاَلُ بنُ رَبَاح الحَبَشِيُّ (٤٩) حَمَامَةُ أُمُّهُ (٥٠) مَالِكُ بنُ فُهَيْرَةَ (٥١) لُبَيْنَةَ بِنْتُ فَهِيرَةَ أُخْتُهُ (٥٢) لَبِيبَةُ جَارِيَةُ المُؤَمِّلِ (٥٣) عَمَّارُ بنُ يَاسِرِ بنُ عَامِرٍ العَبْسِي (٥٤) أخُوهُ أنيسٌ (٥٥) أُمُّهُمَا سُمَيَّةُ

(٥٦) يَاسِرٌ أَبُوهُمَا (٥٧) صُهَيب بنُ سِنَانٍ النَمرِيُّ ثُمَّ الرُّومِي (٥٨) نَعِيمُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ النُّحَام العَدَوي (٥٩) سَعِيدُ بنُ زَيد العَدَوي (٦٠) أُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ بَعْجَةَ (٦١) زَوجَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّاب أختُ عُمَرَ (٦٢) عُثْمَانَ بنُ مظعُون الجَمحي (٦٣) قُدَامَةُ أَخُوهُ (٦٤) عَبْدُ اللَّهِ أَخُوهُمَا (٦٥) السَّائِبِ بنُ عُثْمَانَ (٦٦) كُرَيزُ بنُ رَبِيعَةُ بن عَبْد شَمْس (٦٧) أُمُّ عَبيس زَوْجُهُ (٦٨) عَبْدُ اللَّه بنُ مسعُود الهُذَلي (٦٩) زَيدُ بنُ الخَطَّاب بن نُفَيل العَدَوي (٧٠) أَبُو فُكَيْهَةَ يَسَارٌ الجَهْمِي (٧١) الزُّبَيرة الرُّومِيَّة (٧٢) أُمُّها النَّهدِيَّةُ (٧٣) المَقْدَاد بنُ الأسوَدِ الكِنْدِي (٧٤) خَالِدُ بنُ سَعيد بن أبي العَاص الأُمَوِيّ (٧٥) زَوجُهُ أُمَيْمَةَ بِنْتُ خَلَف (٧٦) عِمرُو بنُ سَعِيد بن أبي العَاص (٧٧) زَوجُهُ فَاطِمَةُ بنتُ صَفْوَانَ (٧٨) عَبَّاسُ بنُ رَبِيعَة المَخْزُومِي (٧٩) أسمَاءُ بنتُ سَلاَمَة التَّمِيميّةُ زَوْجُهُ (٨٠) عَامرُ بنُ رَبِيعَةَ العَنَزي (٨١) زَوْجُهُ لَيْلَى بنت أبِي حَثْمَةَ العَدَوِيَّةُ (٨٢) عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْش الأَسَدي (٨٣) أَخُوهُ أَبُو أحمَدَ (٨٤) أُمُّ حَبِيبَة بنتُ أبي سُفْيَانَ (٨٥) زَوجُهَا عُبَيْد الله بْنُ جَحْش وَلَكِنَّهُ تَنَصَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ (٨٦) عَبْدُ اللَّه بنُ المُطَاع الكِنْدي (٨٧) مَصْعَبُ بنُ عُمَير بن هَاشِم العَبدَري (٨٨) خُنَيْسُ بنُ

حَذَافَةَ السَّهميُّ (٨٩) عَبْدُ الله بنُ حُذَافَةَ أخُوهُ (٩٠) أخوهُمَا قَيسٌ (٩١) هَاشِمُ بنُ العَاص بنُ وَائل السَّهَميّ (٩٢) أبُو ذَرٍ جُنْدُبُ بنُ جَنَادَةَ الغِفَارِي (٩٣) أنيسٌ أخُوهُ (٩٤) أُمُّهُمَا رَمْلَةَ الغِفَارِيةُ (٩٥) مَعْمَرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ فَضْلَةَ العَدَويّ (٩٦) عَبْدُ الله بنُ سَهْلٍ العَامِري (٩٧) عَبْدُ الله بنُ شِهَابٍ الزُّهْرِي (٩٨) المُطَّلِبُ بنُ أزْهَرَ الزُّهْرِي (٩٩) زوْجُهُ أزْمَلَة بنْتُ أبِي عَوفٍ السَّهمِيةُ (١٠٠) أخُوهُ طُلَيْبُ بنُ أزْهَرَ (١٠١) أبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ العَبْشمِي (١٠٢) زَوجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ (١٠٣) مَحجَنُ بنُ الأدْرَعِ الأَسْلَمي (١٠٤) مَسْعُودُ بنُ رَبِيعَةَ القَارِّي (١٠٥) مَسْعُودُ بنُ الأسْوَدِ العَدَوِيّ (١٠٦) أخُوهُ مُطِيعٌ (١٠٧) أُمُّهُمَا العَجْمَاءُ بِنْتُ عَامِرٍ الكَلْبِية (١٠٨) وَاقِدُ بنُ عَبْدِ الله التَّمِيمي (١٠٩) أَرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الصِّرَامِ (١١٠) أُمُّ عُبَيسٍ جَارِيَةُ بَنِي زُهْرَةَ (١١١) لَطِيفَةُ ابْنَتُهَا (١١٢) مَعْمَرُ بنُ الحَارِثِ الجَمَحِي (١١٣) أخُوهُ حَاطِبُ (١١٤) أخُوهُمَا خَطَّابُ (١١٥) فَاطِمَةُ بِنْتُ المُجَلِّل زَوْجُ حَاطِبٍ (١١٦) فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسَارٍ زَوْجُ خَطَّابٍ (١١٧) حَاطِبُ بنُ عَمْرو العَامِرِي (١١٨) أخُوهُ سَلِيطٌ (١١٩) أخُوهُمَا السَّكْرَانُ (١٢٠) أُمُّ يَقَظَةَ زَوْجُ سَلِيطٍ (١٢١) سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ السَّكْرَانِ. ثُمَّ زَوْجُ رَسُولُ الله ﷺ. هَؤُلاَءِ

كُلُّهُمْ أَسْلَمُوا قَبْلَ عُمَرَ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أجمَعِينَ.

ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَهُمْ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، وَأَسْلَمَ بَعْدَهُ قَبْلَ الطَّوَافِ بِالبَيْتِ سَبْعَةَ عَشَرَ هُمْ: خَالِدٌ، وَإِيَاسُ، وعَاقِلٌ، أبْنَاءُ البُكَيرِ اللَّيثِي، وَالحَارِثُ، وَسَعِيدٌ أَبْنَاءُ عَبْد قَيْسِ بنُ قَيْسِ بنُ عَديّ السَّهْمِي مِنْ أشْرَافِ قُرَيْشٍ وَإِبنَاهُ بَشيرٌ وَمَعْمَرٌ. وخَالِدُ بنُ خزَامِ بنُ خُوَيْلِدِ الأَسَدِي. وَسُفْيَانُ بنُ معمر بنُ حَبِيبِ الجُمَحِيّ، وَإِبْنَاهُ جَابِرٌ، وَجَنَادَةُ، وَزَوْجُهُ حَسَنَةٌ وَإِبْنُهَا شَرَحْبِيل. وَهِشَامُ بنُ أبِي حُذَيْفَةَ المخْزُومِي، وَطُلَيبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وَهْبِ العَبْدِيُّ. وَعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ. فَمَجْمُوعُ المُسْلِمِينَ حِينَ وَقَعَ الطَّوَافُ بِالبَيْتِ الحَرَامِ جِهَاراً مَائَةٌ وأَرْبَعُونَ فَقَطْ لا كَمَا وَهَمَهُ الوَاهِمُونَ. وَالطَّوَافُ وَقَعَ بَعْدَ إِسْلامِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بِأَيَّامٍ لاَ يَوْمَ إِسْلاَمِهِ والله أَعْلَمُ.

الفَصلُ السَّابِع عَشَر

شَهَامَةُ أَبِي طَالِبٍ وَثَبَاتُهُ أَمَامَ تَيَّارِ المُقَاطَعَةِ

شَهَامَةُ أَبِي طَالِبٍ
وَثَبَاتُهُ أَمَامَ تَيَّارِ المُقَاطَعَةِ

لَـمَّا طَافَ رَسُولُ اللَّهِ وَصَحَابَتُهُ بَالبَيْتِ الحَرَامِ جَهَاراً اسْتَكْبَرَتْ قُرَيْشٌ الأَمْرَ وَقَالوا: إنَّ شَأْنَ مُحَمَّد قَدْ اسْتَفْحَلَ، فَلاَ يَلْبَثُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْنَا إِذَا نَحْنُ تَرَكْنَاهُ يَبُثُّ بَيْنَنَا، فَاجْتَمَعُوا وَقَرَّروا مُقَاطَعَة بَنِي هَاشِم فِي المُوَاصَلَةِ وَالمُعَامَلَةِ حَتّى يُسَلِّمُوا لَهُمْ مُحَمَّداً يَبْغُونَ بِهِ مَا يَشَاءُون، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً عَلَّقُوهَا بِسقْفِ الكَعْبَة أَكَّدُوا فِيهَا العُهُود بِالأَيمان، ثُمَّ أَنْذَرُوا أبا طَالِبٍ بِمَا قَرَّرُوهُ.

تَلَقَّى أَبُو طَالِب إِنْذَارَهُمْ بِكُلِّ ثَبَاتٍ وَشَهَامَة، فَجَمَعَ عَشِيرتَهُ الهَاشِمِيِّينَ وأَخْبَرَهُمْ بِالإِنْذَارِ، وبِأَنَّهُ مُصَمِّمٌ عَلَى الدِّفَاعِ عَنْ ابْنِ أَخِيهِ مِنْ كَافَّةِ الأَشْرَارِ، فَاجْتَمَعَتْ كَلِمَةُ مُسْلِمِهِمْ وَالكَافِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَدَخَلُوا الشِّعْبَ المَعْرُوفَ بِاسْمِهِمْ إِلَى الآن (شِعْبَ بَنِي هَاشِم) إِلاّ أَبَا لَهَبٍ فَإِنَّهُ بَاءَ بِالخُسْرَانِ. وَكَانَ دُخُولُهُمْ أَوَّلَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ البِعْثَةِ.

عَلِمَ المُشْرِكُونَ بِدُخُولِ الهَاشِمِيِّينَ الشِّعْبَ وَبِمَا قَرَّرُوهُ مِنَ

الذَّوْدِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي مِنْعَةٍ بِعَشِيرَتِهِ وَأَنَّ التَّعَرُّضَ لَهُ يُؤَدِّي إِلَى حَرْبٍ طَاحِنَةٍ، فَنَفَّذُوا المُقَاطَعَةَ بِكُلِّ دِقَّةٍ حَتَّى لا يَتَمَكَّنَ أَحَدٌ مِنْ مَوَاصَلَتِهِمْ، ثُمَّ صَبُّوا أَنْوَاعَ الأَذَى عَلَى المُسْتَضْعَفِينَ فَكَانَ ﷺ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ وَيُوصِيهِمْ بَالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ، وَلَمَّا اشْتَدَّتْ وَطْأَةُ التَّعَدِّي عَلَى أَصْحَابِهِ أَذِنَ بَالهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الحَبَشَةِ لِمَنْ أَرَادَ، فَهَاجَرَ إِلَيْهَا فِي أَثْنَاءِ السَّنَةِ السَّابَعَةِ مَنْ سَنَذْكُرُ أَسْمَاءَهُمْ بَعْدُ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.

الفَصلُ الثَّامِن عَشَر

الهِجرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الحَبَشَة وَأَسمَاء المُهَاجِرِينَ

الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الحَبَشَة
وَأَسْمَاءُ المُهَاجِرِينَ

لَمّا أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحابِهِ فِي الهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الحَبَشَةِ هَاجَرَ إِلَيْهَا (٨٣) رَجُلاً و(١٩) امْرَأَة خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ خِفْيَةً يَتَسَلَّلُونَ. فَلَمَّا وَصَلُوا سَاحِلَ البَحْرِ يَسَّرَ اللَّه لَهُمْ سُفُناً فَرَكِبُوا إِلَى الحَبَشَةِ وَأَكْرَمَهُمْ النَّجَاشِيُّ غايَةَ الإِكْرَامِ، فَأَقَامَ أَكْثَرَهُمْ إِلَى فَتْحِ خَيْبَرَ وَرَجَعَ مِنْهُمْ ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ رَجُلاً وَثَمَانِي نِسْوَةٍ قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ إِلَى المَدِينَةِ.

وَلَمَّا تَحَقَّقَتْ قُرَيْشٌ مِنْ إِقَامَتِهِمْ فِي الحَبَشَةِ أَرْسَلَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ هَدَايَا مَعَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ طَرْدَهُمْ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى طَلَبِهِمْ بَلْ ضَاعَفَ إِكْرَامَهُمْ، ثُمَّ جَمَعَهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَمَّا يَقُولُهُ فِي نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَتَصَدَّرَ لِلْجَوابِ جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ تَلاَ عَلَيْهِ سُورَةَ مَرْيَمَ، وَلَمَّا فَهِمَ النَّجَاشِي حَاصِلَ مَعْنَاهَا قَالَ: إِنَّ عِيسَى لا يَزِيدُ عَمَّا قَالَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَهَذِهِ أَسْمَاءُ المُهَاجِرِينَ.

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَزَوْجُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْس. عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الأَمَوِي، وَزَوْجُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ. أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِي، وَزَوْجُهُ أُمُّ سَلَمَة هِنْدُ. أَبُو سَبْرَة ابْنُ أبي رَهم العَامِرِيّ، وَزَوجُهُ أُمُّ كُلثُوم بِنْتُ سَهْلٍ. خَالدُ بْنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ الأَمَوِيُّ، وَزَوجُهُ أُمَيْمَةَ بنتُ خَلَفٍ. عَمْرُو بْنُ سَعِيد بْنُ العَاصِ الأَمَوِيّ، وَزَوجُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ صَفْوَانَ. قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَزَوجُهُ بَرَكَةُ بِنتُ يَسَارٍ. جَهْمُ بْنُ قَيْسِ العَبْدَرِيّ، وَزَوجُهُ أُمُّ حَرْمَلَةَ، عَامِرُ بنُ رَبِيعَةَ، وَزَوْجُهُ لَيْلَى بنْتُ أَبِي حَثْمَةَ. أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَزَوْجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ. المُطَّلِبُ بنُ الزُّهْرِيّ، وَزَوجُهُ رَمْلَةُ بِنْتُ عَوفٍ. الحَارِثُ الجُمَحِيّ، وَزَوْجُهُ فَاطِمَةُ بْنْتُ المُجَلل. مَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ العَامِرِيّ، وَزَوجُهُ عَمْرَةُ العَامِرِيةُ. سُفْيَانُ بْنُ مَعْمَرٍ الجُمَحي، وَزَوجُهُ حَسَنَةُ أُمُّ شُرَحْبِيلٍ. السَّكْرَانُ بنُ عَمْرٍو العَامِرِيّ، وَزَوجُهُ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ. عُبَيْدِ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ الأَسْدِي، وَزَوجُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ. وَابْنُ جَحْشٍ هذَا تَنَصَّرَ وَمَاتَ ثُمَّ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ أُمَّ حَبِيبَةَ وَهِيَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ. عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشِ بن رِئابٍ الأَسَدي. مُعَيْقِيبُ بنُ أَبِي فَاطِمَةَ آل العَاصِ، الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، الأَسْوَدُ بنُ نَوْفَلِ بنِ خوَيْلِدٍ، يَزِيدُ بْنُ زَمْعَ، المِقْدَادُ بنُ الأَسْوَدِ

الكندي، مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ العَبْدَري، طُلَيْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وَهْبِ القُصي، سُوَيبِط بنُ سَعِيدِ العَبْدَري، أَبُو الرُّومِ بنُ عُمَيْرِ العَبْدَري، فِرَاسُ بنُ النَّضرِ العَبْدَرِي، عَبدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوفِ الزُّهْرِي، عَامِرُ بنُ أَبِي وَقَّاص الزُّهرِي، عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُود الهُذَلِي، عُتْبَةُ بنُ مَسْعُودِ الهُذَلِي، عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ، عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ التّيمي، شَمَّاسُ بنُ عُثْمَانَ المخْزُومِي، هَبَّارُ بنُ سُفْيَانَ المخْزُومِي، مَتْعِبُ بنُ عَوْفِ بنِ سُلُوذ، عُثْمَانَ بنُ مَظعُونٍ الجُمَحِي، مُحَمَّدُ بنُ حَاطِبِ الجُمَحِي، جَابِرٌ بنُ سُفْيَانَ الجُمَحِي، عُثْمَانُ بنُ رَبِيعَةَ الجُمَحِي، عَبْدُ اللَّهِ بنُ الحَارِثِ السّهْمِي، خُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ السّهْمِي، قَيْسُ بنُ حُذَافَةَ السّهْمِي، عَبْدُ اللَّهِ بنُ حُذَافَةَ السّهْمِي، الحَارِثُ بن الحَارِثُ السّهْمي، مَعْمَرُ بن الحَارِثُ السّهْمِي، بشْرُ بنُ قَيْس السّهْمِي، أَبُو قَيْسِ بن الحَارِثُ السّهْمِي، سَعِيدُ بنُ عَمْرِو السّهْمِي، سَعِيدُ بنُ مَهَشّم السّهْمِي، مَحْمِيَّةُ بنُ الجَزَاء حَليفُ السَّهْمِيينَ، السَّائِبُ بنُ الحَارِثِ السّهْمِي، عُمَيْرُ بنُ رِئابِ السّهْمِي، مَعْمَرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ العَدَوِي، عُرْوَةُ ابنُ عَبْدِ العُزَّى العَبْدَرِي، عَدِيُّ بنُ فَضْلَةَ العَبْدَرِي، النُّعْمَانُ بنُ عَدِيّ بنِ فَضْلَةَ العَبْدَرِي، عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَخْرَمَةَ العَامِري، عَبْدُ اللَّهِ بنُ سُهَيْلِ العَامِري، سُلَيْطُ بنُ عَمْرِو العَامِرِي، أَبُو حَاطِبِ بنُ عَمْرِو العَامِرِي، سَعيدُ بنُ خَوْلَةَ اليَمَنِي

حَلِيفُ بَنِي عَامِرٍ، أَبُو عُبَيْدَة عَامِرُ بنُ الجَرَّاحِ، سُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ، عَمْرو بنُ أَبِي سَرحِ الفِهْرِي، عَيَّاضُ بنُ زُهَيْرٍ الفِهْرِي، عَمرُو بنَ الحَارِثِ الفِهْرِي، عَمْرو بنُ عَبْدِ غُنْمٍ الفهْرِي، سَعْدُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ الفِهْرِي، الحَارثُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ الفِهْرِي، عبدُ الله بنُ سُفْيَانَ المَخْزُومِيّ، هِشَامُ بنُ أبي حُذَيْفَةَ المَخْزُومِيّ، شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ، عَمَّارُ بنُ يَاسِرِ بنِ عَامِرِ العَنَسِي، أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ الحَبَشِيةُ حَاضِنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَرَجَتْ أُمُّ أَيْمَنَ مَعَ بِنْتِهِ ﷺ رُقَيَّةَ لِتَقُومَ بِخِدْمَتِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ بَقِيَّة الأَصْحَابِ وَالتَّابِعِينَ.

الفَصلُ التَّاسِع عَشَر

العِظَةُ وَالعِبرَةُ بِعَدَدِ مَنْ أَسلَمَ فِي نَحوِ سَبعِ سَنَوَاتٍ

العِظَةُ وَالعِبْرَةُ بِعَدَدِ مَنْ أَسْلَمَ فِي نَحْوِ سَبْعِ سَنَوَاتٍ

إِذَا تَأَمَّلَ القَارِىءُ البَصِيرُ أَسْمَاءَ مَنْ هَاجَرَ مِنَ السَّابِقِينَ وَالسَّابِقَاتِ وَهُمْ (٣٨) رَجُلاً و(١٩) امْرَأَةً وَأَسْمَاءَ البَاقِينَ وَهُمْ نَحْوَ (٥٢) رَجُلاً و(٢٩) امْرَأَةً يَعْلَم أَنَّ مَجْمُوعَ العَدَدَيْنِ لَمْ يَبْلُغِ المائَتَيْنِ. وَهَذِهِ نَتِيجَةٌ ضَئِيلَةٌ جداً بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا كَانَ يَبْذُلُهُ ﷺ مِنَ الجَهْدِ فِي التَّبْلِيغِ مُتَحَمِّلاً كُلَّ مَا يَلْقَاهُ فِي سَبِيلِهِ مِنْ أَذَى قَوْمِهِ نَحْوَ سِتِّ سَنَواتٍ وَنِصْفٍ، بَلْ إِنَّ نَتِيجَةَ السِّت السَّنَوات والنِّصفِ الّتي بَعْدَهَا إِلَى عَامِ الهِجْرَةِ لا تَفْضُلُ هذِهِ السَّنَواتِ لأَنَّ عَدَدَ المُسْلِمِينَ حِينَ هَاجَرَ ﷺ نَحْوَ أَرْبَعْمَائةٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأنصَارِ.

وَلَكِنَّ القَارِىءُ سَيَمُرُّ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فَاتِحاً فِي السَّنَةِ الثامِنَةَ لِلهِجْرَةِ وَمَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ، وَحَجَّ حَجَّةَ الوَدَاعِ وَمَعَهُ نَحْوَ مَائةِ ألفٍ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ أيّ بَعْدَ مُضِيِّ سَنَتَيْنِ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ، وَفِي ذَلِكَ

دُرُوسٌ يَجِبُ أنْ يُمْعِنَ فِيهَا النَّظَرَ كُلُّ مَنْ يُرِيدُ القِيَامَ بِعَمَلٍ مُفِيدٍ لِلبَشَرِ فَلاَ يَيْأَسُ مِنَ النَّجَاحِ مَا دَامَ رَائِدُهُ الإِصْلاحَ مَهْمَا كَانَتْ نَتِيجَةُ عَمَلِهِ فِي البَدْءِ ضَئِيلَةً.

وَفَّقَنَا اللَّهُ لِذَلِكَ وَلِكُلِّ مَا فِيهِ رِضَاهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

الفَصلُ العشرُون

اشْتِدَادُ وَطْأَةِ المُقَاطَعَةِ وَثَبَاتُ الهَاشِمِيينَ

اشْتِدَادُ وَطْأَةِ المُقَاطَعَةِ وَثَبَاتُ الهَاشِمِيينَ

كَانَ تَنْفِيذُ المُقَاطَعَةِ دَقِيقاً وَشَدِيداً إِلَى الغَايَةِ، لأَنَّ المُرَاقِبِينَ عَلَى تَنْفِيذِها هُمْ شِرَارُ المُشْرِكِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ ثَبَتَ الهَاشِمِيُّونَ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ صَاحِبُ الرِّئَاسَةِ وَالشَّهَامَةِ أَبُو طَالِبٍ، وَصَبَرُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوَ ثَلاثِ سَنَواتٍ صَبْرَ الأَبْطَالِ، تَحَمَّلُوا فِيْهَا مَا تَتَضَاءَلُ عَنْ حَمْلِهِ الجِبَالُ حَتَّى أَكَلُوا جُلُودَ الحَيَوَانَاتِ وَأَوْرَاقِ الأَشْجَارِ، فَلَمَّا اشْتَدَّتْ وَطْأَةُ المُقَاطَعَةِ وَالتَفَّتْ حَلَقَتَا المَجَاعَةِ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِأَنَّ الأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْ كُلَّ مَا كُتِبَ فِي صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ وَلَمْ تَدَعْ فِيهَا غَيْرَ اسْمِ الله، عِنْدَ ذَلِكَ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَمَّهُ بِمَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ، فَخَرَجَا فِي عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حَتَّى أَتُوا الْمَسْجِدَ وَلَمَّا رَأَتْهُمْ قُرَيْشٍ ظَنُّوا أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ شِدَّةِ البَلاءِ، لِيُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ الله ﷺ فَبَدَأَهُمْ أَبُو طَالِبٍ بِقَوْلِهِ:

جَرَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أُمُورٌ لَمْ تَذْكُرُوهَا فِي صَحِيفَتِكُمْ فائْتُوا بِهَا لَعَلَّنَا نَجِدُ مَا يَصْلُحُ بِهِ أَمْرُنَا، فَأَتُوا بِهَا وَوَضَعُوهَا بَيْنَهُمْ، وَقَالُوا لأَبِي طَالِبٍ قَدْ آنَ لَكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْ تَرْجِعُوا عَمَّا أَحْدَثْتُمْ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَجَابَهُمْ أَبُو طَالِبٍ بِقَوْلِهِ: إِنِّي قَد أَتَيْتُكُمْ بِأَمْرٍ هُوَ

نِصْفٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، إِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي وَلَمْ يُكْذِبْنِي قَطُّ أَنَّ الله تَعَالَى قَدْ بَعَثَ عَلَى صَحِيفَتِكُمْ دَابَّةً أَكَلَتْ مَا فِيهَا مِنْ غَدْرِكُمْ وَتَظَاهُرِكُمْ عَلَيْنَا بِالظُّلْمِ وَتَرَكَتْ كُلَّ اسْمٍ للَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ كَانَ كَمَا يَقُولُ فَأَرْجُو أَنْ تَرْجِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ العُدْوَانِ، فَوَاللَّهِ لا نُسَلِّمُهُ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنَّا إِنْسَانٌ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً دَفَعْنَاهُ إِلَيْكُمْ تَفعلونَ بِهِ مَا تَشَاؤُونَ.

فَقَالُوا: قَدْ رَضِينَا.

وَفَتَحُوا الصَّحِيفَةَ فَوَجَدُوهَا كَما أَخْبَرَ المُصْطَفَى ﷺ، فَرَجَعَ العُقَلاَءِ عَنِ المُقَاطَعَةِ، وَسَعَى مِنْهُمْ خَمْسَةٌ لإِقْنَاعِ البَاقِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنْ بِعْثَتِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ الحَادِي وَالعِشرُون

المُصَابُ الأَلِيمُ بِمَوتِ أَبِي طَالِبٍ زَعِيمُ الهَاشِمِيّين

وخَدِيجَةَ أُمّ المُؤمِنِينَ

المُصَابُ الأَلِيمُ بِمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ زَعِيمِ الهَاشِمِيّين وخَدِيجَةَ أُمّ المُؤْمِنِينَ

مِنْ مَجْمُوعِ مَا سَبَقَ تَعْلَمُ حَقَّ العِلْمِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ هُوَ الرَّجُلُ الوَحِيدُ الَّذِي قَامَ بِكَفَالَةِ النَّبِيِّ فِي صِغَرِهِ، وَعَظُمَتْ مَحَبَّتُهُ لَهُ وَشَفَقَتُهُ عَلَيْهِ فِي كِبَرِهِ، ثُمَّ قَامَ بِالذَّوْدِ عَنْهُ وَحِفْظِ كَرَامَتِهِ، بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ الله بِرِسَالَتِهِ إِلَى أَنْ فَارَقَتْهُ الحَيَاةُ، وَأَنَّ المصُونَةَ خَدِيجَةَ هِيَ الَّتِي اخْتَارَتْهُ بَعْلاً لَهَا، وَجَعَلَتْ تَحْتَ حُكْمِهِ مَالَهَا، ثُمَّ قَامَتْ بِخِدْمَتِهِ وَسَاعَدَتْهُ عَلَى القِيَامِ بِمُهِمَّتِهِ، بَلْ كَانَتْ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الوَزِيرِ البَارِّ، وَكَثِيراً مَا كَانَتْ تُخَفِّفُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ مُعَامَلَةِ أَشْرَارِ الكُفَّارِ.

فَبِالضَّرُورَةِ يَكُونُ المُصَابُ بِوَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ فِي أَيَّامٍ مُتَقَارِبَةٍ عَظِيماً، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ ذَلِكَ العَامُ عَامَ الحُزْنِ وَكَانَتْ وَفَاتُهُمَا فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنْ بِعْثَتِهِ ﷺ.

ثُمَّ إِنَّ العُلَمَاءَ عُنُوا بِمَنَاقِبِ خَدِيجَةَ، وَأَلَّفُوا فِيهَا التَّآلِيفَ المُطَوَّلَةَ وَالوَجِيزَةَ، غَيْرَ أَنَّ كَلِمَتَهُمْ اخْتَلَفَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ، وَالَّذِي

عَلَيْهِ المُحَقِّقُونَ أَرْبَابَ البَصَائِرِ أَنَّهُ مِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ، إلاَّ أَنَّهُ كَانِ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ لِمَصْلَحَةِ الذَّوْدِ عَنِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ.

وَأَحْوَالُهُ فِي جَمِيعِ المَوَاقِفِ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ وَأَقْوَالُهُ صَرِيحَةٌ فِي قُوَّةِ إِيمَانِهِ، وَقَدْ حَقَّقَ ذَلِكَ العَلاَّمَةُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بنُ زَيْنِي دَحْلانَ فِي رِسَالَةٍ سَمَّاها:

«**أَسْنَى المَطَالِبِ فِي نَجَاةِ أَبِي طَالِبٍ**»، وَكَذَا غَيْرُهُ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ.

الفَصلُ الثَّانِي وَالعِشرُون

هِجرَتُهُ إِلَى الطَّائِفِ رَجَاءَ أَنْ تُؤْمِنَ وَتَأْوِيهِ ثَقِيف

هِجْرَتُهُ إِلَى الطَّائِفِ رَجَاءَ أَنْ تُؤْمِنَ وَتَأْوِيهِ ثَقِيفٌ فَيَقُومُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الخَبِيرِ اللَّطِيفِ

بِمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ ضَعُفَتْ قُوَّة الذَّوْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَجَرَّأَتْ قُرَيْشٌ عَلَى إِيذَائِهِ جِهَاراً، وَنَالُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَطْمَعُوا فِيهِ وَقْتَ حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ فَنَثَرُوا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، وَوَضَعُوا عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ أَرْحَامَ الأَغْنَامِ، وَكَثِيراً مَا كَانُوا يَضَعُونَ الأَقْذَارَ فِيمَا يُطْبَخ لَهُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى قَالَ:

«مَا أَشَدَّ مَا لَقِينَا بَعْدَكَ يَا عَمُّ».

ثُمَّ لَمَّا اشْتَدَّ الإِيذَاءُ خَرَجَ ﷺ مُهَاجِراً إِلَى الطَّائِفِ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَأَقَامَ بِهَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ يَدْعُو ثَقِيفاً إِلَى الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ وَإِيوَائِهِ وَالذَّوْدِ عَنْهُ وَنَصْرِهِ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ أَقْبَحَ رَدٍّ وَأَغْرَوا بِهِ العَبِيدَ وَالسُّفَهَاءَ فَرَمَوْهُ بِالحِجَارَةِ حَتَّى صُبِغَتْ نَعْلاَهُ بِالدِّمَاءِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ حَزِيناً فَدَعَا اللَّه تَعَالَى بِالدُّعَاءِ المَشْهُورِ: **«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي إِلَى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى**

عَدُوٌ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتِ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَنْ يَحُلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ»[1].

فَجَاءَهُ مَلَكُ الجِبَالِ يَسْتَأْمِرُهُ أَنْ يَطبِقَ جَبَلَي مَكَّةَ عَلَى أَهْلِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ:

«لاَ تَفْعَلْ إِنِّي أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَتَوَلاَّهُ».

ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ صَابِراً عَلَى مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَذَى قَوْمِهِ وكَثِيراً مَا كَانَ يَدعُو لَهُم بِقَوْلِهِ:

«اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ».

زَوَاجُهُ ﷺ بِسَوْدَةَ وَعَائِشَةَ

وَفِي آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ العَاشِرَةِ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ العَامِرِيَّةِ زَوْجِ السَّكْرَان بْنِ عَمْرو العَامِرِي قَبْلَهُ، وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشَ وَمِنَ السَّابِقِينَ والأَوَّلِينَ المُهاجِرِينَ

(١) أخرجه الهندي في كنز العمال: (٣٦١٣) و(٣٧٥٦) و(٥١٢٠)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٩٧٤٣).

إِلَى الحَبَشَةِ الهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ غَيْرَ أَنَّهُمَا رَجَعَا فِي أَوَّلِ السَّنَةِ العَاشِرَةِ وَتُوُفِّيَ زَوْجُهَا فَكَانَه النَّبِيُّ ﷺ أَرَاد بِذَلِكَ صِيَانَتَهَا وَحِفْظَهَا مِنْ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهَا قَوْمُهَا أَوْ يَفْتِنُوهَا فِي دِينَهَا.

ثُمَّ عَقَدَ ﷺ بَعْدَهَا عَلَى عَائِشَةَ بِنْتِ صَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمْرُهَا سَبْعُ سَنَواتٍ، ولِهَذَا لَمْ يَدْخُلْ بِهَا إِلاَّ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ الثَّالِث وَالعِشرُون

الإِسرَاءُ وَالمِعرَاجُ

الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[1].

أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِأَنْ يُنَزِّهُوهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَيُقَدِّسُوهُ، فَهُوَ ذُو القُدْرَةِ العَظِيمَةِ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى فِي جُزْءٍ يَسِيرٍ مِنَ اللَّيْلِ، مَعَ أَنَّ المَسَافَةَ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ طَوِيلَةٌ يَقْطَعُهَا رَاكِبُو الإِبِلِ فِي ثَلاثِينَ يَوْماً وَهِيَ سُرْعَةٌ مُتَجَاوِزَةٌ الحَدَّ فِي ذَلِكَ العَهْدِ.

وَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ ذَلِكَ العَبْدَ الكَرِيمَ بِهَذَا الإِسْرَاءِ لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ وَعَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ مَا تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسُهُ لأَنَّهُ السَّمِيعُ البَصِيرُ؛ أَيْ: إِنَّ هَذَا العَبْدَ الَّذِي أَكْرَمْنَاهُ بِهَذَا المَسْرَى هُوَ ذُو السَّمْعِ وَالبَصَرِ الكَامِلَيْنِ يُدْرِكُ بِهِمَا حَقَائِقَ مَا يَسْمَعُهُ وَمَا يُبْصِرُهُ فِي رِحْلَتِهِ

(١) سورة الإسراء، الآية: (١).

المُبَارَكَة فَالآيَةُ نَصٌّ فِي ثُبُوتِ الإِسْرَاءِ. وَأَنَّهُ الذِّهَابُ بِالنَّبِيِّ مِنَ مَسْجِدِ مَكَّةَ إِلَى مَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ.

أَمَّا المِعْرَاجُ فَثَابِتٌ بِالأَحَادِيثِ الكَثِيرَةِ، وَمَعْنَاهُ: رَفْعُ النَّبِي إِلَى أَعْلَى السَّمٰواتِ وَقَدْ وَقَعَ فِي لَيْلَةٍ هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ فِي السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ البِعْثَةِ عَلَى أَشْهَرِ الأَقْوَالِ، وَقَدْ كَانَ كُلٌّ مِنَ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ بِرُوحِ النَّبِيِّ وَجِسْمِهِ الشَّرِيفِ يَقَظَةً لا فِي المَنَامِ لأَنَّ النَّبِي ﷺ لَمَّا أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَسْرَاهُ اسْتَغْرَبُوا الخَبَرَ وَكَذَّبُوه فِي دَعْوَاهُ، وَهَذَا يَدُلُّ دَلالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ أَخْبَرَهُمْ بِحُصُولِهِ لَهُ بِروحِهِ وَجَسَدِهِ يَقَظَةً وَإِلاَّ لَمْ يَكُنْ وَجْهٌ لإِنْكَارِ قَوْمِهِ، لأَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ يَرَى أَنَّهُ صَعَدَ إِلَى السَّمَواتِ وَشَاهَدَ عَجَائِبَ المَخْلُوقَاتِ، ثُمَّ إِذَا أَفَاقَ مِنْ نَوْمِهِ أَخْبَرَ بِمَا رَآهُ عُقَلاَءَ قَوْمِهِ فَلاَ يَسْتَغْرِبُ رُؤْيَاهُ مُسْتَغْرِبٌ وَلاَ يُكَذِّبُهُ مُكَذِّبٌ، عَلَى أَنَّ الأَدِلَّةَ المَحسُوسَةَ الآنَ شَاهِدَةٌ بَجَوازِ كُلٍّ مِنْهُمَا لا فِي المَنَامِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ نُلَخِّصُهَا فِي الفَصْلِ الَّذِي بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.

الفَصلُ الرّابِعُ وَالعِشرُون

فِي الأَدِلَّةِ المَحسُوسَةِ عَلَى جوَازِهمَا وَوُقُوعِهِمَا لَهُ ﷺ

فِي الأَدِلَّةِ المَحْسُوسَةِ عَلَى جَوَازِهِمَا وَوُقُوعِهِمَا لَهُ ﷺ بِالرُّوحِ وَالجِسْمِ

الأَوَّلُ مِنْهَا: الطَّيَّارَاتُ نُشَاهِدُهَا تَرْتَفِعُ فِي الجَوِّ حَتَّى تَعْلُوَ السَّحَابَ وَتَسِيرُ فِي السَّاعَةِ الوَاحِدَة مِئَاتُ الأَمْيَالِ وَهِيَ مِنْ صُنْعِ البَشَرِ، فَلِمَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِسْرَاؤُهُ ﷺ عَلَى شَيْءٍ أَبْدَعَ مِنَ الطَّيَّارَاتِ وأَسْرَعَ مِنْهَا فِي قَطْعِ المَسَافَاتِ، بِقُدْرَةِ الصَّانِعِ الحَكِيمِ خَالِقِ الأَرْضِ وَالسَّمَواتِ.

الثَّانِي: المِرْقَاةُ غُرْفَةٌ مِنْ خَشَبٍ تَسَعُ بِضْعَةَ أَشْخَاصٍ تُسْحَبُ بِسِلْكٍ مِنْ حَدِيدٍ عَلَيْهِ تَيَّارٌ كَهْرَبَائِيٌّ يَرْفَعُ تِلْكَ الغُرْفَةَ فِي لَحْظَةٍ وَيَهْبِطُ بِهَا فِي لَحْظَةٍ نُشَاهِدُهَا فِي القُصُورِ العَالِيَةِ وَهِيَ مِنْ صُنْعِ البَشَرِ فَأَيُّ مَانِعٍ مِنْ أَنْ تُوجِدَ القُدْرَةُ الإِلٰهِيَّةُ مَا هُوَ أَبْدَعُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْظَمُ يَصْعَدُ فِيهِ النَّبِيّ الأَكْرَمُ إِلَى حَيثُ شَاءَ الرَّبُّ العَظِيمُ، بَلْ قَدْ وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً قَالَ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ جَاءَ جِبْرِيلَ فَوَكَزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَقُمْنَا إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا مِثْلُ وُكْرِيِ الطَّائِرِ فَقَعَدْتُ فِي إِحدَاهُمَا وَقَعَدَ جِبْرِيلُ فِي الآخَرِ، وَارْتَفَعَتْ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ وَاسْتَفْتَحَ**

جِبْرِيلُ. . .» إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ وذَكَرَ فِيهِ مَا سَنَذْكُرُ مُلَخَّصَهُ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.

الثَّالِثُ: آلَةُ الإِذَاعَةِ (الرَّادْيُو) فَإِنَّها تَنْقُلُ أَصْوَاتَ أَهْلِ المَغْرِبِ لأَهْلِ المَشْرِقِ وَبَالعَكْسِ فِي بِضْعِ ثَوَانٍ، وَهِيَ مِنْ صُنْعِ المَخْلُوقِ، فَمَا المَانِعُ مِنْ أَنْ تُوجِدَ قُدْرَةُ الخَالِقِ شَيْئاً لِنَقْلِ الأَجْسَامِ أَحْكَمَ مِنْ تِلْكَ الآلَةِ وَأَسْرَعَ مِنْهَا.

الرَّابِعُ: هَذِهِ السَّيَّارَاتُ العَظِيمَةُ بَعْضَهَا أَكْبَرُ مِنَ الأَرْضِ بِمِئَاتِ المرات، وَبَعْضُهَا بِأُلُوفٍ مِنَ المَرّاتِ نُشَاهِدُهَا تَطْلُعُ مِنَ المَشْرِقِ صَبَاحاً وَتَغْرُبُ فِي جِهَةِ المَغْرِبِ مَسَاءً، تَقْطَعُ فِي هَذِهِ المُدّةِ اليَسِيرَةِ المَلايينَ مِنَ الأَمْيَالِ، فأي مَانِعٍ لِخَالِقِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ مِنْ إِيجَادِ آلَةٍ يَحْمِلُ بِهَا سَيِّدَ البَشَرِ تَكُونُ سُرْعَتُهَا أَكْثَرَ مِنْ سُرْعَةِ تِلْكَ السَّيَّارَاتِ وَيَرْفَعُهُ بِهَا إِلَى مَا شَاءَ خَالِقُهُ جَلَّ وَعَلاَ.

الخَامِسُ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، الأَدْيَانُ مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّهُ أَمِينُ الوَحْيِ يَهْبِطُ بِهِ مِنْ أَعْلَى السَّمَواتِ إِلَى الأَرْضِ فِي لَحْظَةٍ، وَمِنَ الثَّابِتِ أَنَّهُ كَانَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ، فَمَا المَانِعُ أَنْ يَحْمِلَ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ مَعَهُ بِأَمْرِ مَوْلاَهُ العَظِيمِ، وَيَصْعَدُ بِهِ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ الرَّبُّ الكَرِيمُ.

السَّادِسُ: إِنَّ فُحُولَ الاكْتِشَافَاتِ قَرَّرُوا أَنَّ كُلَّ مَا حَصَلُوا

عَلَيْهِ مِنْ عَجَائِبِ هَذَا الكَوْنِ هُوَ جِزْءٌ يَسِيرٌ، وَأَمَلُهُمْ عَظِيمٌ فِي أَنَّ أَبْحَاثَهُمْ سَتُوَصِّلُهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَيَلْهَجُونَ بِرَغْبَتِهِمُ العَظِيمَةِ فِي الوُصُولِ إِلَى أَفْلاَكِ السَّيَّارَاتِ، وَالاطِّلاَعِ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ الكَائِنَاتِ، بَلْ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ قَدْ وَصَلُوا إِلَى اسْتِحْضَارِ بَعْضِ الأَرْوَاحِ وَمُخَاطَبَتِهِمْ بِمَا وَضَعُوا بَيْنَهُمْ مِنَ الاصْطِلاَحِ، فَإِذَا كَانَ المَخْلُوقونَ قَدْ أَوْجَدُوا مِنَ المُخْتَرَعَاتِ مَا أَوْجَدُوا، وَهُمْ لاَ يَزَالُونَ فِي أَوَّلِ البَحْثِ وَآمَالُهُمْ عَظِيمَةٌ بِأَنْ يَصِلُوا إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي نَرَاهُ وَنَسْمَعُهُ، فَأَيُّ مَانِعٍ يَقُومُ أَمَامَ قُدْرَةِ الخَلاَّقِ الحَكِيمِ فِي إِيجَادِ كُلِّ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ إِرَادَتِهِ مِنْ مَسَائِلِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ بِرُوحِ النَّبِيِّ ﷺ وَجِسْمِهِ يَقَظَةً وَمِنَ اجْتِمَاعِهِ ﷺ بِالأَنْبِيَاءِ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ وَبِبَعْضٍ مِنْهُمْ فِي السَّمَوَاتِ.

إِنَّ أَصْحَابَ العُقُولِ السَّلِيمَةِ لا يَرَوْنَ فِي شَيءٍ مِنَ القِصَّةِ مَا يَحِيلُهُ العَقْلُ فَالإِيمَانُ وَاجِبٌ بِكُلِّ مَا ثَبَتَ بِالنَّقْلِ.

فَنَسأَلُ اللَّه أَنْ يُنِيرَ بَصَائِرَنَا، وَيُثَبِّتَ قُلُوبَنَا عَلَى الإِيمَانِ بِكُلِّ مَا ثَبَتَ عَنْ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصْلُ الخَامِس وَالعِشْرُون

مُلَخَّصُ قِصَّةِ الإِسْرَاءِ

مُلَخَّصُ قِصَّةِ الإِسْرَاءِ

بَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُضْطَجِعاً فِي الحِجْرِ عِنْدَ البَيْتَ بَيْنَ حَمْزَةَ وَعَلِيّ، إِذْ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَمَعَهُ البُرَاقُ فَأَرْكَبَهِ وَمَشَى فِي رِكَابِهِ حَتّى وَصَلاَ يَثْرِبَ فَاخْبَرَهُ بِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَحَلُّ وَفَاتِهِ، ثُمَّ وَصَلاَ طُورَ سَيْنَاءَ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ الجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ الله عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثُمَّ وَصَلاَ بَيْتَ لَحْمٍ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ المَحَلُّ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثُمَّ وَقَفَ بِهِ البُرَاقُ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ الأَقْصَى فَنَزَلَ ﷺ وَدَخَلَ المَسْجِدَ فَإِذَا أُنَاسٌ كَثِيرونَ كَأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ مَنْ يَؤُمُّهُمْ، فَقَدَّمَهُ جِبْرِيلُ وَصَلَّى بِمَنْ حَضَرَ، ثُمَّ أَثْنَى كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى رَبِّهِ بِمَا أُلْهِمَ مِنَ الثَّنَاءِ، وَعَرَفَ كُلُّ رَسُولٍ مِنْهُمْ الآخَرَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مَعَ جِبْرِيلُ إِلَى رَحْبَةِ المَسْجِدِ وَأُحْضِرَ لَهُ شَيءٌ مِنَ المَشْرُوبَاتِ. فَتَنَاوَلَ اللَّبَنَ وَشَيْئاً يَسِيراً مِنَ العَسَلِ، ثُمَّ رُفِعَ إِلَى ذُرْوَةِ الأَفْلاَكِ، وَمُشَاهَدَةِ مَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ وَأَمْلاَكٍ عَلَى مِرقَاةٍ لاَ يَحْتَاجُ العَاقِلُ إِلَى البَحْثِ عَنْهَا كَيفَ كَانَ صُنعُهَا؟ وَلاَ عَلَى أَيِّ صِفَةٍ صَارَ حَمْلُ النَّبِيِّ ﷺ وَرَفْعُهَا، لأَنَّ الآمِرُ بِالرَّفْعِ هُوَ خَالِقُ الأَكْوَانِ، لاَ يُعْجِزُهُ أَن يُوجِدَ لَهُ مَا يَرْفَعُهُ بِهِ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ سُبْحَانَهُ لا تُحِيطُ بِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ الأَفْهَامُ.

الفَصْلُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ

مُلَخَّصِ قِصَّةِ المِعْرَاجِ

مُلَخَّصِ قِصَّةِ المِعْرَاجِ

ارْتَفَعَ ﷺ مَعَ جِبْرِيلَ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ إِيذاناً بِشَرَفِ مَنْ هُوَ فِي صُحْبَتِهِ، فَرَحَّبَتْ المَلائِكَةُ بِهِ، وهُنَاكَ اجْتَمَعَ بِنَبِيّ الله آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَسَلَّمَ عَلَيه فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ ورَحَّبَ بِهِ مُنَوِّهاً بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ إِلى الثَّانِيَةِ وَفَعَلَ جِبْرِيلُ مَا فَعَلَ بِالأُولَى وَرَحَّبَتْ بِهِ المَلائِكَةُ وَاجْتَمَعَ بِيَحْيَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَرَدَّا عَلَيْهِ السَّلامَ وَرَحَّبَا بِهِ وَنَوَّهَا بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ إِلَى الثَّالثةِ وَحَصَلَ مِثْلُ مَا سَبَقَ.

وَاجْتَمَعَ فِيهَا بِيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وَرَحَّبَ بِهِ وَنَوَّهَ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ إِلى الرَّابِعَةِ وَحَدَثَ مِثْلُ مَا حَدَثَ فِيمَا قَبْلَهَا وَاجْتَمَعَ بِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وَرَحَّبَ بِهِ وَنَوَّهَ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ إِلَى الخَامِسَةِ وَكانَ فِيهَا مَا كَانَ فِيمَا سَبَقَهَا وَاجْتَمَعَ بِهَارُون عَلَيْهِ السَّلامُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وَرَحَّبَ بِهِ وَنَوَّهَ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ إِلَى السَّادِسَةِ وَكَانَ فِيهَا مَا كَانَ فِيمَا قَبْلَهَا وَاجْتَمَعَ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وَرَحَّبَ بِهِ وَنَوَّهَ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ إِلَى السَّابِعَةِ، وَكَانَ فِيهَا مَا كَانَ فِيمَا

قَبْلَهَا وَاجْتَمَعَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وَرَحَّبَ بِهِ وَنَوَّهَ بِنُبُوَّتِهِ، وَهُنَا انْتَهَتْ مُقَابَلَتُهُ ﷺ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ وَآلِهِم وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ السَّابِعُ وَالعِشرُونَ

سِدرةُ المُنتَهَى وَفَرضُ الصَّلَوات

سِدْرةُ المُنْتَهَى وَفَرْضُ الصَّلَوات

لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مُقَابَلَةِ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ مُثِّلَتْ لَهُ الجَنَّةُ فَرَأَى مَا لا عَيْنَ رَأَتْ ولاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ مِمَّا أَعَدَّهُ الله لِعِبَادِهِ الطَّائِعِينَ، مِن النَّعِيمِ العَظِيمِ، ثُمَّ مُثِّلَتْ لَهُ النَّارُ وَرَأَى مَا أَعِدَّ فِيهَا لِلعُصَاةِ وَالجَاحِدِينَ، مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ، ثُمَّ رُفِعَ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى التَّي يَنْتَهِي إِلَيْهَا عِلْمُ العَالَمِينَ مِنْ رُسُلٍ وَمَلاَئِكَةٍ وَمُقَرَّبِينَ، وَعِنْدَهَا وَقَفَ جِبْرِيلُ الأَمِينُ وَرُفِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ إِلَى بِسَاطِ العِزّ وَالتَّكْرِيمِ، فَخَرَّ سَاجِداً لِجَلالِ الرَّبِّ العَظِيمِ، وَتَلا مَا فُتِحَ عَلَيْهِ مِنْ صِيَغِ الشُّكْرِ لِلعَلِيمِ الحَكِيمِ، ثُمَّ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِسَمَاعِ خِطَابِهِ مَوْلاهُ، بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الصَّلاةِ، فَتَلَقَّى ﷺ أَمْرَ رَبِّهِ الجَلِيلِ، وَهَبَطَ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى حَيْثُ كَانَ فِي انْتِظَارِهِ جِبْرِيلَ، فَرَافَقَهُ حَتَّى وَصَلا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

وَلَمَّا مَرَّا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ سَأَلَهُ: مَا الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرَامِ أَجَابَهُ ﷺ: بِقَوْلِهِ: فَرَضَ عَلَيْنَا مِنَ الصَّلَوَاتِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ.

فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَقَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ فَارجِعْ إِلَى رَبِّكَ وَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مُوسَى مَا سَمِعَ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى جِبْرِيلَ كَالمُسْتَشِيرِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّطِيفِ الخَبِيرِ.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى المَكَانِ الَّذِي تَلَقَّى فِيهِ الأَمْرَ خَرَّ سَاجِداً وَطَلَبَ مِنْ مَوْلاهُ التَّخْفِيفَ فَوَضَعَ الله عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، فَعَادَ إِلَى مُوسَى وَأَخْبَرَهُ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ مَوْلاهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَالرُّجُوعِ وَطَلَبِ التَّخْفِيف، فَعَادَ وَطَلَبَ التَّخْفِيفَ وَوَضَعَ الله عَنْهُ عَشْراً، ثُمَّ عَادَ إِلَى مُوسَى وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَصَلَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَالعَوْدِ وَطَلَبَ التَّخْفِيفِ، فَعَادَ وَطَلَبَ وَوَضَعَ الله عَنْهُ عَشْراً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَأَعْلَمَهُ بِمَا وَقَعَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ، فَعَادَ وَطَلِبِ التَّخْفِيفَ، فَوَضَعَ الله عَنْهُ عَشْراً فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى وَأَخْبَرَهُ بِمَا تَكَرَّمَ بِهِ مَوْلاَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالعَوْدِ، فَعَادَ وَطَلَبَ التَّخْفِيفَ، فَوَضَعَ الله عَنْهُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَخَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ:

«هُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ صَلاَةٍ بِعَشْرٍ فَتِلْكَ خَمْسُونَ».

فَرَجَعَ ﷺ إِلَى مُوسَى وَأَخْبَرَهُ بِمَا تَمَّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ.

فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ وَقَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ عَلَى أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ وَاسأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

فَأجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «**قَدْ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى استَحْيَيْتُ وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ**»[١].

عِنْدَ ذَلِكَ سَمِعَ النِّدَاءَ.

«**قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي**»[٢].

فَوَدَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَهَبَطَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد: (٨/ ٣٩)، وأبو عوانة في المسند: (١/ ٢٤).
(٢) المرجع السابق.

الفَصلُ الثَّامِنُ وَالعشْرُون

عَودُهُ إِلَى مَكَّةَ وَإِخبَارُهُ قَومَهُ بِمَسرَاهُ

عَوْدُهُ إِلَى مَكَّةَ وَإِخْبَارُهُ قَوْمَهُ بِمَسْرَاهُ

هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَرَكِبَ معْهُ البُرَاقَ إِلَى مَكَّةَ، فَمَرَّ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ بِعِيرٍ لقُرَيْشٍ قَدْ أَضَلُّوا نَاقَةً لَهُمْ، وَهُم يَطْلِبُونَهَا، فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى مَحلِّهَا، وَنَزَلَ ﷺ فِي رِحَالِهِمْ وَشَرِبَ مَاءً كَانَ فِي قَدَحٍ مُغَطًّى، وبَعْدَ أَنْ شَرِبَ مِنْهُ أَعَادَ عَلَيْهِ الغِطَاءَ ثُمَّ رَكِبَ، وَمَرَّ بِعِيرٍ أُخْرَى فَسَلَّمَ عَلَيْهِم فَأَجَابُوهُ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ هَذا صَوْتُ مُحَمَّد، وَنَفَرَتْ عِيرُهُم فكُسِرَتْ إِحْدَى قَوَائِم بَعِيرٍ لَهُمْ، ثُمَّ مَرَّ بِعِيرٍ ثالِثَةٍ قُرْبَ مَكَّةَ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَق عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدُ وَغَرَارتَانِ سَوْدَاوانِ، ثُمَّ وَصَل ﷺ مَكَّةَ قَبْلَ انقِضَاءِ اللَّيْلِ، وَدَخَلَ بَيْتَ أُم هَانِىء بِنْتِ أَبي طَالِبٍ وَكَانَتْ ذات إِيمَانٍ وَرَأْيٍ ثَاقِبٍ، وَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَهَا الخَبَرَ فَلَمْ تُنْكِر عَلَيْهِ شَيْئاً ولَكِنَّهَا رَجَتْهُ أَنْ لا يُخبِرَ قُرَيْشاً بِذَلِكَ.

فَقَالَ ﷺ: «**لا بُدَّ مِنْ إِخْبَارِهِمْ**»، وَأَرَادَ الخُرُوج فَجاذَبَتْهُ رِدَاءَهُ فَجَذَبَهُ مِنْهَا وَخَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ وَجَلَسَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ.

فَجَاءَهُ أَبُو جَهْلٍ وَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ خَبَرِ اليَوْمَ؟ استِهْزَاءً بِالنَّبِيِّ.

فَقَالَ ﷺ: «نَعَمْ أُسْرِيَ بِي البَارِحَةِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِس».

فَلَمْ يَدعْهُ يُتِمَّ كَلامَهُ بَلْ قَالَ: هَلْ إِذَا دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُخْبِرهُمْ بِمَا أَخْبَرْتَنِي؟

قَالَ ﷺ: «نَعَمْ».

فَصَاحَ أَبُو جَهْلٍ: هَلُمُّوا يَا بَنِي كَعْبٍ إِلَى حَدِيث مُحَمَّدٍ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا ابْنَ أَخِي حَدِّثْهُمْ بَمَا حَدَّثْتَنِي؟! فَأَخْبَرَهُمْ ﷺ بأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَصَلَّى بِمَسْجِدِهِ فَلَمْ يَدْعُوهُ يُتِمَّ حَدِيثَهُ بَلْ ضَجُّوا فِي وَجِهِهِ وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى رُؤوسِهِم اسْتِغْرَاباً لِخَبَرِهِ.

وَقَالَ أَشقَاهُمْ: إِنَّنَا نَضْرِبُ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ أَكْبَادَ الإِبِلِ[1] شَهْراً ذَهَاباً وَشَهْراً إِياباً وَأَنْتَ تَذْهَبِ إِلَيْهِ وَتَعُودُ فِي لَيْلَةٍ واحدةٍ، هُوَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً كَاذِبٌ.

فَحَاوَلَ النَّبِيُّ إِقْنَاعَهُمْ فَلَمْ يَصْغُوا إِلَى حَدِيثِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

(١) أكباد الإبل: يقال: تُضرب إليه أكباد الإبل؛ أي: يرحل إليه في طلب العلم وغيره.

الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالعشْرُون

إِقَامَتُهُ ﷺ البُرْهَانَ عَلَى صِدْقِ الخَبَرِ

إِقَامَتُهُ ﷺ البُرْهَانَ عَلَى صِدْقِ الخَبَرِ

بَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ مَعَ قَوْمِهِ عَلَى الحَالَةِ السَّابِقَةِ يُرِيدُ إِقْناعَهُمْ أَذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَقَامُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرُوهُ الخَبَرَ، بُغْيَةَ أن يُزَلْزِلُوا إِيمَانَهُ بَسَيِّد البَشَرِ، فَأَجَابَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: إِنِّي أُصَدِّقُ مُحَمَّداً فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا سَمِعُوا كَلامَهُ أَقْبَلُوا مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَصِفَ لَهُمُ مَسْجِدَ بَيْتِ المَقْدِس لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، فَسَأَلُوهُ عَنْ شَكْلِهِ وَأَبْوَابِهِ وَنَوَافِذِهِ، وَمِنَ المَعْلُوم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ بَاللَّيْلِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ قَصْدٌ فِي مَعْرِفَةِ شَكْلِهِ وَأَبْوَابِهِ وَنَوَافِذِهِ، فَحَصَلَ لَهُ غَمٌّ عَظِيمٌ عِنْدَمَا وَجَّهُوا إِلَيْهِ ذَلِكَ السُّؤَالَ، غَيْرَ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَ بَأَنْ يُرْفَعَ لَهُ المَسْجِدَ أَو تُمَثَّلَ أَمَامَهُ صُورَتُهُ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيُجِيبُهُمْ عَنْ كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ، وَلَمَّا رَأَى المُشْرِكُونَ إِصَابَتَهُ فِي الجَوَابِ قَالُوا: إِنَّ هَذَا هُوَ السِّحْرُ الَّذِي تتحَيَّرُ فِيهِ الأَلْبَابُ.

غَيْرَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا إِفْحَامَهُ بِسُؤَالٍ آخَرَ وَجَّهُوهُ إِلَيْهِ فَقَالُوا:

هَلْ رَأَيْتَ عِيرَنَا القَادِمَةَ مِنَ الشَّامِ؟

قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ رَأَيتُ عِيرَ بَنِي فُلانٍ بِالمَحَلِّ الفُلانِي، وَقَدْ**

أَضَلُّوا نَاقَةً لَهُمْ فَأَخبَرتُهُمْ بِمَحَلِّهَا، ثُمَّ نَزَلْتُ فِي رِحَالِهِمْ، وَشَرِبْتُ مَاءَ كَانَ فِي قَدَحٍ لأَحَدِهِمْ، ثُمَّ مَرَرْتُ بَالعِيرِ الثَّانِيَةِ فِي مَحَلٍّ كَذَا وَكَلَّمْتُهُمْ فَنَفَرتْ عِيرُهُم فكُسِرَتْ إِحْدَى قَوَائِمِ جَمَلٍ أَحْمَرَ لَهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا صَوْتُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ قُرْبَ مَكَّةَ مَرَرْتُ بعِيرٍ ثَالِثَةٍ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدُ وَغرارَتَان سَوْدَاوَان. وهَا هِيَ الآنَ تَطْلُعُ عَلَيكُمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ».

فَلَمَّا أَتَمّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الكَلاَم، طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ العِيرُ يَقْدُمُهَا الجَمَلُ الأَوْرَقُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ العِيرَيْنِ الأُخْرَيين مَتَى يَكُونُ وُصُولُهُمَا؟ فَعَيَّنَ لَهُمْ يَوْمَ وُصُولِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَلَمَّا وَصَلَتَا فِي اليَوْمَين المُعَيَّنَين، وَسَأَلُوهُمْ عَمَّا جَرَى لَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ كَانَ جَوَابُهُمْ مُطَابِقاً لِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَآمَنَ بِهِ المُوَفَّقُونَ، وَأَصَرَّ عَلَى تَكذِيبِهِ وَرَمْيِهِ بِالسحْرِ المخْذولُونَ.

الفَصلُ الثَّلاثُونَ

بَعضُ أَسرَارِ الإِسرَاءِ وَالمِعرَاجِ وَحِكَمَتِهَا

بَعْضُ أَسْرَارِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ وَحِكْمَتِهَا

إِنَّ فِي قِصَّةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ أَسْرَاراً وَحِكَماً كَثِيرةً، نَقْتَطِفُ مِنْ زُهُورِهَا مَا يُلاَئِمُ هَذِهِ الزُّبْدَةَ المُخْتَصَرَةَ فَنَقُولُ:

أَوَّلاً: إِنَّ قِصَّتَي الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ وَقَعَتَا فِي أَثْنَاءِ العَامِ الَّذِي اشْتَدَّ فِيهِ الأَذَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ عَمِّه، فَكَانَ وُقوعُ هَذَيْنِ الحَادِثَتَيْنِ العَظِيمتَيْن، تَسْلِيَةً لَمَّا ألمَّ بِهِ، وَتَفْرِيجاً لبَعْض كُربَهُ، بِمُشَاهَدَة عَجَائِبِ المَخْلُوقَات، وَبَدَائِعِ المصْنُوعَاتِ، وَبِمُعَايَنَةِ دَارِ النَّعِيمِ المُعَدَّةِ للمُؤْمِنِينَ، وَالنَّارِ مَقَرِّ العَذَابِ وَالعِقَابِ لِلكَفَرَةِ الجَاحِدِينَ، وبِذَلِكَ اطمَأَنَّت نَفْسُهُ ﷺ بِنَجَاحِهِ فِي دَعْوَتِهِ، وَهَانَ عَلَيْهِ كُلُّ مَا يَلقَاهُ فِي سَبِيلِهَا مِنْ مُعَانِدِي قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ.

ثَانِياً: إِنَّ فِي اجْتِمَاعِهِ ﷺ بِالأَنْبِيَاءِ وَتَرْحِيبِ مَنْ لاَقَاهُ مِنْهُمْ فِي السَّمَاءِ، وَفِي تَرَدُّدِهِ بَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَمَوْلاهُ لِطَلَبِ التَّخفيف عَنْ أُمَّتِهِ فِي عَدَدِ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ فِي إِسْعافِ الله سُبْحانَهُ وَتَعَالى لَهُ بِمَا طَلَب إِشَارَاتٌ عَظِيمَة إِلَى مَا مُيِّزَ بِهِ مِنَ الفَضْلِ، وَمَا خُصَّ بِهِ مِنْ عُلُو القَدْرِ.

ثَالِثاً: إِنَّ فِي رَفْعِهِ إِلَى أَعْلَى السَّمَاوَاتِ. وسَمَاعِهِ بِأُذُنَيْهِ الأَمْرَ مِنْ رَبِّهِ بِفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، إِشَارَةً إِلَى أَن فَرْضَهَا لَيْسَ كَغَيْرِهَا مِنْ فُرُوضِ العِبَادَاتِ، وَلِهَذَا لا يُعْذَرُ بِحَالٍ تَارِكُهَا، وَيَمْرُقُ مِنْ دِينِ الإِسْلامِ جاحِدُهَا.

رَابِعاً: إِنَّ فِي الإِسْرَاءِ بِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ قَبْلَ المَعْرَاجِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهِ ثُمَّ السَّفَرَ مِنْهُ إِلَى مَكَّةَ، حِكْمَةً عَظِيمَةً وَسِرّاً عَجِيباً، هُوَ تَمكُّنُهُ ﷺ مِنْ إِقَامَةِ بُرْهَانٍ مَحْسُوسٍ لِقَومِهِ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا سَيُحَدِّثُهُمْ بِهِ مِمَّا حَصَلَ لَهُ فِي لَيْلَتِهِ، فَقَدْ صَادَفَ عِيرَ قُرَيْشٍ فِي طَرِيقِهِ وَعَرَفَ أَحْوَالَهُمْ وَأَسْمَعَهُمْ صَوْتَهُ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى ضَالَّتِهِمْ، ثُمَّ شَهِدُوا لَهُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُمْ بَعْدَ رُجوعِهِمْ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ قَاطِعٌ لأَلْسِنَةِ الخُصُومِ وَبُرْهَانٌ سَاطِعٌ عَلَى صِدْقِ المَعْصُومِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

الفَصلُ الحَادِي وَالثَّلاثُونَ

تَعلِيمُ كَيفِيَّةِ الصَّلَوَاتِ وَتَحدِيدُ أَوقَاتِهَا

تَعْلِيمُ كَيْفِيَّةِ الصَّلَوَاتِ وَتَحْدِيدُ أَوْقَاتِهَا

لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ مِنْ مَحَاوَرَةِ قُرَيْشٍ وَإِقَامَةِ البُرْهَانِ القَاطِعِ عَلَى صِدْقِهِ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ مَسْرَاهُ، هَبَطَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ كَيْ يُعَلِّمَهُ وَالمُسْلِمِينَ كيفِيَّةَ الصَّلاةِ، فَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِمَاماً وَخَلْفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالمُؤْمِنُونَ فَصَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ حِينَ زَالتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ العَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ المَغْرِبَ حِينَ غَرَبَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ العِشَاءِ وَقْتَ زَوَالِ الشَّفَقِ، ثُمَّ الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الفَجْرُ، ثُمَّ فِي اليَوْمِ الثَّانِي صَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيءٍ مِثْلَهُ. وَالعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيءٍ مِثْلَهُ وَالمَغْرِبَ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَالعِشَاءَ عَنْدَ ثُلثِ اللَّيلِ، وَالفَجْرَ وَقْتَ الإِسْفَارِ؛ أَيْ: قُبَيلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: الوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ؛ أَيْ: مَا بَيْنَ الوَقْتِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ اليَوْمِ الأَوَّل وَالوَقْتُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ فِي اليَومِ الثَّانِي، وَبِذَلِكَ حَصَلَ السُّرُورُ العَظِيمُ لِكَافَّةِ المُسْلِمِينَ.

الفَصلُ الثَّانِي وَالثَّلاثُونَ

شِدَّةُ المُعَارَضَة سَبَبٌ لانْتِشَارِ الدَّعْوَةِ

شِدَّةُ المُعَارَضَة سَبَبٌ لانْتِشَارِ الدَّعْوَةِ

شَمَّرَتْ قُرَيْشٌ عَنْ سَاعِدِ جِدِّهَا لِمُعَارَضَةِ الرَّسُولِ، فَتَتَبَّعُوا حَرَكَاتَهُ ﷺ فِي غَدَوَاتِهِ وَرَوَحَاتِهِ، وَجَلَسُوا عَلَى أَفْوَاهِ الطُّرُقِ يُنَفِّرُونَ النَّاسَ عَنِ القُرْبِ مِنْهُ وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ سَمَاعِ دَعْوَتِهِ حَتَّى أَنَّ بَعْضَهُمْ وَضَعَ القُطْنَ فِي أُذُنَيْهِ كَيْ لا يَسْمَعَ شَيْئاً مِنْ تِلاَوَتِهِ.

حَكَى الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرو الدَّوَسِي عَنْ سَبَبِ إِسْلاَمِهِ وَكَانَ شَاعِراً لَبِيباً ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فَعَارَضَنِي رِجَالٌ مِنْ قُرَيْش يُحَذِّرُونَنِي مِنَ القُرْبِ مِنْ مُحَمَّدٍ وَسَمَاعِ شَيءٍ مِنْ كَلاَمِهِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ السِّحْرُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ وَزَوجِهِ وَبَنِيهِ. قَالَ: وَمَا زَالُوا بِي حَتَّى كُنْتُ أَضَعُ القُطنَ فِي أُذُنِي إِذَا مَرَرْتُ بِقُرْبِهِ، وَلَكِن أَبَى الله إِلاَّ أَنْ أَسْمَعَ شَيْئاً مِنْ كَلاَمِهِ، فَسَمِعْتُ شَيْئاً حَسَناً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّسُولُ إِلَى مِنْزِلِهِ تَبِعْتُهُ وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيَّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَأَنْ يُسْمِعَنِي آيَاتِ القُرآنِ، فَأَسْلَمْتُ وَعُدْتُ إِلَى قَوْمِي دَاعِياً.

وَحَكَى ضِمَادٌ الأَزْدِي أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ فَسَمِعَ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ أَنَّ مُحَمَّداً حَفِيدَ عَبْدِ المُطَّلِبِ قَدْ جُنَّ فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَرْقِي

النَّاسَ وَيَشفِي الله عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ مِنهُمْ فَهَلْ لَكَ أَنْ أَرْقِيكَ؟

فَأَجَابَنِي بِقَوْلِهِ: «**إن الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِ الله فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**». قَالَ ضِمَادٌ: فَمَا سَمِعْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ فَسَارَعْتُ إِلَى الإِسْلامِ وَمُتَابَعَتِهِ وَعُدْتُ داعياً لِقَوْمِي.

وَهَكَذَا كَانَتْ شِدَّةُ مُعَارَضَةِ قُرَيْشٍ لَهُ سَبَباً لِسُرْعَةِ انْتِشَارِ دَعْوَتِهِ ﷺ وَقُدُومُ عُقَلاءِ العَرَبِ مِنْ سَائِرِ الجِهَاتِ لِسَمَاعِهَا حَتَّى أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ أَوْفَدُوا مِنهُمْ عِشْرِينَ رَجُلاً، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِالرَّسُولِ ﷺ وَسَمِعُوا آيَاتِ القُرْآنِ آمَنَ بِهِ جَمِيعُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ فِي المَسْجِدِ بِمَشْهَدٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الشِّركِ.

فَقَامَ إِلَيْهِمْ أَبُو جَهْلٍ وَقَالَ لَهُمْ: أَرسَلَكُمْ قَوْمُكُمْ لِتأتُوهُمْ بِخَبَرِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ تَطْمَئِنَّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ حَتَّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ لا نَعْلَمُ رَكَباً أَحْمَقَ مِنْكُمْ.

فَأَجَابُوهُ بِقَولِهِمْ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نُجَاهِلُكُمْ لَكُمْ مَا اخْتَرتُمْ وَلَنَا مَا اخْتَرنَا.

فَأَنْزَلَ الله فِيهِمْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1] إِلَى آخِرِ الآيَاتِ.

---

(١) سورة القصص، الآية: (٥٢).

وَمِنْ مَجْمُوعِ مَا سَبَقَ يَعْلَمُ القَارِىءُ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ يَعْبَأُ بِمُقَاوَمَةِ قُرَيْشٍ بَلْ كَانَ يُقَابِلُ كُلَّ مَا يَأْتِيهِ وَيَبُثُّ دَعْوَتَهُ عَلَى مَشْهَدٍ وَمَرْأَى مِنْ رُؤَسَاءِ الشِّرْكِ وَلا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى البَطْشِ بِهِ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ قُوَّةِ عَشِيرَتِهِ وَلِتَكفُّل الله بِحِفْظِهِ وَمَنْعِهِ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ

عَرضُ الرَّسُولِ نَفسَهُ عَلَى القَبَائِلِ وَمُحَاوَرَتُهُ لَبَغضِهِم

عَرْضُ الرَّسُولِ نَفْسَهُ عَلَى القَبَائِلِ وَمُحَاوَرَتُهُ لِبَعْضِهِمْ

لَمَّا رَأَى ﷺ أَنَّ قُرَيْشاً لا تَزْدَادُ إِلاَّ عُتُوّاً وَبَغْياً رَجَا ﷺ أَنْ يُظْهِرَ الله دِيْنَهُ عَلَى يَدِ غَيْرِهِمْ مِنَ القَبَائِلَ فَكَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ فِي الأَسْوَاقِ العَامَّة يَدْعُوهُمْ إِلَى الدِّينِ وَالإِيوَاءِ وَالنَّصْرِ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الإِبْلاغِ، وَكَانَتْ رُدُودُهُمْ عَلَيْهِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ قَابِلِيَّاتِهِمْ وَسَجَايَاهُمْ. قَالُوا: وَكَانَ أَقْبَحَ الرُّدُودِ رَدُّ بَنِي حَنِيفَةَ سُكَّانَ نَجْدٍ، وَرَدُّ ثَقِيفٍ سُكَّان الطَّائِفِ. وَمِنْ أَلْطَفِهَا رَدُّ بَنِي شَيْبَانَ بنِ ثَعْلَبَةَ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةً مِنْهُمْ وَكَانَ فِيهِمْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرو، وَهَانِيءُ بْنُ قَبِيصَةَ، والمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ شَرِيكٍ، فَسَأَلُوهُ: إِلامَ تَدْعُو؟ فَقَالَ: **«أَدْعُو إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلٰه إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ تَشْهَدُوا أَنَّنِي رَسُولُ الله، وَتؤوِنِي وَتَنْصُرُونِي فَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ بَغَتْ عَلَى أَمرِ الله وَكَذَّبَتْ رَسُولَهُ، وَاستَغْنَتْ بِالبَاطِلِ عَنِ الحَقِّ»**. فَقَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ: وَإِلامَ تَدْعُو أَيْضاً يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَلا ﷺ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم

مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[1] فَقَالَ مِفْرُوقٌ مَا هَذَا مِنْ كَلاَمِ أَهْلِ الأَرْضِ عَرَفْنَا، وَإِلاَمَ تَدْعُو يا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَلا ﷺ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[2] فَقَالَ مَفْرُوقٌ: والله لَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى مَكَارِمِ الأَعْمَالِ وَمَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ وَلَقَدْ أُفِكَ قَوْمٌ صُرِفُوا عَنِ الحَقِّ وَكَذَّبُوكَ وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ. ثُمَّ تَكَلَّمَ هَانِىءُ بْنُ قَبِيصَةَ فَقَالَ: قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ. وَإِنِّي أَرَى أَنَّنَا إِنْ تَرَكْنَا دِينَنَا وَاتَّبَعْنَاكَ عَلَى دِينِكَ بِمَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ إِلَيْنَا لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلاَ آخِرٌ لَزَلَّةٌ فِي الرَّأْيِ وَقِلَّةُ نَظَرٍ فِي العَوَاقِبِ وَإِنَّمَا تَكُونُ الزَّلَّةِ مَعَ العَجَلَةِ وَإِنَّ وَرَاءَنَا قَوْماً نكْرَهُ أَنْ نَعْقِدَ عَلَيْهِمْ عَقْداً وَلَكِنْ نَرْجِعُ وَتَرْجِعُ وَنَنْظُرُ وَتَنْظُرُ. ثُمَّ تَكَلَّمَ المُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ فَقَالَ: قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ وَالجَوَابُ هُوَ جَوَابُ هَانِىءٍ، وإِنْ أَحْبَبْتَ أن نَأْوِيَكَ وَنَنْصُرَكَ مِمَّا يَلِي سَائِرَ العَرَبِ دُونَ أَنْهَارِ كِسْرَى فَعَلْنَا فَإِنَّنَا قَدْ نَزَلْنَا عَلَى عَهْدٍ أَخَذَهُ عَلَيْنَا كِسْرَى لا نُحْدِثُ حَدَثاً وَلاَ نُؤوِي مَحْدِثاً، وَإِنِّي أَرَى أَنَّ هذا الأمرُ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ ما تَكْرَهُهُ المُلُوكُ.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٥١).

(٢) سورة النحل، الآية: (٩٠).

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أَسَأْتُمْ إِذ أوضَحْتُمْ بَالصِّدقِ وَإِنَّ دِينَ الله عَزَّ وَجَلَّ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلاَّ مَنْ أَحَاطَ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ» ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ أَنْ لَنْ تَلْبِثُوا إِلاَّ قَلِيلاً حَتىٰ يُورِثُكُمُ الله أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَيُفْرِشَكم نِسَاءَهُمْ تُسَبِّحُونَ الله وَتُقَدِّسُونَهُ»(١).

فَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ شَرِيك: اللَّهُمَّ لَكَ ذَلِكَ فَتَلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾(٢) ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ وانفَضَّ المَجْلِسُ.

وَمِنْ هَذِهِ المُحَادَثَةِ وَمِمَّا سَنَذْكُرُه فِي بَيْعَةِ الأَنْصَارِ يُدْرِكُ القَارِئُ البَصِيرُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ العَرَبُ مِنَ الذَّكَاءِ، وَصِدْقَ الحَدِيثِ، وَالصَّرَاحَةِ فِي القَوْلِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَدِقَّةِ النَّظَرِ فِي العَوَاقِبِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ يعرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهَا: «أَنَا لا أُكْرِهُ أَحَداً عَلَى شَيءٍ مَنْ رَضِيَ الَّذِي أَدْعُو إِلَيْهِ فَذَاكَ وَمَنْ كَرِ لَمْ أُكْرِهْهُ وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ فِي مِنعَةٍ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي».

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ السِّيَرِ فِي إِسْلامِ مَفْرُوق وَالمُثَنَّى وَالنُّعْمَانَ فَأَثْبَتَ بَعْضُهُمْ إِسْلامَهُمْ وَأَمَّا هَانِىءٌ فَلَمْ يُذْكَرْ لَهُ إِسْلامٌ وَلَعَلَّهُ هَلَكَ قَبْلَ ظُهُورِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) أخرجه الهندي في كنز العمال: (٣٥٦٨٤)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: (٥/ ٢٤٨)، وابن كثير في البداية والنهاية: (٣/ ١٤٤).

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: (٤٥-٤٦).

الفَصلُ الرَّابِعُ والثَّلاثُونَ

إِسلاَمُ الأَوس والخَزرج

إِسْلاَمُ الأوس الخَزْرَجِ

لَمَّا أَرَادَ الله إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ رَسُولِهِ يَسَّرَ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي حَجِّ السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِقَاءَ سِتَّةٍ مِنَ الخَزْرَجِ، هُمْ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَعَوْفُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَفْرَاءَ ـ وَهُمَا مِنْ بَنِي النَّجَارِ ـ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْن حَدِيدٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْن نَابٍ مِنْ بَنِي حَرَام، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْن رِئَابٍ مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ. فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى سَمَاعِ دَعْوَتِهِ، وَدَخَلَ مَعَهُم الشِّعْبَ القَرِيبَ مِنْ عَقَبَةِ مِنَى عَلَى يَسَارِ الصَّاعِدِ إِلَيْهَا فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَحْوَ مَا كَانَ يَعْرِضُهُ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ قَبَائِلِ العَرَبِ، وَحَيْثُ أَنَّ أَهْلَ يَثْرِبَ كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنَ اليَهُودِ جِيرَانِهِمْ صِفَاتِ النَّبِيِّ المَوْعُودِ بِهِ آخِرِ الزَّمَنِ، وَرَأَوْا صِفَاتَهُ ﷺ مُطَابِقَةً لَمَا كَانُوا يَسْمَعُونَ أَيقَنُوا بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّه حَقّاً، فَاطمَأَنَّت بِمَا سَمِعُوا مِنْهُ قُلُوبُهُمْ وَبَادَرُوا إِلَى الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يؤوُهُ وَيَمْنَعُوا عَنْهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ مَوْلاَهُ.

فَأَجَابُوا بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ بَيْنَ قَوْمِنَا لَشَراً وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فَدَعْنَا نَرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَنَدْعُوهُمْ إِلَى مَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ لَعَلَّ الله يَجْمَعُ كَلِمَتَهُم

فَيَتَّبِعُوكَ فَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أَعَزَّ مِنْكَ وَمَوْعِدُكَ الموسِمُ القَابِلُ.

فَرَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ بِذَلِكَ وَانْصَرَفُوا إِلَى المَدِينَةِ وَذَكَرُوا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ لأَصْحَابِهِمْ وَانْتَشَرَ ذِكْرُ النَّبِيِّ بَيْنَ قَوْمِهِمْ.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ العَامُ الثَّانِي عَشَرَ قَدِمَ مَنْ عَدَا جَابِراً مِمَّنْ أَسْلَمَ سَابِقاً وَمَعَهُمْ سَبْعَةٌ آخَرُونَ إِثْنَانِ مِنَ الأَوْسِ هُمَا: أَبُو الهَيْثَمِ مَالِكُ بْنُ النَّبْهَانِ، وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ. وَخَمْسَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ هُمْ: مَعَاذُ بْنُ الحَارِثِ بن عَفْرَاءَ، وَذَكْوَانَ بْنُ عَبْدِ القَيْسِ الزَّرْقِيّ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بن قَيْسٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ البَلَوِيُّ، وَالعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنُ فَضْلَةَ بْنِ العَجْلاَنِ. وَهَذَا أَقَامَ بِمَكَّةَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى وَطَنِهِ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ النَّبِيُّ إِلَيهِ فَهُوَ أَنْصَارِيٌّ مُهَاجِرٌ فَوَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ العَقَبَةَ الَّتِي أَسْلَمُوا فِيهَا فِي العامِ الحَادِي عَشَرَ.

ولَمَّا اجْتَمَعَ الاثْنَا عَشَرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْمَعَهُمْ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَتَلاَ عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِنَ الكِتَابِ المُنَزَّلِ عَلَيْهِ، بَادَرَ بِالدُّخُولِ فِي الإِسْلامِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَسْلَمَ فَكَمُلَ بِهِمْ عَدَدُ الأَنْصَارِ السَّابِقِينَ للإِسْلامِ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَهُوَ أَبْرَكُ عَدَدٍ تَكَوَّنَتْ مِنْهُ نَوَاةُ الأَنْصَارِ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ.

وَذَلِكَ مُخَالِفٌ لِمَا يَعتَقِدُهُ بَعْضُ مُقَلِّدِي الأَوْرُبِّيِّينَ مِنْ شُؤْمِهِمْ هَذَا العَدد فَلاَ يَسْكُنُونَ دَاراً عَلَيْهَا رَقْمُ هذَا العَدَدِ، وَلاَ

يَنْتَخِبُونَ لَجْنَةً بِهَذَا العَدَد. وَلاَ يُسَافِرُونَ فِي اليَوم المُوافِقُ لَهَذَا العَدَد. وَقَد جَرَّبْتُه ذَلِكَ مِرَاراً فَكَانَ فِيهِ السَّعْدُ وَاليُمْنُ عَكْسَ مَا يَعْتَقِدُهُ مُقَلِّدُو الأُوروبِّيينَ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُبَايِعُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالإِيواء، وَأَنْ يَمْنَعُوهُ كَمَا يَمْنَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَالأَبْنَاءِ، فَبَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ وأَنْ يُهَاجِرَ إِلَيْهِمْ هُوَ وَأَصْحَابِهِ مَتَى أَذِنَ الله لَهُ.

وَلَمَّا عَزَمُوا عَلَى العَوْدِ إِلَى المَدِينَةِ بَعَثَ مَعَهُمْ مُعَلِّمَيْنِ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْر العَبْدَرِي. وَعَمْرو بنِ أُمِّ مَكْتُوم، وَأُمُّهُ هِيَ عَاتِكَةُ خَالَةُ خَدِيجَةَ أُم المُؤمِنِينَ وَهُوَ الأَعْمَى الَّذِي عَاتَبَ الله نَبِيَّه لأَجْلِهِ. فَأَنْزَلَهُمَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ فِي دَارِهِ، وَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِنَشْرِ الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِمَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَهَذَان المُعَلِّمَانِ هُمَا الجَدِيرانِ بالإِجْلاَلِ وَالتعْظِيم وَبِأَنْ تُزَانَ بِنَقْشِ اسمَيْهِمَا صُدُورُ المَدَارِسِ وَالمَعَاهِدِ، وَيَحْفَظَ اسْمَيْهِمَا كُلُّ مُعَلِّم وَطَالِب فَمِمَّنْ أَسْلَمَ بِدَعْوَتِهِمَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ - رَئِيسُ الأَوْسِ - وَابْنُ عَمِّهِ أُسَيْدُ بن الحُجَيْرِ، وَبِإِسْلاَمِهِمَا تَتَابَعَ دُخُولُ أَهْلِ المَدِينَةِ فِي الإِسْلاَمِ وَجَدُّوا فِي إِقَامَةِ شَعَائِرِهِ فَبَنَوا لَهُمْ مَسَاجِدَ وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَاباً لِمُعَلِّمِهِمْ مُصْعَب بن عُمَيْرٍ يَقُولُ فِيهِ:

«أَمَّا بَعْدُ: فانظُرِ اليَومَ الذي تَجْهرُ فِيهِ اليَهُودُ بِالزَّبُورِ لِسَبْتِهِمْ فَاجْتَمِعُوا فِي اليَوم الَّذِي قَبْلَهُ وَمَعَكُمْ نِسَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ فَإِذَا مَالَ

النَّهَارُ عَنْ شَطْرِهِ فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِرَكْعَتَيْنِ»، فَجَمَعَهُمْ مُصْعَبٌ فِي مَسْجِدِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ وَصَلَّى بِهِمْ فَهِيَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ أُقِيمَتْ فِي الإِسْلاَمِ وَبِهَا ظَهَرَتْ شَعَائِرُهُ. لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ إِقَامَتِهَا بِمَكَّةَ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِبَادَتَهُ ﷺ وَأَصْحَابِهِ كَانَتْ لا تَزَالُ بِمَكَّةَ مَخْفِيَّةً فَلاَ يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا بَعْدَ إِسْلاَمِ عُمَرَ رَضِي الله عَنْهُ يَجْهَرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ عَلَنِيهِمْ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَة وَالرِّضوان.

الفَصْلُ الخَامِسُ وَالثَّلاثُونَ

عَزْمُ مُصْعَبٍ وَمُسْلِمِي الخَزْرَجِ البَيْعَةَ الكُبْرَى

عَزْمُ مُصْعَبٍ وَمُسْلِمِي الخَزْرَجِ البَيْعَةَ الكُبْرَى

فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشَرَ مِنَ البِعْثَةِ عَزَمَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى الحَجِّ لِيُبْلِغ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا تَمَّ عَلَى يَدِهِ وَيَدِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ مِنْ نَجَاحِ الدَّعْوَةِ فِي عَامٍ وَاحِدٍ وَإِقْبَالِ النَّاسِ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَانْتَشَرَ ذَلِكَ الخَبَرُ، وَعَزَمَ أَكْثَرُ المُسْلِمِينَ عَلَى الخُرُوجِ مَعَهُ لِمُبَايَعَةِ النَّبِيِّ، وَطَلَبِ هِجْرَتِهِ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجُوا مِنَ المَدِينَةَ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمُ المُشْرِكِينَ الَّذين كَانَ عَدَدُهُمْ فِي ذلِكَ العَامِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمَائَةٍ وَلَمَّا وَصَلُوا مَكَّةَ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُهُمْ بِالنَّبِيِّ وَوَاعَدُوهُ ﷺ آخَرَ لَيَالِي التَّشْرِيقِ فِي شُعْبِ العَقَبَةِ الَّذِي كَانَ بِهِ إِسْلاَمُ السَّابِقِينَ مِنْهُمْ وَهُوَ مَعْرُوفٌ إِلَى الآن وَقَدْ بُنِيَ فِيهِ مَسْجِدٌ تَذْكَاراً بِهَذَا الحَادِثِ العَظِيمِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ لا يُنَبِّهُوا نَائِماً وَلاَ يَنْتَظِرُوا غَائِباً، وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةَ النَّفْرِ خَرَجُوا يَتَسَلَّلُونَ تَسَلُّلَ القَطَا[1]، وَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي الشِّعْبِ أَتَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ وَمَعَهُ عَمُّهُ العَبَّاس وَأَبُو بَكْرٍ وعَلِيٌّ

(١) القطا: جنس طير، الواحدة قطاة، أنواعه عديدة، قريبة الشبه من الحمام، وهي سريعة الطيران، تطير مسافات شاسعة في طلب القوت والماء، وتألف الصحارى، وتعيش أسراباً كبيرة.

فَجعَلَ ﷺ الأخِيرَيْنِ عَلَى فَمِ الشِّعْبِ وَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مَعَ عَمِّه العَبَّاسِ فَقَطْ فَكَانُوا ثَلاثَةً وسَبْعِينَ رَجُلاً وَامْرأَتَيْنِ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ أَوْسِياً وَالبَاقُونَ مِنَ الخَزْرَجِ نُعَطِّرُ الكِتَابَ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ كَمَا عَطَّرْنَاهُ بِذِكْرِ السَّابِقِينَ وَالسَّابِقَاتِ مِنْ قُرَيْشٍ لأَنَّ مِنْ أُولئِكَ وَهَؤُلاءِ وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ بِالمَدِينَةِ تَكَوَّنَتْ نَوَاةُ شَجَرَةِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ وَبِفَضْلِ ثَبَاتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَتَضْحِيَاتِهِمْ ثَبَتَتْ أُصُولُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الزَّكِيَّةِ وَامْتَدَّتْ فُرُوعُهَا إِلَى سَائِرِ أَقْطَارِ الكُرَةِ الأَرْضِيَّةِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَهَذِهِ أَسْمَاؤُهُم:

أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيرِ، ابنُ الهَيْثَم مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ، رفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ المُنْذِرِ، سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ، عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، مَعْنُ بْنُ عَدِيّ بْنُ الجَدْ، نُهَيْرُ بْنُ الهَيْثَم، أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نَيَارٍ، ظُهَيْرُ بْنُ رَافِعٍ، عَبْدُ الله بن جُبَيْرٍ، سَلَمَةُ بْنُ سَلامَةَ، فَهَؤُلاءِ مِنَ الأَوْسِ. وَأَمَّا من الخَزْرَجُ فَهُمْ: أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، البَرَاءُ بْنُ مَعْرُور، عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ، سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، المُنْذِرُ بْنُ عَمْرو، رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَجْلانَ، عَبْدُ الله بْنُ عَمْرو بْنُ حَرَامٍ وَالدُ جَابِرٍ، أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ الأَنصَارِيُّ، العَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنُ فَضْلَةَ، أَوْسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنُ عَدِيٍ، مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، مَعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنُ الجَمُوحِ، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ

الله بْنُ عَمْرو بْنُ حَرَام، عَمْرو بْنُ الحَارِثِ بْن لبْدَةَ، عَمْرُو بْنُ غَزِيَّة، مَعَاذُ بْنُ الحَارِثِ، عُقْبَةُ بْنُ وَهْبِ بْنِ كِلْدَةَ، عَوْفُ بْنُ الحَارِثِ، رِفَاعَةُ بْنُ عَمْرو بْن زَيْدٍ، عَمَارَةُ بْنُ حَزْم، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ سَهْلُ بْنُ زَيْد بْن ثَعْلَبَةَ، سَهْلُ بْنُ عتَيْكٍ، أَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ، خَدِيجُ بْنُ سَلاَلٍ، قَيْسُ بْنُ أَبِي صَعْصَعَةَ، خَارِجَةُ بْنُ زَيدٍ. عُمَيْرُ بْنُ الحَارِثِ بْن ثَعْلَبَةَ، بَشِيرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، عَبْدُ اللَّهِ بْن زَيدٍ، عُمَيْرُ بْنُ الحَارِثِ بن ثَعْلَبَةَ، عُقْبَةَ بْنُ عَمْرو بْنُ ثَعْلَبَةَ، ثَابِتُ بْنُ الجَذْعِ، خَلاَّدُ بْنُ سُوَيْدٍ، خَالِدُ بْنُ عَمْرِو بْن عَدِيٍّ، عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَنَسٍ، فَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو، خَالِدُ بْنُ قَيْسِ بْن مَالِكٍ، زِيَادُ بْنُ لُبَيْدٍ، عَمْرُو بْنُ غُنْمَةَ، ثَعْلَبَةُ بْنُ غُنْمَةَ، صَيْفِيُّ بْنُ سَوَادَةَ، أَبُو اليُسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو، ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، عُبَادَةُ بْنُ قَيْسِ بْن عَامِرٍ، الحَارِثُ بْن قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ، يَزِيدُ بْنُ عَامِرِ بْن حَدِيدٍ، قَطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابٍ، سُلَيْمُ بْنُ عَمرو بْنِ حَدِيدٍ، كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، الطُّفَيْلُ بْنُ مَالِكِ بْنُ مَالِكٍ، جَبَّارُ بْنُ صَخْرَة، يَزِيدُ بْنُ حَرَامٍ، الضَّحَّاكُ بْنُ حَارِثَةَ، مَسْعُودُ بْنُ يَزِيدَ بْنُ سُبَيْعٍ، يَزِيدُ بْنُ المُنْذِرِ بْن سَرْحٍ، مَعْقِلُ بْنُ المُنْذِرِ بْن سَرْحٍ، الطُّفَيْلُ بْنُ النُّعْمَانِ، سِنَانُ بْنُ صَيْفِي، بَشِيرُ بْنُ البَراءِ بْن مَعْرُورٍ، أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ، فَهَؤُلاَءِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ رَجُلاً وَلَعَلَّ ابْنَ عُمَيْرٍ هُوَ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ، لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ فَهُوَ مُعَلِّمٌ للأَنْصَارِ وَرَئِيسٌ

لَهُمْ فِي هَذِهِ الحجَّةِ، وَيَبْعُدُ أنْ لا يَحْضُرَ تِلْكَ البَيْعَةَ، وَهُوَ الدَّاعِي إِلَيْهَا، فَإِنَّنِي لَمْ أظْفَر بِغَيْرِ الاثْنَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ، وَأَمَّا المرأتَانِ فَهُمَا: أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرو بْنِ عَديّ، وَنَسيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، وَتُكَنَّى بِأُمِّ عَمَارَةَ، وَلِنَسِيبَةَ هَذِهِ تَارِيخٌ مَجِيدٌ، فَقَدْ شَهِدَتِ الحُرُوبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَتْهَا وَمَعَهَا أُختُهَا وَزَوْجُهَا زَيْدُ بْنُ عَاصِمٍ وَابْنَاهَا خَبِيبٌ وَعَبْدِ الله وَقْتَ قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ وَشَارَكَتِ الأَبْطَالِ فِي قَتْلِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ وَأُصِيبَتْ بِجُرُوحٍ كَثِيرةٍ، رَضِيَ الله عَنْهَا وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

الفَصلُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ

البَيعَةُ الكُبرَى وَمَا دَارَ فِيهَا

وَعَلَى أيِّ شَيءٍ وَقَعَتْ

البَيْعَةُ الكُبْرَى وَمَا دَارَ فِيهَا وعَلَى أيِّ شَيءٍ وَقَعَتْ

لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الشِّعْبَ عَلَى الأَنْصَارِ وَمَعَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ تَلَقَّوْهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلاَلِ، وَظَهَرَتْ عَلَى الجَمِيعِ علائِمُ السُّرُورِ، وَافْتَتَحَ العَبَّاسُ الكَلامَ فَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ إِنَّ مُحَمَّداً مِنَّا حَيْثُ تَعْلَمُونَ وَقَدْ مَنَعْنَا عَنْهُ قَوْمَنَا، غَيْرَ أَنَّهُ أَبَى إِلاَّ الانْحِيَازِ إِلَيْكُمْ وَاللحُوق بِكُمْ، فَإِنَّ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُوفُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ وَمَانِعُوهُ فَأَنْتُمْ وَمَا طَلَبْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ خَاذِلُوهُ فَمِنَ الآن دَعُوهُ فَإِنَّهُ بِبَلَدِهِ فِي مِنعَةٍ بِعَشِيرَتِهِ، فَرُوا رَأْيَكُمْ وَأْتمِروا بَيْنَكُمْ وَلاَ تَفَرَّقُوا فَإِنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ أَصْدَقُهُ.

فَأَجَابَهُ البَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِقَوْلِهِ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا غَيْرَ مَا سَمِعْتَهُ لَقُلْنَاهُ وَلَكِنَّا نُرِيدُ الوَفَاءَ وَالصِّدْقَ وَبَذْلَ المُهَجِ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ثُمَّ قَالُوا لِرَسُولِ الله قَدْ سَمِعْنَا كَلاَمَ عَمِّكَ، فَتَكَلَّمَ أَنْتَ وَخُذْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا أَحْبَبْتَ؟

فَقَالَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ: «**أَمَرني لِرَبِّي أَنْ تَعْبِدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، ولِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ**».

ثُمَّ تَلاَ عَلَيْهِم شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ وَذَكَّرَهُمْ بِاللَّهِ وَبِوَاجِبِهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالكَسَلِ وَالمِنْعَةِ، فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ لاَ تَخْشُونَ لَوْمَةَ لائِم، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي وَتَمْنَعُونِي بِمَا تَمْنَعُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الجَنَّةُ**»[1].

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: رَبِحَ البَيْعُ لا نُقِيلُ وَلاَ نَسْتَقِيلُ.

وَقَالَ البَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَنَمْنَعُ عَنْكَ كَمَا نَمْنَعُ عَنْ أَنْفُسِنَا فَنَحْنُ والله أَهْلُ حَرْبٍ وَسِلاحٍ وَرِثْنَا ذَلِكَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ.

فَقَالَ العَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْن فُضْلَةَ ـ مِنَ الخَزْرَجِ ـ: هَلْ تَدْرُونَ عَلامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ، تُبَايِعُونَهُ عَلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، فَإِنْ تَرَوْنَ إِنَّكُمْ إِذَا أَنْهَكَتْكُمُ الحَرْبُ أَسْلَمْتُمُوهُ فَذَاكَ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

فَقَالَ أَبُو الهَيْثَمِ بنِ التَّيْهَانِ ـ مِنَ الأَوْسِ ـ: نُبَايِعُهُ عَلَى مُصِيبَةِ المَالِ وَقَتْلِ أَشْرَافِ الرِّجَالِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى جِهَةِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَالَ: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَقْوَامٍ حِبَالاً (عُهُوداً) وَإِنَّا قَاطِعُوهَا

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (٨/١٤٦)، وأحمد في المسند: (٢/٣٢٢).

لأجْلِكَ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَظْهَرَكَ الله أنْ تَرجعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا.

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله وَقَالَ: «**بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالهَدْمُ الهَدْمُ، أُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ، وَأُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ**»(١).

عِنْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمُوا لمُبَايَعَتِهِ يُصَافِحُونَهُ، فَتَقَدَّمَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ، وَقَالَ:

أُبَايِعُ اللَّهَ وَأُبَايِعُكَ عَلَى أنْ أُتِمَّ عَهْدِي بِوَفَائِي، وَأُصَدِّقَ قَوْلِي فِي نَصْرِكَ بِفِعْلِي.

وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ المُنْذِر: أُبَايِعُ اللَّهَ وَأُبَايِعُكَ عَلَى الإِقْدَامِ فِي أَمْرِ الله لا أَرْأَفُ بِقَرِيبٍ وَلاَ بِبَعِيدٍ.

وَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتُ: أُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى أنْ لا تَأْخُذَنِي فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ.

وَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: أُبَايِعُ الله وَأُبَايِعُكَ عَلَى أنْ لا أَعْصِيَ لَكُمَا أَمْراً، وَلاَ أَكْذِبَ لَكُمَا حَدِيثاً.

وَهَكَذَا فَعَلَ غَيْرُهُمْ كُلٌّ تَكَلَّمَ بِمَا فُتِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ بَايَعَ ﷺ المرْأَتَيْنِ مُصَافَحَة.

وَلَمَّا تَمّتِ المُبَايَعَةُ، تَكَلَّمَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِمَا بَايَعْتُمُوهُ عَلَيْهِ ذِمَّةُ الله، وعَهْدُ اللَّهِ، فِي هَذَا الشَّهْرِ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١٩/ ٨٩).

الحَرَامِ، وَالبَلَدِ الحَرَامِ، يَدُ الله فَوقَ أَيْدِيَكُمْ لَتَجِدُنَّ فِي نَصْرِهِ، وَتَشُدُّن أزْرَهُ.

فَقَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ سَامِعٌ شَاهِدٌ، وَإِنَّ ابْنَ أَخِي قَدْ اسْتَرْعَاهُمْ ذِمَّتَهُ وَاسْتَحْفَظَهُمْ نَفْسَهُ، اللَّهُمَّ كُنْ لابنِ أخي شَهِيداً.

وَبِذَلِكَ تَمَّتِ البَيْعَةِ، وَالقَارىء البَصِيرُ يَجْزِم بِأَنَّ العَبَّاسَ كَانَ مُؤمِناً، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ لِمَصْلَحَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَسَيَمُرُّ بِكَ فِي الأَبْوابِ الآتِيَةِ أَنَّهُ كَانَ يُكَاتِبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكُلِّ مَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَعْمَلُهُ ضِدَّ المُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ وَقَدْ عَانَى المَشَاقَّ العَظِيمَةِ فِي بَقَائِهِ بِمَكَّةَ حَتَّى أُسِرَ يَوْمَ بَدرٍ، وَعَامَلَهُ الرَّسُولُ بِمَا عَامَلَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الافْتِدَاءِ حَتَّى لا يُظَنُّ أَنَّهُ كَانَ مُؤمِناً.

وَقَدْ نَقَلَ العَلاَّمَةُ ابنُ حَجَرٍ شَارِحُ البُخَارِي فِي صَحِيفَةِ (٢٥٧) الجُزء السَّابع: إِنَّ العَبَّاس لَمَّا أَمَرَهُ الرَّسُولُ بِأَنْ يَفْدِي نَفْسَهُ وَقَرَابَتَهُ قَالِ: إِنِّي كُنْتُ مُسْلِماً، وَلَكِنَّ القَوْمَ اسْتَكْرَهُونِي. فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ بِقَولِهِ:

«الله أعلَمْ إِنْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ حَقّاً فَإِنَّ الله يَجزِيكَ وَلَكِنْ ظَاهِرُ أَمْرِكَ أَنَّكَ كُنْتَ عَلَينَا»[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (٦/ ١٢٢).

الفَصلُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

الأمرُ بِانتِخَابِ النُّقَبَاءِ وَتَنْصِيبِهِمْ

وَذِكْرُ أسمَائِهِمْ وَمَا جَرَى مِنْ قُرَيشٍ

الأمْرُ بِانْتِخَابِ النُّقَبَاءِ وَتَنْصِيبِهِمْ وَذِكْرُ أَسْمَائِهِمْ وَمَا جَرَى مِنْ قُرَيْشٍ

لَمَّا تَمَّ أَمْرُ البَيْعَةِ أَشَارَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الحَاضِرِينَ أَنْ يَخْتَارُوا مِنْهُمْ إِثْنَي عَشَرَ رَجُلاً لِيُعَيِّنُهم نُقَبَاءَ عَلَيْهِم فَاخْتَارُوهُمْ وَنَصَّبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وسَمَّاهُمْ نُقَبَاءَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:

«أَنْتُمْ كُفَلاءُ عَلَى قَوْمِكُم، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي»[1].

قَالُوا: نَعَمْ، وَهذِهِ أسمَاؤُهُمْ:

أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ نَقِيباً لِبَنِي النَّجَّار، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ نَقِيباً لأَهْلِ قُبَاءِ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْن عَجْلانَ نَقيباً لَبَنِي زُرَيْقٍ، وعَبْدِ الله بْنُ رَوَاحَةَ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ نَقِيبَيْنِ لِبَنِي الحَارِثِ، وَالبَرَاء بْنُ مَعْرُورٍ، وعَبْدُ الله بنُ عَمْرِو بْن حَرَامٍ وَالدُ جَابِرٍ نَقِيبَيْنِ لِبَنِي سَلَمَةَ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالمُنْذِرُ بْنُ عَمْرِو نَقِيبَيْنِ لِبَنِي سَاعِدَةَ، وَهَؤُلاَءِ التِّسْعَةُ كُلُّهُمْ مِنَ الخَزْرَجِ، وَأَمَّا الَّذِينَ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (١/ ١٥٠).

مِنَ الأَوْسِ فَهُمْ: أسيدُ بْنُ الحُضَيرِ، وَسَعْدُ بْنُ خُثَيْمَةَ. وَرُفَاعَةُ بْنُ المُنْذِرِ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ السِّيَرِ. وعِنْدَ بَعْضِهِمْ: أَبُو الهَيْثَمُ مَالِكُ بْنُ الهَيْثَمِ مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ، وَلاَ مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ عَيَّنَ كُلاً مِنْهُمَا تَبَعاً لِنَتِيجَةِ الانْتِخَابِ فَيَكُونُ النُّقَبَاءِ ثَلاَثَةَ عَشَرَ وَإِنْ كَانَ أَمْرُ النَّبِيِّ إِنَّما وَقَعَ بِإِثْنَي عَشَرَ وَالله أَعْلَمُ[1].

ثُمَّ لَمَّا تَمَّ أَمْرُ البَيْعَةِ انْصَرَفُوا كَمَا جَاؤُوا مُتَسَلِّلِينَ وَبِمَا حَصَلَ مُغْتَبِطِينَ، وَلَكِنْ لَمْ تَطْلُعْ الشَّمسُ إِلاَّ وَقَدْ بَلَغَ قُرَيْشاً شَيءٌ مِمَّا، كَانَ فَقَامَ رُؤَسَاؤُهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الأَنْصَارِ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعَمْرُو بْنُ العَاصِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: بَلَغَنَا أَنَّكُمْ مَعَاشِرَ الخَزْرَجِ وَالأَوْسِ بَايَعْتُمْ مُحَمَّداً عَلَى حَرْبِنَا وَالله مَا مِنْ حَيٍّ عَلَيْنَا حَرْبَهُ مِنْكُمْ، فَتَصَدَّى لِلجَوَابِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِمَا وَقَعَ

(١) في أسماء النقباء، قال الشاعر:

وإليك منِّي عِدَّة النقباء خُذ ... أسماءهم نظماً بغير تَعَقُّد
وابدأ إذا رمت البداءة أوّلاً ... في عدّهم بأبي أُمامة أسعدِ
واحسِنْ بسعد بن الربيع فإنّه ... لا طائش رعش الجنان ولا اليدِ
وانظم بديع النَّظم في ابن رواحةٍ ... وفتى بني العجلان رافع فاعددِ
وكذا ابن معرور البراء وتلوه ... في النَّظم عبد الله خيف المعتدي
وعبادة ابن الصَّامت النَّدْب الذي ... في الحرب يعدو كالهزبر الأربدِ
وإذا دعوت وقلت يا ابن عبادةٍ ... مستنجداً فاكرم بسعد المنجد
والمنذر الحامي الذّمار وبعده ... فاذكر أُسيد فذاك زاكي المحتدِ
وكذا ابن خثيمة الكريم نجارُه ... ورُفاعة اذكر في نظامك ترشدِ

وَأَنْكَروا ذَلِكَ وَأَكَّدُوهُ بَالأَيْمَانِ، ثُمَّ قَالُوا: مَا كَانَ قَوْمُنَا لِيفْتَاتُوا عَلَيْنَا بِمِثْلِ هَذَا الأمْرِ حَتَّى لَوْ كُنَّا فِي يَثْرِبَ فَلاَ يَقْطَعُونَ مِثْلَ هَذَا قَبْلَ أنْ يُعْلِمُونَا، فَانْصَرَفَتْ عَنْهُمْ قُرَيْشٌ، وَخَفَّ اليَثْرِبِيُّونَ بالنَّفْرِ، وَعَجَّلُوا بِالسَّفَرِ وَلَكِنَ القُرَشِيُّونَ تَأَكَّدُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وُقُوعِ الأَمْرِ فَاقْتَفَوْا أَثَرَهُمْ فَلَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَالمُنْذِرِ بْنِ سَعْدٍ، فَأُفْلِتَ الأخيرُ وَاعْتُقِلَ الأوَّلُ فَأَوْثَقُوا رِبَاطَهُ وسَاقُوهُ إِلَى مَكَّةَ يَصْفَعُونَهُ وَيَلْطُمُونَهُ حَتَّى تَدَارَكَهُ الله بِالمُطْعَمْ بْنِ عَدِيٍّ وَكَانَتْ لِسَعْدٍ عَلَيْهِ يَدٌ فَأَطْلَقَهُ وَلَحِقَ بِصَحْبِهِ، وَدَخَلُوا يَثْرِبَ فَقَابَلَهُمْ إِخْوَانُهُمْ الَّذِين تَخَلَّفُوا عَنِ الحُضُورِ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَصُّوا عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا وَقَعَ، فَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى الاسْتِعْدَادِ لِمُقَاوَمَةِ قُرَيْش مَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ. عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ

فَوزُ اليَثرِبِيِّينَ وَفَشَلُ مُشرِكِي قُرَيشٍ وَمُؤَاخَاةُ الرَّسُولِ بَينَ أصحَابِهِ وَهِجرَتِهِم إِلَى يَثرِبَ

فَوْزُ اليَثْرِبِيِّينَ وَفَشَلُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ
وَمُؤَاخَاةُ الرَّسُولِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَهِجْرَتِهُمْ إِلَى يَثْرِبَ

فَازَ اليَثْرِبِيُّونَ بِالبَيْعَةِ وَسَلَّمَهُمُ الله مِنْ شَرِّ قُرَيْشٍ فَعَادُوا إِلَى يَثْرِبَ وَقَدْ مُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ إِيمَاناً بَاللَّهِ وَثِقَةً بِالفَوْزِ وَالظَّفَرِ عَلَى أَعْدَائِهِ.

أَمَّا مُشْرِكُو قُرَيْشٍ فَقَدْ فَشِلُوا كُلَّ الفَشَلِ، وَكَثُرَتْ هَوَاجِسُهُم فَيمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنَ العَمَلِ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اليَثْرِبِيِّينَ أَصْحَابُ سِلاحٍ وَرِجَالُ حَرْبٍ وَعَلَيْهِمْ طَرِيقُ التِّجَارَةِ إِلَى الشَّامِ، فَلا سَبِيلَ إِلَى مُعَادَاتِهِمْ وَحَرْبِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ وَجَّهُوا جُهُودَهُمْ إِلَى إِيذَاءِ أَصْحابِ الرَّسُولِ.

فَرَأى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُؤاخِيَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَآخَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَبَيْنَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَزَيْد بْنِ حَارِثَةَ، وَبَيْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وعَبْد الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ، وَبَيْنَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ وَعَبْد الله بْنِ مَسْعُودٍ، وَبَيْنَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله وَسَعْدِ بْنِ زَيْدٍ العَدَوِي، وَبَيْنَ عُبَادَةَ بنِ الحَارِثِ وبِلالِ بْنِ رَبَاحٍ، وَبَيْنَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص. وَبَيْنَ أَبِي عُبَادَةَ وَسَالِمٍ

مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَبَيْنَ عَلِيّ وَنَفْسِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: وَقَدْ أَنْكَرَ ابنُ تَيْمِيَّةَ المُوآخَاةِ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَخُصُوصاً مُؤاخَاةَ النَّبِيِّ لِعَلِيٍّ لأَنَّ المُؤَاخَاةَ شُرِعَتْ لإِرْفَاقِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَهَذَا مِنَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَدٌّ لِلنَّصِّ بِالقِيَاسِ وَغَفْلَةٌ عَنْ حِكْمَةِ هَذِهِ المُؤاخَاةِ لأَنَّ بَعْضَ المُهَاجِرِينَ كَانَ أَقْوَى مِنْ بَعْضٍ بِالمَالِ أو العَشِيرَةِ أو القُوَى. فَآخَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الأَعْلَى وَالأَدْنَى لِيَرْتَفِقَ الأَدْنَى بِالأَعْلَى وَيَسْتَعِينُ الأَعْلَى بِالأَدْنَى، ثُمَّ الحِكْمَةُ فِي هَذِهِ المُؤاخَاة ظَاهِرَةٌ فَإِنَّ الحَالَةَ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنْ مُضَايَقَةِ قُرَيْشٍ تَقْضِي بِالمُؤاخَاةِ بَيْنَهُمْ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ دَفْعِ أُولَئِكَ المُعْتَدِينَ وَيَقُومَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِحِرَاسَةِ الآخَرِ وَالذَّوْدِ عَنْهُ.

ثُمَّ لَمَّا اشْتَدَّ أَذَى المُشْرِكِينَ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ لأَصْحَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَأَسْرَعُوا بِهَا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَمَاعَاتٍ وَأَفْرَاداً.

قَالُوا: **وَأَوَّلَ مِنْ هَاجَرَ بَعْدَ البَيْعَةَ**: أَبُو سَلَمَةَ المَخْزُومِي وَزَوجُهِ فَمَنَعَهَا أَهْلُهَا مِنْ مُرَافَقَتِهِ وَلَكِنَّهَا لَحِقَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَزَوجُهِ لَيْلَى، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ وَمَعَهُمَا أَهْلُهُمَا. وَزَيْدُ بْنُ الخَطَّابِ، وَخُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ وَزَوْجُهُ حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ،

وَطَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ الله التَّيميُّ، وَإِيَاسٌ، وَعَامِرٌ، وَخَالِدٌ، وَعَاقِلٌ (أَبْنَاءُ البُكَيْر)، وَعَيَّاشُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ مِنَ الَّذِينَ رَجَعُوا مِنَ الحَبَشَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بِأَهْلِهِ وَمَعَهُ صِهْرُهُ سَعِيدِ بْنُ زَيدٍ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ، وَزَوجُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ، ثُمَّ هَاجَرَ حَمْزَةُ، وَصُهَيْب الرُّومِيُّ، وَمَرْثَدُ الغَنَوِي، وَأَبُوهُ أَبُو مَرْثَدٍ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَأَبُو كَبْشَةَ وَأَنَسَهُ، (مَوَالَي رَسُولِ الله) وَعُبَيْدَةَ بْنُ الحَارِثِ وَأَخَوَاهُ الطُّفَيْلُ وَالحُصَيْنُ، وَعَمْرٌو، وَعَبْدُ الله ابْنَا سُرَاقَةَ بْنِ المُعْتَمِرِ، وَخَوْلَى وَمَالِكٌ ابْنَا أَبِي خَوْلَةَ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ المُطَّلِبِ، وَسُوَيْبِطُ بْنُ سَعْد مَوْلَى حُرَيْمِلَةَ، وَطُلَيْبُ بْنُ عُمَيْرِ بنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَخَبَّابٌ مَوْلَى عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ، وَالوَلِيدُ بْنُ الوَلِيدُ بْنِ المُغِيرَةِ، وَعَبَّاسُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامُ بْنُ العَاص، وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ رَهْمٍ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ، وَسَالِمٌ مَوْلاهُ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَزَوْجُهُ رُقَيَّةُ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى الأَعْرَابُ عَلَى الهِجْرَةِ، فَكَانَ كُلَّمَا وَصَلَ فَرْدٌ أَوْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ أَنْزَلَهُ الأَنْصَارُ فِي دُورِهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ غَيْرُ النَّبِيِّ وَعَائِلَتِهِ وَعَلِيٌّ وَأَبِي بَكْرٍ وَعَائِلَتِهِ وَالمُسْتَضْعَفِينَ الَّذينَ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلاً إِلَى الخَلاصِ مِنْ يَدِ المُشْرِكِينَ.

الفَصلُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ

المُؤَامَرَةُ بِقَتْلِ النَّبِيِّ وَإِنَابَتُهُ عَلِيّ عَنْهُ

وَنَوْمُهُ عَلَى فِرَاشِ المُخْتَارِ وَقْتَ خُرُوجِهِ مِنَ الدَّارِ

المُؤَامَرَةُ بِقَتْلِ النَّبِيِّ وَإِنَابَةُ عَلِيّ عَنْهُ وَنَوْمُهُ عَلَى فِرَاشِ المُخْتَارِ وَقْتَ خُرُوجِهِ مِنَ الدَّارِ

اسْتَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ فِي حِيرَتِهَا وَأَعْمَتِ العَصَبِيَّةُ عَيْنَ بَصِيرَتِهَا فَضَلَّتْ سَبِيلَ الهِدَايَةِ وَاسْتَمَرَأَتْ مَرْعَى الغَوَايَةِ. وَفِي آخِرِ أَرْبِعَاءَ مِنْ صَفَرَ مِنَ العَامِ الثَّالِثِ عَشَرَ عَقَدَ رُؤَسَاءُ الشِّرْكِ اجْتِمَاعاً بِدَارِ النَّدْوَةِ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ الحُضُورِ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الرِّئَاسَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِي الأَمرِ، وَحَضَرَ مَعَهُمْ وَلِيُّهُمْ وَشَيْخُهُمْ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ كَبِيرٍ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ مُشْتَمِلٍ الصَّمَّاء فِي كِسَاءٍ مِنْ خَزٍّ، فَتَذَاكَرُوا فِيما يَصْنَعُونَ بِالرَّسُولِ، وَأَشَارَ كُلٌّ بِمَا بَدَا لَهُ مِنْ طَرْدٍ وحَبْسٍ وَتَكْبِيلٍ بِالحَدِيدِ، فَكَانَ النَّجِدِيُّ يُعَارِضُ وَلاَ يَرْضَى بِمَا يُشِيرُونَ بِهِ حَتَّى قَالَ أَبُو جَهْلٍ:

قَدْ فَرَق لِي فِيهِ رأْيٌ مَا أَرَاكُمْ قَدْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ.

قَالُوا: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: أَرَى أَن نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شَابّاً نَهْداً جَلِداً ثُمَّ نُعْطِيهِ سَيْفاً صَارِماً فَيَرْصُدُونَهُ ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ عَلَى مَشْهَدٍ وَمَرْأَى مِنَ

النَّاسِ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَتَفَرَّقُ دَمُه فِي قَبَائِلِ العَرَبِ وَيَتَعَذَّرُ عَلَى بَنِي هَاشِمِ المُقَاوَمَةُ وَالطَّلَبُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لله دَرُّ الفَتَى هَذَا هُوَ الرَّأيُ.

ثُمَّ عَيَّنُوا لاغْتِيَالِهِ ﷺ اللَّيْلَةَ الثانِيَةَ بَعْدَ المُؤامَرَةِ، أَعْنِي لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، فَنَزلَ الأمِينُ جِبْرِيلُ بِآيَةِ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾[1]، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بِمَا قَرَّرُوهُ وَبِأَنَّ الله قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي الهِجْرَةِ. وَأَنْ لاَ يَبِيتَنَّ تَلْكَ اللَّيْلَةَ فِي دارِهِ.

تدبيرُ أمْرِ الوَدَائِعِ وَمَبِيتُ عَلِيٍّ فِي فِرَاشِ النَّبِيِّ

تَلَقَّى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ رَبِّه الأَمْرَ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ كَيْفَ يَكُونُ السَّفَرُ، وَعِنْدَهُ وَدَائِعُ مَنْ جَحَدَ وَكَفَرَ، الله أَكْبَرُ مَا أَعْظَمَ هَذِهِ الفِكْرَةَ وَمَا أَكْبَرَ هَذِهِ النَّفْسَ الطَّاهِرَةَ، أَيُّ رَجُلٍ يُصَابُ بِمِثْلِ هَذَا المُصَابَ يَأتِيهِ النَّذِيرُ بِأَنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ قَرَّروا قَتْلَهُ، فَيَخْطُرُ فِي بَالِهِ مَا عِنْدَهُ مِنْ وَادِئِعِمْ، إِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ العَظِيمَةَ، هِيَ نَفْسُ ذَلِكَ الرَّجُلِ العَظِيمِ سَيِّدنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

فَكَّرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الأَمْرِ مَلِيّاً ثُمَّ دَعَا ابنَ عَمِّهِ عَلِيّاً، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَدرَّهُ المُشْرِكُونَ وَبِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَهُ بِالهِجْرَةِ، وَأَنَّهُ اخْتَارَهُ نَائِباً

(١) سورة الإسراء، الآية: (٨٠).

عَنْهُ فِي رَدِّ الوَدَائِعِ لأَهْلِهَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**تَنَامُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِي وَتَتَغَطَّى بِغِطَائِي لَعَلَّكَ تُشْغِلُ المُشْرِكِينَ عَنِّي فَأَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ أَمَرَنِي رَبِّي**» فَأَسْرَعَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الإِجَابَةِ بِقَبُولِ كُلِّ مَا أَشَارَ بِهِ المُصْطَفَى، وَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ بِذَلِكَ سُرُوراً عَظِيماً، وَهَذِهِ أَوَّلُ مَنَاقِبِ عَلِيّ المُرْتَضَى الَّتِي تَجِلُّ عَنِ الإِحْصَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

الفَصلُ الأَربَعُونَ

تَدبِيرُ أَمرِ السَّفَرِ مَعَ سِيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ

تَدْبِيرُ أَمْرِ السَّفَرِ مَعَ سِيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ

أَتَمَّ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عَلِيّ تَدْبِيرَ أَمْرِ الوَدَائِعِ وَالمَبِيتِ عَلَى فِرَاشِهِ. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِ صَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ وَذَلِكَ ظُهْرَ يَوْمِ الخَمِيسِ كَمَا فِي البُخَارِيّ وَهُوَ يُوَافِقُ أَوَّلَ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَأَخْبَرَهُ بِالخَبَرِ، وَدَبَّرَا مَا يَلْزَمُ لأَمْرِ السَّفَرِ ثُمَّ عَادَ ﷺ إِلَى دَارِهِ وَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى جَنَّ اللَّيْلُ، وَأَحَاطَ الكُفَّارُ بِالدَّارِ، فَالتَحَفَ عَلِيٌّ بِالغَطَاءِ، وبَذَلَ نَفْسَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِدَاءً، عِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ الرَّسُولُ مِنَ الدَّارِ، وَكَلَّتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ الأَبْصَارُ، وَقَصَدَ دَارَ أَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَهَا ثُمَّ خَرَجَا مَعاً مِنْ خَوْخَةٍ فِي مُؤَخَّرِهَا وَذَهَبَا إِلَى جَبَلِ ثَوْرٍ حَيْثُ الغَارُ.

أَمَّا المُشْرِكُونَ فَقَدْ بَاتُوا لِحَرَكَاتِهِ ﷺ مُرَاقِبِينَ، وَلَمَّا أَصْبَحُوا اقْتَحَمُوا الدَّارَ مُهَاجِمِينَ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا عَدَمَ وُجُودِ المُخْتَارِ، وَأَنَّ عَلِيّاً هُوَ الَّذِي بَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، خَرَجُوا يَقْتَفُونَ أَثَرَهُ، وَلَمَّا وَصَلُوا قَرِيباً مِنَ الغَارِ الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ المُصْطَفَى، ظَهَرَتْ أَمَارَةُ الحُزْنِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا»** وَصَرَفَ

اللَّهُ عَنْهُمَا المُشْرِكِينَ، وَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] وَهَذِهِ أَعْظَمُ مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ، الَّتِي تَجِلُّ عَنِ الحَصْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

(١) سورة التوبة، الآية: (٤٠).

الفَصلُ الحَادِي وَالأَربَعُونَ

النُّزُولُ مِنَ الجَبَلِ وَالهِجرَةُ إِلَى يَثرِبَ

النُّزُولُ مِنَ الجَبَلِ وَالهِجْرَةُ إِلَى يَثْرِبَ

بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ بِأَعْلَى الجَبَلِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، يَأْتِيهِمَا لَيْلاً عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِالأَخْبَارِ وَبِالطَّعَامِ؛ وَيَوْمَ الاثْنَيْنِ خَمْسَةَ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّل، نَزَلاَ مِنَ الجَبَلِ، وَرَكِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا رَاحِلَتَهُ، وَتَبِعَ أَثَرَهُمَا سُرَاقَةُ فَكَفَاهُمَا اللَّهُ شَرَّهُ، وَلَمَّا وَصَلاَ قُدَيْداً عَلَى نَحْوِ سَبْعِينَ مَيْلاً مِنْ مَكَّةَ، وَنَزَلا عَنْ رَاحِلَتِهِمَا أَمَامَ بَيْتِ أُمِّ مَعْبَدٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاةً بِجَانِبِ البَيْتِ قَد انْقَطَعَ لَبَنُهَا وَتَخَلَّفَتْ عَنِ المَرْعَى لِشِدَّةِ هُزَالِهَا فَاسْتَأْذَنَ ﷺ المَرْأَةَ فِي حَلْبِهَا، فَقَالَتْ: لَوْ كَانَ بِهَا حَلْبٌ لأَصَبْنَاهُ وَدُونَكَ الشَّاءَ فَاصْنَعْ بِهَا مَا تَشَاءُ، فَطَلَبَ ﷺ إِنَاءً كَبِيراً وَحَلَبَ حَتَّى مَلأَهُ، ثُمَّ أَعْطَاهُ أُمَّ مَعْبَدٍ فَشَرِبَتْ حَتَّى رَوِيَتْ؛ ثُمَّ شَرِبَ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ الدَّلِيلُ وَالخَادِمُ، وَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آخِرُهُمْ، ثُمَّ مَلأَ الإِنَاءَ وَسَلَّمَهُ لَهَا آيَةً جَلِيَّةً.

وَلَمَّا رَجَعَ زَوْجُهَا وَرَأَى اللَّبَنَ ذَهَبَ بِهِ العَجَبُ إِلَى أَقْصَاهُ، وسَأَلَهَا أَنْ تَصِفَهُ ﷺ لَهُ فَقَالَتْ وَقَدْ أَحْسَنَتْ وَأَجَادَتْ ـ رَأَيْتُ رَجُلاً ظَاهِرَ الوَضَاءَةِ، مَلِيحَ الوَجْهِ، حَسَنَ الخَلْقِ، وَسِيماً قَسِيماً، فِي

عَيْنَيْهِ دَعَجٌ[١]، أَحْوَرَ[٢] أَكْحَلَ[٣]، أَقْرَنَ[٤] أَزَجَّ[٥]، شَدِيدَ سَوَادِ الشَّعْرِ، طَوِيلَ العُنُقِ، عَلَى صَمْتِهِ وَقَارٌ، وَلِكَلامِهِ بَهَاءٌ، عَذْبَ اللِّسَانِ، لا نَزْرَ وَلا هَذَرَ، كَأَنَّ مَنْطَقَهُ الدُّرَرُ، جَهُورِيُّ الصَّوْتِ إِذَا تَكَلَّمَ، أَجْمَلَ النَّاسِ بَعِيداً، وَأَحْلاهُمْ قَرِيباً، رَبْعَ القَامَةِ، لا تَشْنَؤُهُ عَيْنٌ مِنْ طُولٍ وَلاَ تَحْتَقِرُهُ مِنْ قَصْرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ؛ هُوَ أَنْضَرُهُمْ مَنْظَراً، وَأَحْسَنَهُمْ قَدْراً، يَنْحَدِرُ فِي مِشْيَتِهِ، لَهُ رِفَاقٌ يَسْتَدِيرُونَ حَوْلَهُ، إِذَا قَالَ سَمِعُوا، وَإِذَا أَمَرَ امْتَثَلُوا ـ فَلَمَّا سَمِعَ زَوْجُهَا الوَصْفَ قَالَ لَهَا: أَظُنُّهُ صَاحِبَ قُرَيْشٍ، وَلَوْ رَأَيْتُهُ لآمَنْتُ بِهِ وَاتَّبَعْتُهُ وَوَالَيْتُهُ، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

---

(١) **دعج**: الدعج، والدعجة: شدة سواد العين مع سعتها.

(٢) **أحور**: الحور: شدة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها.

(٣) **أكحل**: كحلت العين: جعل فيها الكحل، واسودت أجفانها.

(٤) **أقرن**: قرن الرجل: التقى طرفا حاجبيه.

(٥) **الأزج**: زج الحاجب: دق في طول وتقوّس.

الفَصلُ الثَّانِي والأَربَعُونَ

وُصُولُ قُبَاءَ وَدُخُولُ المَدِينَةِ

وُصُولُ قُبَاءَ وَدُخُولُ المَدِينَةِ

أَقْبَلَ النَّبِيُّ عَلَى المَدِينَةِ ظُهْرَ يَوْمِ الاثْنَيْنِ اثْنَي عَشَرَ[1] من رَبِيعَ الأَوَّلِ وَخَرَجَ الأَنْصَارُ وَالمُهَاجِرونَ لِمُقَابَلَتِهِ فَقَصَد قُبَاءَ وَنَزَلَ فِي بَيْتِ كُلْثُومِ بْنُ الهَدْمِ شَيْخِ بَنِي عَمْرِو. وَاتَّخَذَ دَارَ سَعْد بْنِ خَيْثَمَةَ مَجْلِساً عَامّاً لِلتَّعْلِيمِ وَالإِرشَادِ.

وَنَزَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسُّنْحِ - مَحَلَّةٍ بِالمَدِينَةِ - فِي بَيْتِ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ الخَزْرَجِي؛ وَقَدْ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبَاءَ أَرْبَعَةَ أَيَّام وَقِيلَ بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْماً أَسَّسَ فِيهَا المَسْجِدَ الَّذِي وَصَفَهُ الله بِأَنَّهُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَيَومَ الجُمُعَةِ ارْتَحَلَ إِلَى المَدِينَةِ

(١) هذا باتفاق المؤرخين ومنه يعلم صحة ما قدمناه من أن المؤامرة بقتل النبي ﷺ كانت يوم الأربعاء آخر يوم في صفر، وذلك أن المسافة بين مكة والمدينة سبعة أيام بسير الرواحل فسفره ﷺ من مكة كان يوم الاثنين خمس ربيع الأول، وقد أقام هو وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام هي الجمعة والسبت والأحد، فيكون خروجه من داره إلى الغار ليلة الجمعة وذهابه قبل ذلك إلى بيت أبي بكر يخبره بالإذن في الهجرة وذلك ظهر يوم الخميس كما في البخاري، وهو يوافق أول يوم من ربيع الأول وبالبداهة إن المؤامرة كانت قبل ذلك لأنهم قرروا اختيار أصحاب ذوي بأس من كل قبيلة وذلك يحتاج إلى وقت لا يقل عن يوم، فالمؤامرة إذن وقعت يوم الأربعاء آخر يوم في صفر، وقد تخبط في تواريخ هذه الوقائع أكثر أهل السير، فالحمد لله على توفيقه.

وَصَلَّى أَوَّلَ جُمُعَةٍ بِالأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرِينَ فِي مَسْجِدِ بَنِي سُلَيْمٍ مِنْ حَارَاتِ المَدِينَةِ، ثُمَّ رَكِبَ النَّاقَةَ وَأَحَاطُوا بِهِ كَما تُحِيطُ بالقَمَرِ الهَالَةُ، وَخَرَجَتِ النِّسَاءُ وَبِأَيْدِيهِنَّ الدُّفُوفُ يَضْرِبْنَ عَلَيْهَا وَيَتَرَنَّمْنَ تَرْحِيباً بِالقَادِمِ إِلَيْهَا:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالأَمْرِ المُطَاعِ

ثُمَّ إِنَّ رُؤَسَاءِ الأَنْصَارِ تَنَافَسُوا فِي أَخْذِ زِمَامِ نَاقَتِهِ، وَرَجَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ نُزُولُ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَارِهِ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ قَالَ لَهُمْ: «**دَعُوا زِمَامَهَا، وَخَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ مِنْ مَوْلاَهَا**»[1] فَلَمْ تَزِلْ نَاقَتُهُ ﷺ سَائِرَةً بِهِ حَتَّى بَلَغَتْ مَحَلَّةَ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ، فَبَرَكَتْ أَمَامَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ، فَلَمْ يَنْزِلْ ﷺ عَنْهَا حَتَّى سَارَتْ وَمَشَتْ قَلِيلاً ثُمَّ عَادَتْ فَبَرَكَتْ فِي المَحَلِّ الأَوَّلِ فَنَزَلَ عَنْهَا، وَرَجَاهُ كُلُّ رَئِيسٍ فِي تِلْكَ المَحَلَّةِ، أَنْ يَكُونَ نُزُولُهُ عِنْدَهُ، فَالتَفَتَ ﷺ إِلَى رَحْلِهِ فَوَجَدَ أَبَا أَيُّوبَ قَدْ أَدْخَلَهُ فِي دَارِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**الرَّجُلُ مَعَ رَحْلِهِ**»[2]، وَدَخَلَ دَارَ أَبِي أَيُّوبَ، فَكَانَتْ سُكْنَاهُ إِلَى أَنْ بَنَى الحُجُرَاتِ لأَهْلِهِ، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ٦٣).
(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء: (١/ ٥١٠).

الجُزْءُ الثَّانِي

من كتاب زبدة السيرة النبوية

أو

زبْدَة المُجْمَلِ لِصَحِيحِ المَنْقُول مِنْ تَارِيخِ حَيَاةِ الرّسُول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي قَدَّر فَهَدَى، وَيَسَّرَ لِمُحِبِّيهِ سَبِيلَ الاهْتِدَاءِ، وأشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللَّهُ كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الأَرْضُ وَالسَّمَاءِ، وَلإِبْلاَغِهَا بُعِثَتْ الرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَهَادَةً أَقَرَّ بِهَا المُوَّفقُون، وَذَاقَ حَلاَوَتَهَا المُقَرَّبُونَ، وَأُصَلِّي عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ومُحِبِّيهِ وَأَحْزَابِهِ.

أَمَّا بَعْدُ ـ فَقَدْ تَمَّ وَلِلَّهِ المِنَّةُ وَالحَمْدُ ـ الجُزْءُ الأَوَّلُ ـ مِنْ كِتَابِي زُبْدَةُ السِّيرةِ أو زُبْدَةُ المُجْمَل لصَّحِيح المَنْقُولِ، لَخَّصْتُ فِيهِ أَدْوَارَ حَيَاةِ المُنْقِذِ الأَعْظَمِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَلاَدَتِهِ إِلَى وُصُولِهِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَة.

الدَّوْرُ الأَوَّلُ: مِنْ وِلاَدَتِهِ إِلَى الخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ شَبَّ ﷺ فِي كَفَالَةِ جَدِّه وَعَمِّهِ عَلَى أَكْمَلِ الصِّفَاتِ وَالأَخْلاَقِ.

الدَّوْرُ الثَّانِي: مِنْ ذَلِكَ السِّنِّ إِلَى أَنْ تَزَوَّجَ بِخَدِيجَةَ عَشْرُ سَنَواتٍ اشْتَغَلَ فِيهَا بِالتِّجَارَةِ فَكَانَ المَثَلَ الأَعْلَى فِي الأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ.

الدَّوْرُ الثَّالِثُ: مِنَ الزَّوَاجِ إِلَى البِعْثَةِ حَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الخَلْوَةَ وَالانْفِرَادَ وَالتَّعَبُّدَ بِرُؤُوسِ الجِبَالِ.

الدَّوْرُ الرَّابِعُ: قَامَ فِيهِ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ وَالإِرْشَادِ، وَتَحَمَّلَ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ مَا تَتَضَاءَلُ عَنْ حَمْلِهِ رَاسِيَاتُ الأَطْوَادِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَرِيباً مِنْ ثُلُثَيِ القُرآنِ فِي مُدَّةِ ثَلاثَةَ عَشَرَ عَاماً.

وَهَذا هُوَ الجزْءُ الثَّانِي لَخَّصْتُ فِيهِ مَا وَقَعَ فِي الدَّوْرِ الخامِس يَتَّضِحُ بِهِ لِلقَارِىء مَا كَانَ ﷺ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحابِهِ مِنْ قُوَّةِ العَزِيمَةِ وَالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَا وَقَعَ مِنْ حُرُوبٍ وَمُعَاهَدَاتٍ، وَمَا شَرَعَ مِنْ أَحْكَامٍ مَعَ بَيَانِ الحِكْمَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ هَذِهِ الزُّبْدَةَ المُخْتَصَرَةَ بِمَا فِيهِ العِظَةُ وَالعِبْرَة، فَأَسْأَلُ الله أنْ يَنْفَعَ بِهِ وَيَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيم، وَمُوجِباً لِلفَوزِ بِرِضَاهُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ بَرٌّ رَؤوفٌ رَحِيمٌ.

الفَصلُ الثَّالِثُ وَالأَربَعُونَ

حَوَادِثُ السَّنَةِ الأُولَى مِنَ الهِجرَةِ

بَاكُورَةُ أَعمَالِهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ

حَوَادِثُ السَّنَةِ الأُولَى مِنَ الهِجْرَةِ
بَاكُورَةُ أَعْمَالِهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ

بِوُصُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ انْتَقَلَتْ حَالَةُ المُسْلِمِينَ مِنْ طَوْرِ الضُّعْفِ وَحَضِيضِ الضِّعَةِ إِلَى طَوْرِ القُوَّةِ وَأَوْجِ الرِّفْعَةِ، فَشَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ يُمهِّدُ السَّبِيل لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ وَيَرْسُمُ الخِطَط لِدَفْعِ المُعْتَدِينَ وَتَخْلِيصِ المُسْتَضْعَفِينَ، فَكَانَتْ بَاكُورَةُ أَعْمَالِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ تَأْسِيسَ المُجْتَمَعِ الدِّينِي وَالمعهَدَ العِلْمِي، فَاشْتَرَى بِعَشْرَةِ دَنَانِيرَ الأَرْضَ الَّتِي بَرَكَتْ فِيهَا نَاقَتُهُ، وَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِهَا وَنَبْشِ القُبُورِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا وَتَسْوِيَتِهَا وَأَضَافَ إِلَيْهَا المَسْجِدَ الَّذِي كَانَ بِجَانِبِهَا لسيِّد الخَزْرَجِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ثُمَّ شَرَعَ فِي بِنَائِهِ بِالأَحْجَارِ، وَاللَّبِنِ وَجَعَلَ عُمُدَهُ وَسَقْفَهُ مِنْ جُذُوعِ النَّخْلِ وَجَرِيدِهِ طُولُهُ نَحْوَ مَائَةِ ذِرَاعٍ وَمِثْلُهَا عَرْضُهُ لَهُ ثَلاَثَةُ أَبْوَابٍ وَصُفَّةٌ وَبِجَانِبِهِ حُجُرَاتٌ لأَهْلِهِ.

الكِتَابَةُ لِعَلِيٍّ وَقُدُومِهِ بِأَهْلِ النَّبِيِّ ﷺ

كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كتاباً لِعَلِيٍّ يأمُرُهُ فِيهِ بِالهِجْرَةِ بِأَهْلِهِ وَأَرْسَلَهُ مَعَ زَيْد بْنِ حَارِثَةَ وَأَبِي رَافِعٍ، فَابْتَاعَ عَلِيٌّ الرَّوَاحِلَ وَحَمَلَ

عَلَيْهَا أُم كَلْثُوم، وَفَاطِمَةَ، وَأُمِّ أَيْمَنَ، وَسَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ، وَأُمَّ دُرْمَانَ زَوْجَ زَيْدٍ وَابْنَهَا أُسَامَةَ.

وَخَرَجَ مَعَهُ أَهْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ يَسِيرُونَ اللَّيْلَ وَيَكْتُمُونَ النَّهارَ وَعَلِيٌّ مَاشٍ تَحْتَ الرَّوَاحِلِ، وَلَمَّا وَصَلَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ بِقُبَاءَ بِالْبَيْتِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَمَا رَآهُ النَّبِيُّ ضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَتَقَلَ عَلَى مَا حَلَّ مِنَ الوَرَمِ بِقَدَمَيْهِ. ثُمَّ مَسَحَهُمَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ فَأَزَالَ اللَّهُ مَا بِهِما مِنَ الأَلَمِ.

الشُّرُوعُ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ وَمُشَارَكَةُ النَّبِيِّ لأَصْحَابِهِ فِي العَمَلِ

شَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بِنَاء الْمَسْجِدِ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَكَانَ يَحْمِلُ مَعَهُمُ اللَّبِنِ بِنَفْسِهِ وَيَرْتَجِزُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ بِقَوْلِ ابْنِ أَبِي رَوَاحَةَ:

هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالُ خَيْبَرْ هَـذَا أَبَـرُّ رَبِّـنَـا وَأَطْـهَـرْ

وَبِقَوْلِهِ:

اللَّـهُـمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخره فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

وَكَانُوا يُجِيبُونَهُ بِقَوْلِهِمْ:

لَئِنْ قَـعَـدْنَـا وَالـنَّـبِـيُّ يَـعْـمَـلُ لَـذَاكَ مِـنَّـا الـعَـمَـلُ الـمُـضَـلَّـلُ

وَرَأَى عَلِيٌّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ يَحْمِلُ اللَّبِنَةُ يُجَافِي بِهَا عَنْ ثَوْبِهِ فَارْتَجَزَ بِقَوْلِهِ:

لا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَا يَـدْأَبُ فِـيـهَـا قَـائِـمـاً وَقَـاعِـداً

وَمَنْ يُرَى عَنِ التُّرَابِ حَائِداً

فَأَجَابُوهُ بِذَلِكَ وَكَأَنَّ عُثْمَانَ تَأَثَّرَ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ بِجَانِبِهِ عَمَّارٌ فَقَالَ لَهُ: لَتَكُفَّنَّ عَنِ الارْتِجَازِ أَوْ لأَضْرِبَنَّ وَجْهَكَ، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الخَبَرُ فَتَأَثَّرَ وَجَاءَهُ عَمَّارٌ لِيُزِيلَ مَا وَقَعَ بِنَفْسِهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالِي وَلأَصْحَابِكَ يُرِيدُونَ قَتْلِي يَحْمِلُونَ لَبِنَةً لَبِنَةً وَيُحَمِّلُونِي لَبِنَتَيْنِ؟

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ وَمَسَحَ شَعْرَهُ مِنَ التُّرَابِ وَقَالَ لَهُ: **«يابنَ سُمَيَّةَ لَيسُوا بِالَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ تَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ وَيَدْعُونَكَ إِلَى النَّارِ»**[1].

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٩/ ٢٩٦)، وابن حجر في فتح الباري: (١/ ٥٤٢)، وابن سعد في الطبقات: (١/ ١٨٠).

الفَصلُ الرَّابِعُ وَالأَربَعُونَ

خِطَّةُ تَكْوِينِهِ ﷺ الأُمَّةَ الإِسلاَمِيَّةَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ بِالمَدِينَةِ

خِطَّةُ تَكْوِينِهِ ﷺ الأُمَّةَ الإِسْلاَمِيَّةَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ بِالمَدِينَةِ

قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي بِنَاءِ المَسْجِدِ نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ تَأَكَّدَ فِي خِلاَلِهَا مِنْ حَالَةِ البِلادِ وَحَالَةِ سُكَّانِهَا، وَلَمَّا تَمَّ بِنَاءُ المَسْجِدِ أَقَامَ فِيهِ الصَّلَوَاتِ، ونَقَلَ أَهْلَهُ إِلَى مَا بَنَاهُ بِجَانِبِهِ مِنَ الحجُرَاتِ، وَجَعَلَهُ مَقَرّاً لأَعْمَالِهِ وَمُقَابَلَةِ الوَافِدِينَ إِلَيْهِ وَزُوَّارِهِ، وَاتَّخَذَهُ مَعْهَدَا لِتَلَقِّي عُلُومِ الدِّينِ وَمَرْكَزاً لِلنَّظَرِ فِي شُؤُونِ المُسْلِمِينَ بَلْ وَنَادِياً لَهُمْ، فَكَانُوا يَقْضُونَ فِيهِ أَكْثَرَ الأَوْقَاتِ وَلاَ يُفَارِقُونَهُ إِلاَّ لِمَهَامِ الحَاجَاتِ. فَسُرَّتْ بِالتَّالُفِ لَهُم قُلُوبٌ، وَاتَّقَدَتْ بِنَارِ الحَسَدِ وَالبُغْضِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ قُلُوبٌ، عِنْدَ ذَلِكَ أَصْدَرَ رَسُولُ اللَّهِ بَيَاناً يَتَضَمَّنُ الخِطَّةَ التِّي يَجِبُ أَنْ يَسِيرُوا عَلَيْهَا لِتَتَكَوَّنَ مِنْهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ عَزِيزَةُ الجَانِبِ تَسْتَطِيعُ البَقَاءَ وَالقِيَامَ بِالوَاجِبِ، فَنَظَّمَ العَلاَقَاتِ وَوَحَّدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِم اليَهُودَ فَإِنَّ المَصْلَحَةَ قَاضِيَةٌ بِالاتِّفَاقِ التَّامّ مَعَهُمْ لأَنَّ قُرَيْشاً لا تَزَالُ تَعْمَلُ فِي القَضَاءِ عَلَى المُسْلِمِينَ وَاستِئْصَالِهِمْ ـ وَهَا نَحْنُ نُلَخِّصُ مَا تَضَمَّنَهُ البَيَانُ فِي عَشْرِ مَوَادٍ.

١ ـ إِنَّ المُؤمِنِينَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَكُلُّ قَبِيلَةٍ أَوْ فَخِيذَةٍ أَوْ طَائِفَةٍ تُقَرُّ

عَلَى حَالَتِهَا الَّتِي كَانَتْ لَهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَالمُهَاجِرُونَ عَلَى حَالَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ وَيَفْدُونَ عَانِيهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَالقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وَكُلُّ طَائِفَةٍ أو فُخِيذَةٍ أَوْ قَبِيلَةٍ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ عَلَى عَادَتِهَا يَتَعَاقَلُونَ وَيَفْدُونَ عَانِيَتِهِم بِالمَعْرُوفِ وَالقِسْطِ.

٢ - إِنَّ المُؤْمِنِينَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ فَمَنْ أَرَادَهُمْ بِظُلْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ أَوْ إِفْسَادٍ فَكُلُّهُمْ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ وَلَداً لأَحَدِهِمْ، وَلاَ يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤمِناً فِي كَافِرٍ، وَلاَ يَنْصُرُ مُؤمِنٌ كَافِراً عَلَى مُؤمِنٍ.

٣ - إِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بَيْنَ المُؤمِنِينَ وَاحِدَةٌ يُجِيرُ عَلَيْهِم أَدْنَاهُمْ وَبَعْضُهُمْ مَوَالِيَ بَعْضَ دُونَ النَّاسِ وَأَنَّ مَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنَ اليَهُودِ فَلَهُ النَّصرُ وَالأُسْوَةُ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلاَ مُتَنَاصَرٍ عَلَيْهِمْ.

٤ - إِنَّ سِلْمَ المُؤْمِنِينَ وَاحِدٌ فَلاَ يُسَالِمُ مُؤمِنٌ دُونَ مُؤمِنٍ فِي قِتَالٍ إِلاَّ عَلَى سَوَاءٍ وَعَدلٍ بَيْنَهُمْ، وَمَنْ قَتَلَ مُؤمِناً شَطَاطاً فَعَلَيْهِ قَوَدُهُ وَالمُؤمِنُونَ كُلُّهُمْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يُقَاد مَنْهُ أَوْ يَرْضَى أَوْلِيَاءُ القَتِيلِ بَالدِّيَةِ.

٥ - إِنَّ المُؤمِنِينَ عَلَى خَيْرِ هَدْيٍ وَأَقْوَمِهِ لاَ يُجَارِ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ نَفْسٌ وَلاَ مَالٌ وَلاَ يُحَالُ دُونَهُمْ عَلَى مُؤمِنٍ.

٦ - إِنَّ كُلَّ مُؤمِنٍ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ لا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَنْصُرَ مُحدِثاً أَوْ يَأْوِيَهُ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ.

٧ ـ إِنَّ اليَهُودَ أُمَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ لَهَا دِينُها وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ وَعَلَيْهِم نَفَقَتُهُم وَعَلَى المُسْلِمِينَ نَفَقَتُهم وَإِن بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَبَيْنَهُمُ النُّصْحَ وَالبِرُّ وَالنَّصْرَ لِلْمَظْلُوم، وَأَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ مَعَ المُسْلِمِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ وَلَيْسَ لَهُمْ أنْ يَعْقِدُوا صُلْحاً مَعَ مُحَارِبٍ مُنْفَرِدِينَ وَإِنَّ الجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرُ مُضَارٌ، وَلاَ يأثَمُ رَجُلٌ بِحَلِيفِهِ.

٨ ـ إِنَّ لِيَهُودَ كُلِّ طَائِفَةٍ مَوَالِيهِم وَأَنْفُسُهِم مِثْلَ مَا لأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ البِرَّ دُونَ الإِثْمِ وَلاَ يَكْسِبُ كَاسِب إلاَّ عَلَى نَفْسِهِ.

٩ ـ إِنَّ المَدِينَةَ دَارُ أَمَانٍ مَنْ قَعَدَ فِيهَا أَوْ خَرَجَ مِنْهَا فَهُوَ آمِنٌ إلاَّ مَنْ ظَلَمَ أو أَثِمَ، وَإِنَّ هَذَا الكِتَابَ لاَ يُحولُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ. وَإِنَّ الله جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى وَمُحَمَّداً رَسُولِ الله.

١٠ ـ إِنَّ كِلَّ مَا يَحْدُثُ مِنْ خِلاَفٍ بَيْنَ المُتَخَالِفِينَ فِإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ يَحْكُمُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ.

هَذَا مُلَخَّصُ البَيَانِ تَتَّضِحُ بِهِ الخُطَّةُ الَّتِي تَكَوَّنَتْ بِهَا وحْدَةُ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ وَصَارُوا بِهَا إِخْوَاناً مُتَّحِدِينَ وَلِحُقُوقِ الجِوَارِ حَافِظِينَ.

غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى أن يَخُصَّ المُهَاجِرِينَ بِمُؤاخَاةٍ خَاصَّةٍ مَعَ رُؤَسَاءِ الأَنْصَارِ لِيُزِيلَ مِن قُلُوبِهِمْ وَحْشَةَ غُرْبَةِ الدَّارِ لأَنَّهُ مَهْمَا بَالَغَ الأَنْصَارُ فِي إِكْرَامِهِمْ فَلاَ يَزَالُ حَنِينُهُمْ إِلَى وَطَنِهِمُ المَحْبُوبِ.

الفَصلُ الخَامِسُ وَالأَربَعُونَ

المُؤَاخَاةُ وَحِكْمَةُ تَخْصِيصِهَا بِالمُهَاجِرِينَ

المُؤَاخَاةُ وَحِكْمَةُ تَخْصِيصِهَا بِالمُهَاجِرِينَ

الإِنْسَانُ الَّذِي يُحِسُّ إِحْسَاسَ الإِنْسَانِ مَهْمَا وَجَدَ مِنَ الرَّاحَةِ فِي مَهْجَرِهِ لاَ يَزَالُ يُحِسُّ فِي نَفْسِهِ مَيْلاً إِلَى وَطَنِهِ وَيَشْعُرُ بِوَحْشَةٍ فِي الاغْتِرَابِ لاَ يُزِيلُهَا إِلاَّ عَوْدُهُ إِلَيْهِ وَاجْتِمَاعُهُ بِمَنْ فِيهِ مِنَ الأَقَارِبِ وَالأَحْبَابِ.

فَالمُهَاجِرُونَ مَهْمَا بَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمُ الأَنْصَارُ حَتَّى سَاوَوْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ مَمْلُوءَةً بِالشَّوْقِ إِلَى وَطَنِهِمْ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي غُضُونِ حَدِيثِهِمْ إِذَا مَسَّهُمْ أَدْنَى ضَرَرٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ بِلالاً يُنْشِدُ حِينَ تُقْلِعُ عَنْهُ حُمَّاهُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأَخَاهُ ضَبْيَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ.

فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ**

لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا وَصَحْصِحْهَا لَنَا»[1]. بَلْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَصِيلٍ الغِفَارِي أَنَّهُ قَدِمَ المَدِينَةَ فَعِنْدَمَا حَظِيَ بِلِقَاءِ الرَّسُولِ ﷺ سَأَلَتْهُ عَائِشَةُ كَيْفَ تَرَكْتَ مَكَّةَ؟ قَالَ: تَرَكْتُهَا حِينَ ابْيَضَّتْ أَبَاطِحُهَا، وَأَحْجن ثُمَامُهَا، وَأَغْدَقَ إِذْخِرُهَا، وَأَبْشَرَ سَلَمُهَا. فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ ﷺ: **«تُشَوِّقُنَا يَا أَصِيلُ دَعِ القُلُوبَ تَقِرُّ»**.

وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ الحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ المُهَاجِرِينَ بِهَذَا الإِخَاءِ مَعَ أَنَّ المُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ إِخْوَانٌ فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمُؤَاخَاتِهِمْ مَعَ الأَنْصَارِ قَصَد تَخْفِيفَ أَلَمِ الغُرْبَةِ وَإِزَالَةِ مَا بَقِيَ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ وَحْشَتِهَا، فَعَقَدَ ﷺ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَرُؤَسَاءِ الأَنْصَارِ مُؤَاخَاةً خَاصَّةً تَتَضَمَّنُ التَّعَاوُنَ عَلَى إِقَامَةِ الحَقِّ وَالمُوَاسَاةِ فِي اليُسْرِ وَالعُسْرِ وَالتَّوَارُثِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الحَيَاةِ وَكَانَ ﷺ يَقُولُ لَهُمْ: **«تَآخَيَا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ»**[2].

قَالَ أَصْحَابُ السِّيَرِ: إِنَّ المُؤَاخَاةَ هَذِهِ وَقَعَتْ بَيْنَ خَمْسِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَخَمْسِينَ مِنَ الأَنْصَارِ وَدَامَ العَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْطَلَ التَّوَارُثَ بَيْنَهُمَا بِآيَاتِ المَوَارِيثِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣/ ٣٠) و(٤/ ٤٢)، و(٨/ ٩٩)، وأحمد في المسند: (٦/ ٢٤٠) و(٣/ ٤٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٢/ ٢٢٧)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٩٨٣٦).

(٢) أخرجه ابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٢٧١) بلفظ: **«تآخوا أخوين أخوين»**.

وَمَعَ الأَسَفِ إِنَّنِي بَعْدَ البَحْثِ الطَّوِيلِ لَمْ أَحْظَ بِأَسْمَاءِ جَمِيعِ المُتَآخِينَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَهَامِّ التَّارِيخِ فِي نَظَرِ البَاحِثِينَ، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ. وَخَارِجَةُ بْنُ زُهَيْرٍ، عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَعَتَّابُ بْنُ مَالِكٍ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ، طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ. وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، الزُّبَيْرُ بْنُ مُعَاذٍ، وعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ. سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ العَدَوِي، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ. مُصْعَبُ بْنُ عُمَيرٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ. أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ، وَعَبَّادُ بْنُ بَشِيرٍ. عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ. أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِي، وَالمُنْذِرُ بْنُ عَمْرو. حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَة، وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ. بِلاَلُ بْنُ رَبَاحٍ، وَأَبُو رُوَيْحِة الخَثْعَمِي.

هَؤلاءِ الَّذِينَ ظَفَرْتُ بِهِمْ وَكَانَ ﷺ يَعْقِدُ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ المُؤاخَاةَ، وَلَمَّا تَمَّ عَقْدُ المُؤاخَاةِ بَالَغَ الأَنْصَارُ فِي الإِكْرَامِ وَتَجَاوَزُوا الحَدَّ الأَقْصَى فِي المُواسَاةِ فَكَانَ الأَنْصَارِيُّ يُخَيِّرُ أَخَاهُ المُهَاجِرَ فِي اخْتِيَارِ زَوْجَةٍ مِنْ زَوْجَاتِهِ لِيَتَنَازَلَ لَهُ عَنْهَا. رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ.

الفَصْلُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ

نَشْرُ الدَّعْوَةِ إِلَى الإِسْلاَمِ وَإِسْلاَمُ ابْنُ سَلاَمٍ

نَشْرُ الدَّعْوَةِ إِلَى الإِسْلاَمِ وَإِسْلاَمُ ابْنُ سَلامٍ

تَفَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ عَقْدِ المُؤَاخَاةِ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ إِلَى نَشْرِ الدَّعْوَةِ فِيمَنْ تَأَخَّرَ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ عَنِ الإِسْلاَمِ. فَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنْدِيَتِهِمْ وَيَتَعَهَّدُهُمْ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، فَأَجَابَهُ أَكْثَرُهُمْ طَوْعاً وَرَغْبَةً وَأَجَابَهُ آخَرُونَ تَقِيَّةً وَنِفَاقاً وَرَأْسُ هَؤلاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أُبَيّ بْنِ سَلُولِ الخَزْرَجِيُّ. ثُمَّ دَعَا اليَهُودَ إِلَى الإِيمَانِ بِرِسَالَتِهِ كَمَا آمَنُوا بِأَخِيهِ مُوسَى وَكَانُوا ثَلاَثَ طَوَائِفَ هُمْ: بَنُو قِينُقَاعٍ وَبَنُو النَّضِيرِ حُلَفَاءُ الخَزْرَجِ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ حُلَفَاءُ الأَوْسِ، فَأَبَى أَحْبَارُهُمْ التَّصْدِيقَ بِهِ غَيْرَ الحُصَيْنِ بْن سَلامٍ فَإِنَّهُ بَادَرَ إِلى الإِسْلاَمِ وَسَمَّاهُ ﷺ عَبْدَ الله، وَحِينَ أَسْلَمَ طَلَبَ مِنْ رَسُولِ الله أَنْ يَجْمَعَ اليَهُودَ وَيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ وَهَلْ يَرْضَوْنَهُ حَكَماً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَجَمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ لَهُم: **«يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ فَوَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقّاً وَأَنَّكُمْ تَجِدُونَ صِفَتِي فِي كِتَابِكُمْ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»**[1].

(١) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية: (١/ ٢٠١).

قَالُوا: مَا نَعْلَمُ عَنْكَ شَيْئاً.

فَقَالَ ﷺ: «**فَأَيّ رَجُلٍ فِيكُمْ ابنُ سَلامٍ**».

قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا.

قَالَ ﷺ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ**».

قَالُوا: حَاشَا للَّهِ مَا كَانَ لَيُسْلِمَ.

فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: «**يَا ابْنَ سَلامٍ أَمَا تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ تَجِدُونِي مَكْتُوباً عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ**».

قَالَ ابْنُ سَلامٍ: بَلَى يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ وَيْلَكُمُ اتَّقُوا الله فَوَاللَّهِ الَّذِي لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقاً، فَقَالُوا: كَذَبْتَ أَنْتَ أَشَرُّنَا فَقَالَ ابْنُ سَلامٍ إِنَّهُمْ قَوْمٌ بُهْتٌ أَهْلُ غَدْرٍ[1].

فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ عِنْدِهِ وَتَرَكَهُمْ وَشَأْنَهُمْ لِمَا تَضَمَّنَهُ البَيَانُ السَّابِقُ مِنْ مَوَادَعَتِهِمْ، ثُمَّ تَفَرَّغَ ﷺ للاسْتِعْدَادِ لِمُقَاوَمَةِ قُرَيْشٍ لِتَمَادِيهِمْ فِي البَغْيِ وَالعُدْوَانِ بِمْضَاعَفَةِ أَذَى المُسْتَضْعَفِينَ وَمُصَادَرَةِ أَمْوَالِ المُسْلِمِينَ رَجَاءَ أَنْ يَأْذَنَ الله لَهُ فِي حَرْبِهِمْ وَتَخْلِيصِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنْ أَيْدِيهِمْ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٥/ ٨٠)، وابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٢٥٠)، والترمذي في دلائل النبوة: (١١٤).

الفَصلُ السَّابِعُ وَالأَربَعُونَ

تَمَادِي قُرَيشٍ في البَغيِ وَإِذنُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ بِقِتَالِهِم

تَمَادِي قُرَيْشٍ فِي البَغْيِ
وَإِذْنُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ بِقِتَالِهِمْ

عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ صَارَ فِي مَنَعَةٍ وَقُوَّةٍ بِالأَنْصَارِ وَقَدْ آخَى بَيْنَ رُؤَسَائِهِمْ وَالمُهَاجِرِينَ، وَأَنَّهُ عَاهَدَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ اليَهُودِ، فَضَاعَفُوا أَذَى المُسْتَضْعَفِينَ، وَصَادَرُوا أَمْوَالَ المُهَاجِرِينَ، وَأَلَّبُوا البَوَادِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيَصُدُّوهُ عَنْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ وَالقِيَامِ بِمُهِمَّتِهِ، عِنْدَ ذَلِكَ أَذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي القِتَالِ، ثُمَّ أَوْجَبَ عَلَيْهِم قِتَالَ مَنْ يُقَاتِلُهُمْ، وَلَمَّا رَمَتْهُمْ العَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ أَوْجَبَ سُبْحَانَهُ قِتَالَ المُشْرِكِينَ، كَافَّة، فَأَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[1].

وَحَاصِلُ مَعْنَاهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَخَّصَ بِالقِتَالِ لِلمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقَاتَلُونَ أَي يَرْغَبُونَ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ الدِّينِ الَّذِينَ ظَلَمُوهُمْ

(١) سورة الحج، الآية: (٣٩).

وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، ثُمَّ بَشَّرَهُمْ بِأَنَّهُ تَعَالَى قَدِيرٌ عَلَى نَصْرِهِمْ، أَيْ وَمَنْ كَانَ وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ صَاحِبَ القُدْرَةِ العَظِيمَةِ فَإِنَّهُ بِلا شَكّ سَيَكُونُ غَالِباً.

تَأَهَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلحَرْبِ أُهْبَتَهُ، وَبَدَأَ بِقَطْعِ سَبِيلِ التِّجَارَةِ عَلَى قُرَيْشٍ لِتَضْعُفَ قُواهُمْ وَتَشْتَدُّ عَزَائِمُ المُسْلِمِينَ بِمَا يُفِيئُهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ أَعْدَائِهِمْ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ مُنَاوَشَاتٌ وَحُرُوبٌ أَرْسَلَ فِي بَعْضِهَا أَصْحَابَهُ، وَخَرَجَ فِي بَعْضِهَا بِنَفْسِهِ، وَسَمَّى أَهْلُ السِّيرِ مَا خَرَجَ ﷺ فِيهَا بِنَفْسِهِ غَزْوَةً وَعَدَدُهَا نَحْوَ الثَّلاَثِينَ، وَمَا أَرْسَلَ فِيهَا أَصْحَابَهِ سَرِيَّةً، وَعَدَدُهَا نَحْوَ السَّبْعِينَ نَقْتَصِرُ فِي هَذَا الكِتَابِ عَلَى مَا بِهِ العِظَةُ وَالعِبْرَةُ مِنْهَا لِذَوِي الأَلْبَابِ.

بَاقِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الأَوَلَى

الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ

سَرِيَّةُ حَمْزَةَ وَعُبَيْدَةَ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

سَرِيَّةُ حَمْزَةَ وَعُبَيْدَةَ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

أَوَّلُ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَيَ سَرِيَّةُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بَعَثَهُ فِي رَمَضَانَ سَابِعِ شَهْرٍ مِنَ الهِجْرَةِ وَمَعَهُ ثَلاثُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لِيَعْتَرِضُوا عِيراً لِقُرَيْشٍ رَاجِعَةً مِنَ الشَّامِ يَرْأَسُهَا أَبُو جَهْلٍ فِي ثَلَثمَائَةِ رَجُلٍ، فَالتَقَى الفَرِيقَانِ بِمَحَلّ يُسَمَّى سَيْفَ البَحْرِ، فَلَمَّا اصْطَفُّوا لِلقِتَالِ حَجَزَ بَيْنَهُمَا مُجْدِي بْنُ عَمْرٍو الجَهْنِي وَكَانَ حَلِيفاً لِلفَرِيقَيْنِ.

ثُمَّ بَعَثَ ﷺ فِي شَوَّال ابْنَ عَمِّهِ عُبَيْدَةَ بْنَ الحَارِثِ فِي سِتِّينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ فَلَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ فِي مَائَتَيْ رَجُلٍ قُرَبَ الجُحْفَةِ فَتَرَامُوا بَالنِّبَالِ وَفَرَّ أَبُو سُفْيَانَ بِالعِيرِ، وَفَرَّ مِنَ العِيرِ إِلى المُسْلِمِينَ المِقْدَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الأَسْوَدِ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ القُرَشِيَّانِ، وَهُمَا مِنَ السَّابِقِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الحَبَشَةِ، فَلَعَلَّهُمَا عَادَا إِلَى مَحَلٍّ بِطَرِيقِ الشَّامِ وَاحْتَالاَ فِي مُرَافَقَةِ عِيرِ قُرَيْشٍ فَسُرَّ بِهِمَا رَسُولُ الله ﷺ سُرُوراً عَظِيماً.

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ المَذْكُورَةِ

سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ فِي عِشْرِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَقْدَامِ حَتَّى وَصَلُوا صَبِيحَةِ اللَّيْلَةِ الخَامِسَةِ المَحَلَّ المُسَمَّى فَرَّاراً فَفَاتَتْهُمْ العِيرُ وَرَجَعُوا إِلَى المَدِينَةِ سَالِمِينَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ شُرِعَ الأَذَانُ لِلصَّلَوَاتِ الخَمْسِ.

حوادث السنة الثانية

الفصل التاسع والأربعون

غَزْوَةُ وَدَّان وَتُسَمَّى الأَبْوَاءَ
وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ تُرِيدُ الشَّامَ فَخَرَجَ مَعَ سِتِّينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ فِي شَهْرِ صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ كَيْ يَعْتَرِضُوا العِيرَ، فَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا وَدَّانَ[1]، فَفَاتَتْهُمُ العِيرُ، وَلَكِنَّهُ عَقَدَ صُلْحاً مَعَ بَنِي ضَمْرَةَ عَلَى أَنَّهُمْ لا يَغْزُونَهُ وَلاَ يُعِينُونَ عَلَيْهِ عَدُوّاً، وَإِذَا دَعَاهُمْ إِلَى نَصْرِهِ أَجَابُوهُ وَعَلَى أَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَى كُلِّ مَنْ يَرُومُهُمْ بِسُوءٍ.

ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ بُوَاطٍ[2] خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ المَذْكُورَةِ وَمَعَهُ مَائَتَانِ مِنَ المُهَاجِرِينَ، فَفَاتَتْهُمُ العِيرُ.

ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ سَفْوَانَ، وَتُسَمَّى بَدْراً الأُولَى، وَسَبَبُهَا أَنَّ رَجُلاً يُسَمَّى كُرْزاً أَغَارَ عَلَى أَطْرَافِ المَدِينَةِ وَنَهَبَ بَعْضَ مَوَاشِيهَا،

(١) ودان جبل قرب ينبع.

(٢) بواط: جبل من جبال جهينة بناحية رضوى. (معجم البلدان لياقوت الحموي): (١/٥٠٣).

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَلَبِهِ حَتَّى بَلَغَ المحَلَّ المَذْكُورَ وَلَمْ يُدْرِكُوا كُرْزاً وَعَادُوا إِلَى المَدِينَةِ سَالِمِينَ.

غَزْوَةُ العَشِيرَةِ

عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ خَرَجَ فِي عِيرٍ لِقُرَيْشٍ بِهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلاَّ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، فَخَرَجَ ﷺ فِي مَائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ فِي جُمَادَى الأُولَى مِنَ السَّنَةِ المَذْكُورَةِ يَعْتَقِبُونَ عَلَى ثَلاَثِينَ بَعِيراً، وَلَمَّا وَصَلُوا العَشِيرَةَ عَلِمُوا أَنَّ العِيرَ قَدْ فَاتَتْهُمْ، قَامُوا بِهَا أَيَّاماً ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى المَدِينَةِ سَالِمِينَ.

سَرِيَّةِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَبْدِ الله بْنِ جَحْشٍ الأَسَدِي

فِي شَهْرِ رَجَبَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي اثْنَي عَشَرَ رَجُلاً إِلَى نَخْلَة بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَسَمَّاهُ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، فَهُوَ أَوّلُ مَنْ سُمِّيَ بِذَلِكَ.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا التَقَى بِجَمَاعَةٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مَعَهُمْ تِجَارَةٌ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عُمَرَ بْنَ الحَضْرَمِيَّ، وَأَسَرَ اثْنَيْنِ، وَفَرَّ البَاقُونَ، فَغَنِمَ مَا مَعَهُمْ وَعَادَ إِلَى المَدِينَةِ، فَأَرْجَفَ بِهِ المُرْجِفُونَ وَقَالُوا: قَاتَلَ فِي رَجَبَ شَهْرِ اللَّهِ الحَرَامِ، فَتَوَقَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَخْذِ خُمُسِهِ مِنْ غَنَائِمِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ

قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾[1] وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُمْسَ تِلْكَ الأَمْوَالِ.

مِنْ هَذِهِ الغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا يَتَّضِحُ لِلقَارِىءِ قُوَّةُ عَزِيمَةِ المُسْلِمِينَ وَمُخَاطَرَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ فِي إِعْزَازِ الدِّين فَإِنَّ عَدَدَ المُحَارِبِين مِنْهُمْ مسلاَحِهِمْ كَانَ قَلِيلاً جِدّاً بِالنِّسْبَةِ لأَعْدَائِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانُوا يُطَارِدُونَ العَدُوَّ إِلَى أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ عَنِ المَدِينَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٧).

الفَصلُ الخَمسُونَ

تحوِيلُ القِبلَةِ وَصَومُ رَمَضَانَ وَالزَّكَاةُ

صَلاَةُ العِيدِ وَزَوَاجُ فَاطِمَةَ وَعَائِشَةَ وَحَفصَةَ

تحويلُ القِبْلَةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَالزَّكَاةُ صَلاةُ العِيدِ وَزَوَاجُ فَاطِمَةَ وَعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْغَبُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ مَكَّةَ وَيَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1] فَجَعَلَ ﷺ صَلاتَهُ إِلَى مَكَّةَ وَذَلِكَ بَعْدَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً مِنْ وُصُولِهِ المَدِينَةَ قَبْلَ بَدْرٍ بِشَهْرَيْنِ فَكَانَ ذَلِكَ اخْتِبَاراً لِلْمُوَحِّدِينَ، قَالُوا: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَفِتْنَةً لِغَيْرِهِمْ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ: مَا رَجَعَ مُحَمَّدٌ إِلَى قِبْلَتِنَا إِلاَّ أَنَّهُ رَأَى دِينَنَا حَقّاً وَيُوشِكُ أَنْ يَتَّبِعَهُ. وَقَالَتِ اليَهُودُ لَوْ كَانَ نَبِيّاً مَا خَالَفَ قِبْلَةَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، فَأَنْزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾[2] إِلَى آخِرِ الآيَاتِ، وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَوْجَبَ اللَّهُ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَزَكَاةَ الفِطْرِ، وَزَكَاةَ المَالِ، وَشَرَعَ صَلاةَ العِيدِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضاً زَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَتَهُ بِابْنِ عَمِّهِ

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٤٢).

عَلِيّ، وَكَانَ عُمْرُهُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَعُمْرُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَمْهَرَهَا عَلِيٌّ أَرْبَعَمائَةِ مِثْقَالٍ مِنَ الفِضَّةِ، وَأَوْلَمَ عَلَى ذَلِكَ أَفْخَرَ وَلِيمَةٍ تَمْراً وَحَيْساً وَخُبْزَ شَعِيرٍ، وَبَعْدَ أَنْ جَهَّزَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَهَا بَعْدَ العِشَاءِ مَعَ أُمِّ أَيْمَنَ إِلَى دَارِ عَلِيّ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ بِجِوَارِهِ، وَقَالَ لَهَا لا تُفَارِقِيهِمَا حَتَّى آتِيكَ، وَبَعْدَ صَلاَةِ العِشَاءِ ذَهَبَ ﷺ فَجَلَسَ بَيْنَهُمَا ثُمَّ أَمَرَ فَاطِمَةَ أَنْ تَأْتِي بِمَاءٍ فَاتَتْ بِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِ وَنَفَثَ فِيهِ ثُمَّ نَضَحَ بِهِ عَلَى صَدْرِهَا وَظَهْرِهَا، وَقَالَ:

«**اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْهُمَا الكَثِيرِ**» الطَّيِّبَ، ثُمَّ أَمَرَ عَلِيّاً بِأَنْ يَأْتِي بِمَاءٍ وَفَعَلَ بِهِ كَذَلِكَ وَدَعَا الدُّعَاءِ، وَقَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ فَكَانَ لَهُمَ مِنَ الذُّرِيَّةِ مَا لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِمَا مِنْ سَائِرِ المُسْلِمِينَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضاً بَنَى ﷺ بِعَائِشَةَ بِنْتِ صَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ وَنَقَلَهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهَا بِجِوَارِ المَسْجِدِ وفِيهَا تَزَوَّجَ ﷺ بِحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ وَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ، هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ الهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ عَادَ وَهَاجَرَ وحَضَرَ بَدْراً ثُمَّ تُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُسَاوِي بَيْنَ عُمَرَ وَأَبِي بَكْرٍ فِي مُصَاهَرَتِهِ كَمَا سَاوَى بَيْنَ عَلِيّ وَعُثْمَانَ فِي إِكْرَامِهِمَا بِتَزْوِيجِهِمَا بَنَاتِهِ، وَهَؤلاءِ الأَرْبَعَةُ أَجَلُّ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَامُوا بِنَشْرِ دَعْوَتِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصْلُ الحَادِي وَالخَمْسُونَ

غُزْوَةُ بَدْرِ الكُبْرَى وَالشُّورَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ

غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى وَالشُّورَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ

عَلِمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ قُرَيْشاً عَائِدَةٌ مِنَ الشَّامِ وَهِيَ الَّتِي يَرْأَسُهَا أَبُو سُفْيَانَ وَقَدْ فَاتَتْهُ ﷺ حِينَ اعْتَرَضَهَا فِي غَزْوَةِ العَشِيرَةِ وَقْتَ ذَهَابِهَا، وَإِنَّ فِيهَا أَمْوَالاً كَثِيرَةً لُقرَيْشٍ، فَاسْتَنْفَرَ ﷺ أَصْحَابَهُ عَامَّةً لِلتَّعَرُّضِ لَهَا، وَخَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ ثَمَانِيَةً مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَمَعَهُ أَقَلُّ مِنْ أَرْبَعمائَةِ رَجُلٍ مَعَهُمْ ثَلاثَ أَفْرَاسٍ وَسَبْعُونَ بَعِيراً يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهَا. وَعَلِمَ أَبُو سُفْيَانَ بِخُرُوجِهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ يَسْتَنْفِرُهَا لِحِمَايَةِ عِيرِهَا، وَسَلَكَ بِهَا غَيْرَ الطَّرِيقِ المُعْتَادِ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ نَحْوَ أَلْفٍ مَعَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ بَعِيرٍ وَمَائَةُ فَرَسٍ مَعَ كَمَالِ الاسْتِعْدَادِ، فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّوحَاءَ عَلَى نَحو أَرْبَعِينَ مِيلاً مِنَ المَدِينَةِ عَلِمَ بِذَلِكَ مَلُّهُ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ وَأَخْبَرَهُمْ بِخُرُوجِ قُرَيْشٍ لِقِتَالِهِمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الأَمْرِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَرَجْنَا لِلعِيرِ غَيْرَ مُستَعِدِّينَ. وَقَالَ آخَرُونَ: نَلْقَى عَدُوَّنَا وَاللَّهُ نَاصِرُنَا، فَأَعَادَ القَوْلَ ثَانِياً، فَقَالَ المِقْدَادِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الأَسْوَدِ مِنَ المُهَاجِرِينَ: لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتِ اليَهُودُ لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ

فَقَـٰتِلَآ ﴾[١] بَلْ نَقُولُ: قَاتِلْ عَدُوَّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ وَأَمَامَكَ وَخَلْفَكَ، فَأَعَادَ ﷺ القَوْلَ ثَالِثَةً، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ[٢] سَيِّدُ الأَوْس: وَكَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَمْرَنَا تَبَعٌ لأَمْرِكَ وَالله لَئِنْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا البَحْرَ لَخُضْنَاهُ، فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا سَمِعَ وَقَالَ: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ الله وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ. وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَصَارِعَ القَوْمِ**»[٣].

وَأَنْـزَلَ الله فِـي ذَلِـكَ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾[٤] أي اذْكُـروا مَـعَـاشِـرَ المُسْلِمِينَ الوَقْتَ الَّذِي وَعَدَكُمُ الله فِيهِ إِحْدَى طَائِفَتَي مُشْرِكِي قُرَيْشٍ أَنَّهَا لَكُمْ؛ أَيْ: تَحْتَ سُلْطَانِكُمْ، فَتَرْغَبُونَ أَنْ تَكُونَ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ وَهِيَ طَائِفَةُ العِيرِ فِيهَا أَبُو سُفْيَانَ مَعَ المَالِ الكَثِيرِ وَيُرِيدُ الله طَائِفَةَ النَّفِيرِ فِيهَا أَبُو جَهْلٍ وَرُؤَسَاءُ الشِّرْكِ أَعْدَاءُ الدِّين، لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيَقْطَعَ دَابِر أُولَئِكَ الكَافِرِينَ، فَكَانَ مَا أَرَادَهُ تَعَالَى، وَهُو أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ.

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٢٤).

(٢) هذا هو المشهور في كتب السير وشرح البخاري والذي في مسلم في أن القائل هو سعد بن عبادة ولا مانع من أن يكون كل واحد منهما تكلم عن قومه لأن ابن عبادة سيد الخزرج وابن معاذ سيد الأوس والله أعلم.

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (٣/ ١٦٩)، وابن كثير في البداية والنهاية: (٣/ ٢٦٢).

(٤) سورة الأنفال، الآية: (٧).

الفَصلُ الثَّانِي وَالخَمسُونَ

اِلتِقَاءُ الجَيشَينِ وَالتِحَامُ القِتَالِ

الْتِقَاءُ الجَيْشَيْنِ وَالتِحَامُ القِتَالِ

سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى نَزلُوا عَلَى أَغْزَرِ مِيَاه بَدْرٍ وَجَعَلُوهُ خَلْفَ أَظْهُرِهِمْ بَإِشَارَةِ الحُبَابِ بْنِ المُنْذِرِ الأَنْصَارِي، ثُمَّ بَنَوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشاً عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى مَيدَانِ القِتَالِ لِتَكُونَ القِيَادَةُ العَامَّةُ لَهُ ﷺ وَجَعَلُوا عِنْدَهُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق، وَتَوَلَّى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ حِرَاسَةِ العَرِيشِ بِنَفْسِهِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَسْأَلُهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ.

وَلَمَّا كَانَ صُبْح يَوْم الجُمُعَةِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَمَضَانَ، التَقَى الجَيْشَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَتَّبَ الجُنْدَ وَأَعْطَى لِوَاءَ أَبْيَضَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ العَبْدَرِي وَرَايَةً بَيْضَاءَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَرَايَةً بَيْضَاءَ لِلْحُبَابِ بْنِ المُنْذِرِ، عِنْدَ ذَلِكَ بَرَزَ ثَلاَثَةٌ مِنْ مُشْرِكِي عَبْدِ شَمْسٍ وَطَلَبُوا مُبَارَزَةَ بَنِي عَمِّهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِم، فَبَرَزَ لَهُمْ حَمْزَةَ وَابْنَا أَخَوَيْهِ عُبَيدةُ بْنُ الحَارِثِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَتَلَ الثَّلاَثَةُ المُسْلِمُونَ الثَّلاثَةَ المُشْرِكِينَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةَ جُرْحاً بَلِيغاً فَحَمَلَهُ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ إِلَى عَرِيشِ النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخْذِهِ وطَيَّبَ قَلْبَهُ، فَقَالَ عُبَيْدَةُ نَحْنُ أَحَقُّ بِقَوْلِ أَبِي طَالِبٍ:

أُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ دُونَهُ وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلاَئِلِ

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالجَنَّةِ وَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ، وقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ إِلَى الآنِ بِالصَّفْرَاءِ، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَدَّلَ الصُّفُوفَ وَأَوْصَى أَصْحَابَهُ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَعَادَ إِلَى عَرِيشِهِ يُلاحِظُ حَرَكَاتِ الجُنْدِ وَيَسْأَلُ الله إِنْجَازَ الوَعْدِ، وبَعْدَ مُنَاوَشَاتٍ هَجَمَ المُشْرِكُونَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَكَثُرَتِ الجِرَاحَاتِ ثُمَّ جَاءَ النَّصْرُ المُبِينُ بِانْهِزَامِ المُشْرِكِينَ فَوَلَّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُدْبِرِينَ.

وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ القَتْلَ فِي قُرَيْشٍ قَدْ اسْتَحَرَّ، أَخَذَتْهُ الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ وَأَمَرَ بِالأَسْرِ، فَعَارَضَهُ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَلْتَفِتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى العَارِضِينَ بَلْ أَرْسَلَ مَنْ يُنَادِي فِي النَّاسِ مَنْ أَسَرَ أَسِيراً فَهُوَ لَهُ، فَبَادَرَ المُسْلِمُونَ لأَسْرِ المُشْرِكِينَ حَتَّى بَلَغَ عَدَدُهُمْ كَالقَتْلَى سَبْعِينَ، وَفِي هَذَا مَظَاهِرُ كَثِيرةٌ مِنْ مَدْلُولِي آيَةِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1]، وآيَةِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[2].

(١) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

(٢) سورة القلم، الآية: (٤).

الفَصلُ الثَّالِثُ وَالخَمسُونَ

دَفْنُ القَتْلَى وَنِدَاءُ المَوتَى

دَفْنُ القَتْلَى وَنِدَاءُ المَوْتَى

كُلُّ أَعْمَالِهِ ﷺ دُرُوسٌ يَنْتَفِعُ بِهَا المُفَكِّرُونَ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ وَمَعَهُ أَقَلُّ مِنْ أَرْبَعْمَائَةِ مُقَاتِلٍ، لَيْسَ مَعَهُمْ إِلاَّ سَبْعُونَ بَعِيراً كَانُوا يَتَعَاقَبُونَهَا، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَعَاقَبُ مَعَ عَلِيٍّ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بَعِيراً وَاحِداً لِيَقْتَدِي بِهِ قُوَّادُ الجُيُوشِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ كَثْرَةَ العَدُوِّ شَاوَرَ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يَقْدُمْ عَلَى الأمرِ حَتَّى اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ وَسَمِعَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَفْدُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ بَلْ سَمِعَ مِنْهُمْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُمْ لاَ يَتَقَاعَسُونَ عَنِ امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَلَوْ تَحَقَّقَ لَدَيْهِمْ هَلاَكُ أَنْفُسِهِم فَلِلَّهِ دُرُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَالمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ، حَيْثُ أَفْصَحَا عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعْيِينَ مَيدَانِ القِتَالِ أَخَذَ بِرَأْيِ الحُبَابِ بْنِ المُنْذِرِ فَجَعَلُوا المَاءَ خَلْفَ أَظْهُرِهِمْ، وَبَنَوْا لَهُ ﷺ عَرِيشاً عَلَى تَلٍّ لِتَكُونَ حَرَكَاتُ الجُنْدِ عَلَى مَرْأَى مِنْهُ ﷺ وَتَوَلَّى القِيَادَةَ بِنَفْسِهِ وَكَانَ يَنْزِلُ إِلَى المَيدَانِ وَيُصْلِحُ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ بِعَصاً فِي يَدِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَمْنَعُوا أَحَداً مِنْ وُرُودِ الماءِ، وَلَمَّا انْهَزَمَ الأَعْدَاءُ أَمَرَ بِالكَفِّ عَنِ القَتْلِ وَاسْتِبْدَالِهِ بِالأَسْرِ رَحْمَةً مِنْهُ وَشَفَقَةً.

وَلَمَّا انْتَهَتِ المعْرَكَةُ أَمَرَ بِدَفْنِ القَتْلَى مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَعْدَائِهِ. وَنَزَلَ فَزَارَ الشُّهَدَاءَ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ سِتَّةً مِنَ المُهَاجِرِينَ وَسِتَّةً مِنَ الخَزْرَجِ وَاثْنَيْنِ مِنَ الأَوْسِ. وبَعْدَ ذَلِكَ وَقَفَ عَلَى مَدْفَنِ الأَعْدَاءِ المُشْرِكِينَ وَكَانُوا سَبْعِينَ فَنَادَى كُلَّ رَئِيسٍ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ يَا فُلانَ بْنَ فُلانٍ. يَا فُلانَ بْنَ فُلانٍ، ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ بِقَوْلِهِ: «**هَلْ وَجَدتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقّاً؟**». فَقَالَ لَهُ سَيدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَيْفَ تُنَادِي أَجْسَاماً هَامِدَةً؟ فَقَالَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ إلاَّ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعونَ الجَوَابَ**»[1].

ولَمَّا انْتَهَتِ الحَرْبُ أَقَامَ بِمَحَلِّهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَتُهُ عَلَى الدَّوَامِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ وَمَعَهُ الأَسَارَىٰ وَالغَنَائِمُ، وَفِي وَادِي الصَّفْرَاءِ قَسَّمَهَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِقَتْلِ النَّضْرِ بْنِ الحَارِثِ، ثُمَّ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ لِكَثْرَةِ إِيذَائِهِمَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ.

وَلَمَّا دَخَلَ المَدِينَةَ شَاوَرَ أَصْحَابَهُ فِي الأَسْرَى وَبَعْدَ مُحَاوَرَةٍ طَوِيلَةٍ تَقَرَّر المَنُّ عَلَى المُعْوَزِينَ وَالفِدَاءُ عَلَى آخَرِينَ وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ عَمُّهُ العَبَّاس فَدَفَعَ الفِدَاءَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَعْضِ أَقَارِبِهِ وَعَادَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ أَنَّ أَعْمَالَ العَبَّاسِ تَدُلُّ عَلَى إِيمَانِهِ، فَإِنَّهُ حَضَرَ بَيْعَةَ الأَنْصَارِ لَيْلَةَ العَقَبَةَ وَاسْتَوْثَقَ لِرَسُولِ اللَّهِ مِنْهُمْ، وَكَانَ بَقَاؤُهُ بِمَكَّةَ

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣/ ٢٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور: (٥/ ١٥٧)، والبيقهي في دلائل النبوة: (٣/ ٨ و٩٢)، والهندي في كنز العمال: (٢٩٨٧٤).

عَيْناً لِرَسُولِ اللَّهِ يُكَاتِبُهُ بِأَخْبَارِ المُشْرِكِينَ، وَلِهَذَا أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ لاَ يَقْتُلُوهُ وَلَكِنَّهُ عَامَلَهُ فِي الفِدَاءِ بِظَاهِرِ أَمْرِهِ كَيْ يَبْقَى عَيْناً لَهُ عَلَى عَدُوِّهِ كَذَلِكَ كَانَ حَتَّى عَامَ الفَتْحِ واللَّهُ أَعْلَمُ.

وَهٰهُنَا يُحْسِنُ أَنْ نُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَعَلَ مِنْ جُمْلَةِ مَا يُقْبَلُ فِي الفِدَاءِ تَعْلِيمَ الكِتَابَةِ لِعَشَرَةٍ مِنْ أَوْلاَدِ المُسْلِمِينَ عَلَى كُلِّ فَقِيرٍ يُحْسِنُ التَّعْلِيمَ مَعَ أَنَّ قَدرَ الفِدَاءِ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ كَانَ أَرْبَعَةَ آلاف دِرْهَم لِكُلِّ مَأْسُورٍ فَلْيَفْقَهْ هَذَا إِخْوَانُنَا المُسْلِمُونَ وَلاَ يَسْتَكْثِرُوا فِي تَعْلِيمِ أَوْلاَدِهِمْ مَا يَبْذُلُونَ.

وَفِي قِصَّةِ بَدْرٍ وَمَا جَرَى فِيهَا وَبَعْدَهَا مَظَاهِرُ كَثِيرَةٌ مِنْ مَدْلُولَي آيَتَيْ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[1] و﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ بَدْر أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ سُورَةَ الأَنْفَالِ وَقَدْ عُنِيَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ وَالسِّيَرِ بِتَفْسِيرِهَا.

تَكمِلَةٌ

يَحْسُنَ أَنْ نُحَرِّرَ بِهَذِهِ الزُّبْدَةِ أَبْطَالَ بَدْرٍ الكِرَامَ لاخْتِلاَفِ

(١) سورة القلم، الآية: (٤).
(٢) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

العُلَمَاءِ فِي عَدَدِهِمْ وَتَخَبُّطِ الكَثِيرِينَ فِي أَسْمَائِهِمْ وَكُنَاهُمْ مَعَ أَنَّهُ وَرَدَ فِي حَقِّهِمْ: «**لَعَلَّ اللَّه اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ لَهُمُ اصْنَعُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١).

لِهَذَا عُنِيتُ بِذَلِكَ وَاقْتَفَيْتُ تَرْتِيبَ العَلاَّمَةِ ابْنِ هِشَامٍ وَأَتْمَمْتُ مَا فَاتَهُ مِنْ كُتُبِ الحَدِيثِ وَالسِّيَرِ فَبَلَغَ مَجْمُوعُ عَدَدِ البَدْرِيِّينَ ثَلاثَمَائَةٍ وَثَلاثَةً وَسِتِّينَ وَهُوَ غَايَةُ مَا قِيلَ فِي مَجْمُوعِ عَدَدِهِمْ كَمَا قَالَ العَسْقَلانِي أَرْبَعَةٌ وَتِسْعُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَأَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ مِنَ الأَوْسِ وَمَائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَتِسْعُونَ مِنَ الخَزْرَجِ كَمَا فِي القَسْطَلانِي.

الحِزْبُ الأَوَّلُ المُهَاجِرُونَ أَرْبَعَةٌ وَتِسْعُونَ

ذَكَرَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ سِهَامَ المُهَاجِرِينَ مِنْ بَدْرٍ كَانَتْ مَائَةً وَهَا نَحْنُ قَدْ ظَفِرْنَا بِأَرْبَعَةٍ وَتِسْعِينَ مِنْ أَسْمَائِهِم، وَلَعَلَ السِّتَّةَ الأَسْهُمَ البَاقِيَةَ هِيَ سِهَامُ الثَّلاثَةِ الأَفْرَاسِ الَّتِي مَعَهُمْ كَمَا قَال الاسهم الباقية العَسْقَلانِي (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ شَرَفُ البَدْرِيِّينَ).

حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ الهَاشِمِي. عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيُّ. زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الكَلْبِي مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ. أَنَسَةُ الحَبَشِي مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. أَبُو كَبْشَةَ الفَارِسِي مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤/ ٧٣) و(٥/ ٩٩ و١٨٥) و(٦/ ١٨٦) و(٨/ ١٣٢) و(٩/ ٢٤).

أَبُو مَرْثِدٍ كَنَّازُ بْنُ حُصَيْنٍ. ابْنُهُ مُرْثِدٌ. عُبَيْدَةُ بْنُ الحَارِثِ الهَاشِمِي. الطُّفَيْلُ بْنُ الحَارِثِ الهَاشِمِي. الحُصَيْنُ بْنُ الحَارِثِ الهَاشِمِي. مِسْطَحُ وَهُوَ عَوْفُ بْنُ أُثَاثَةَ بنِ عَبَّادٍ المُطّلبِي. فَهَؤلاءِ إِثْنَا عَشَرَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ وَمَوَالِيهِمْ.

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الأَمَوي. أَبُو حُذَيْفَةَ مُهْشِمٌ أَوْ هِشَامُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ. سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ الأَسَدِي. عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصِن الأَسْدِي. شُجَاعُ بْنُ وَهْبٍ الأَسَدي. عُقْبَةُ بْنُ وَهَبٍ الأَسَدِي. أَبُو سِنَانِ بْنُ مُحْصِن بْنُ حَرْثَانَ الأَسَدِي. ابْنُهُ سِنَانُ. مُحْرِزُ بْنُ نَضْلَةَ الأَسَدِي. رَبِيعَةُ بْنُ أَكْتَمَ الأَسَدِي. ثَقِيفُ بْنُ عَمْرو. أَخُوه مَالِكٌ. أَخُوهُمَا مِدْلاجٌ أَوْ مَدْلَجُ بْنُ عَمْرٍو. أَبُو مَخْشِي سُوَيْدُ بْنُ مَخْشِي الطَّائِي. يَزِيدُ بْنُ رُقَيْشٍ الأَسَدِي. عُتْبَةَ بْنُ غَزَوَانَ النَّوْفَلِي. خَبَّابٌ مَوْلَى عُتْبَةَ. الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ الأَسَدِي. حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ الأَسَدِي. سَعْدٌ الكَلْبِي مَولَى حَاطِبٍ. مِصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ العَبْدَرِي. سُوَيْبِطُ بْنُ سَعْدٍ العَبْدَرِي. عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ الزُّهْرِي. سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الزُّهْرِي. أَخُوهُ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الزُّهْرِي. المِقْدَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الأَسْوَدِ الحَضْرَمِيُّ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسعُودٍ الهَذَلِي. مَسْعُودُ بْنُ رَبِيعَةَ القَارِي مِنَ القَارَّةِ. ذُو الشِّمَالَيْنِ عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو الخُزَاعِي. خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ التَّمِيمِي. أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

عُثْمَانَ صِدِّيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التَّمِيمِي. بِلاَلُ بْنُ رَبَاح الجُمَحِي مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ. عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ الأَسَدِي مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ. صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ النَّمْرِي ثُمَّ الرُّومِي. طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الأَسَدِيُّ. أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِي. شَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ المَخْزُومِيُّ. الأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الأَرْقَمِ عَبْدُ مَنَفٍ المَخْزُومِيُّ. عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ العَنْسِيُّ. مُعْتِبُ بْنُ عَوْفٍ الخُزَاعِيُّ. عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيُّ. زَيْدُ بْنُ الخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيُّ. مِهْجَعُ بْنُ عَكّ بْنُ عَدْنَانَ مَوْلَى عُمَرَ بْن الخَطَّابِ. عَمْرُو بْنُ سُرَاقَةَ العَدَوِيُّ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُرَاقَةَ العَدَوِي. وَاقِدٌ أو وَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَلِيفُ بَنِي عَدِيّ. خَوْلَى بْنُ أَبِي خَوْلَى حَلِيفُ بَنِي عَدِيّ. مَالِكُ بْنُ أَبِي خَوْلَى حَلِيفُ بَنِي عَدِيّ. عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ العَنَزِي حَلِيفُ آلِ الخَطَّابِ. عَامِرُ بْنُ البُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ يَا لَيْلِ. أَخُوهُ عَاقِلٌ. أَخُوهُمَا خَالِدٌ. أَخُوهُمْ إِيَاسٌ وَهَؤُلاَءِ حُلَفَاءُ بَنِي عَدِيّ. سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ العَدَوِي. عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ الجَمَحِي، ابْنُهُ السَّائِبُ. قُدَامَةَ بْنُ مَظْعُونٍ الجُمَحِي. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَظْعُونٍ الجَمَحِي. مَعْمَرُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ مَعْمَرٍ الجُمَحِي. خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِي. أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رَهْمٍ العَامِرِي. عَبْدُ الله بْنُ مَخْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ العُزَّى. عَبْدُ الله بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ. عُمَيْرُ بْنُ عَوْفٍ مَوْلَى سُهَيْلٍ، سَعْدُ بْنُ خَوْلَى العَامِرِي. أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ

الجَرَّاحِ. عَامِرٌ أَوْ عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ بْنُ زُهَيْرٍ. سُهَيْلُ أَوْ سَهْلُ بْنُ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ بَيْضَاءَ. أَخُوهُ صَفْوَانُ. عَمْرُو بْنُ أَبِي السَّرْحِ. وَهْبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ العَامِرِي. حَاطِبُ بْنُ عَمْرِو العَامِرِي. عَيَّاضُ بْنُ زُهَيْرٍ الفِهْرِي مِنْ بَنِي الحَارِثِ. فَهَؤُلاَءِ خَمْسَةٌ وَثَمَانُونَ ذَكَرَهُمْ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ وَأَمَّا البَاقُونَ فَهُمْ:

الأَخْنَسُ بْنُ حَبِيبٍ. سَبْرَةُ بْنُ فَاتِكٍ. الحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ. صُبَيْحٌ مَوْلَى أَبِي العَاصِ مَرِضَ فَأَسْهَمَ لَهُ. طُلَيْبُ بْنُ عُمَيْرٍ. وَهْبُ بْنُ أَبِي السَّرْحِ. يَزِيْدُ بْنُ الاخْنَسِ. خُرَيْمُ بْنُ فَاتِكٍ. عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ حَلِيفُ بَنِي عَامِرٍ.

فَهَؤُلاَءِ أَرْبَعَةٌ وَتِسْعُونَ رَجُلاً مِنَ المُهَاجِرِينَ، ثَلاَثَةٌ مِنْهُمْ لَمْ يَحْضُرُوا بَدْراً وَلَكِنْ فَرَضَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ حَضَرَ، وَهُمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الأُمَوِي، وَطَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الأَسَدِي. وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ الأَسَدِي. لأَنَّ الأَوَّلَ جَلَسَ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِ زَوْجِهِ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَرَضِهَا وَالأَخِيرَانِ بَعَثَهُمَا لِيَتَجَسَّسَا أَخْبَارَ قُرَيْشٍ فَقَدِمَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، بَعْدَ عَوْدِهِ مِنَ الغَزْوَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

الحِزْبُ الثَّانِي الأَوْسُ أَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ هَذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ

سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ، أَخُوهُ عَمْرُو بْنُ مُعَاذٍ.

الحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ. الحَارِثُ بْنُ أَنَسٍ أو ابْنُ قَيْسِ بنِ رَافِعِ بْنِ عَبْدِ الأشْهَلِ. سَعْدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عُبيدٍ. سَلَمَةُ بْنُ سَلاَمَةَ بْنِ وَقْشِ بْنِ زَعُورا. عَبَّادُ بْنُ بِشْرِ بْنِ وَقْشِ بْنِ زَعُورَا. سَلَمَةُ بْنُ ثَابِت بْنِ وَقْشِ بْنِ زَعُورا. رَافِعُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ كُرْز بْنِ زَعُورَا، الحَارِثُ بْنُ خُزَيْمَةَ أو ابْنُ خُزَيْمَةَ أَوْ ابْنُ خُزَمَةَ بْنِ عَدِي حَلِيفٌ لَهُمْ. مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ خَلْدِ بْنِ عَدِيّ بْنِ مُجْدَعَةَ بْنِ حَارِثِ بْنِ الحَارِثِ. سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ بْنِ حُرَيْشٍ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الحَارِثِ. أَبُو الهَيْثَم مَالِكُ. عُبَيْدَةُ بْنُ التَّيْهَانِ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْل أَخُو بَنِي زَعُورَا، هَؤُلاَءِ خَمْسَةَ عَشَرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ. قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَامِرٍ. عُبَيْدُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مَالِكٍ. وَيُقَالُ لَهُ المُقرِنُ لأَنَّهُ قَرَنَ أَرْبَعَةً مِنَ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ. النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدٍ. مُعْتِبُ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدٍ. عَبْدُ اللَّهِ بْنِ طَارِقٍ البَلَوِي حَلِيفُهُمْ. مَسْعُودُ بْنُ عَبْدِ سَعْدٍ مَنْ بَنِي حَارِثَةَ. أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ. أَبُو بُرْدَةَ هَانِىءُ بْنُ نَيَارٍ البَلَوِي حَلِيفُهُم. عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ. مُعْتِبٌ أَوْ مُتْعِبُ بْنُ قُشَيْرِ بْنِ مَلِيلَ بْنُ الأَزعرِ بْنِ زَيْدٍ. عَمْرٌو أَوْ عُمَيْرُ بْنُ مَعْبَدِ بْنِ الأَزْعَرِ بْنِ زَيْدٍ. سَهْلُ بْنُ حَنِيفِ بْنِ وَاهِبٍ (الخَمْسَةُ الأَخِيرونَ مِنْ بَنِي عَوْفٍ). مَبْشُرُ بْنُ عَبْدِ المُنْذِرِ بْنِ زَنِيرٍ. رِفَاعَةُ أَخُوهُ. سَعْدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ. عوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ. رَافِعُ بْنُ

عَنْجَدَةَ. عُبَيْدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ. ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبِ بْنِ عَمْرٍو. أَبُو لُبَابَةَ بَشِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرَّوْحَاءِ وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ أَصْحَابِ بَدْرٍ. الْحَارِثُ بْنُ حَاطِبِ بْنِ عَمْرٍو وَقَعَ فَكُسِرَ بِالرَّوْحَاءِ فَرَدَّهُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ أَصْحَابِ بَدْرٍ. أَنِيسُ بْنُ قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعَةَ. مَعْنُ بْنُ عَدِيّ الْبَلَوِي حَلِيفُهُمْ. ثَابِتُ بْنُ أَرْقَمَ بْنِ ثَعْلَبَةَ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مَالِكٍ. عَاصِمُ بْنُ عَدِيّ بْنِ الْجَدِّ بْنِ الْعَجْلَانِ رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ أَصْحَابِ بَدْرٍ. زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بْنِ ثَعْلَبَةَ. رَبْعِي بْنُ رَافِعِ بْنِ زَيْدٍ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ النُّعْمَانِ عَاصِمُ بْنُ قَيْسِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ النُّعْمَانِ. أَبُو ضَبَّاحِ بْنُ ثَابِتِ بْنِ النُّعْمَانِ. أَخُوهُ أَبُو حَنَّةَ وَيُقَالُ لَهُ أَبُو حَبَّةَ. سَالِمُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ النُّعْمَانِ. خَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ النُّعْمَانِ وَقَعَ فَكُسِرَ بِالرَّوْحَاءِ فَرَدَّهُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ مَعَ أَصْحَابِ بَدْرٍ. مُنْذِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ. أَبُو عَقِيلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ قُضَاعَةَ حَلِيفُهُمْ. الْحَارِثُ بْنُ أَبِي خُزَمَةَ يُكَنَّى أَبَا بَشِيرٍ. سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ. مُنْذِرُ بْنُ قُدَامَةَ بْنِ عَرْفَجَةَ الْحَارِثُ بْنُ عَرْفَجَةَ، تَمِيمٌ مَوْلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ أَوْ مَوْلَى ابْنِ غُنْمٍ. جُبَيْرُ أَوْ جَبْرُ بْنُ عَتِيكِ بْنِ الْحَارِثِ. مَالِكُ بْنُ نُمَيْلَةَ أَوِ ابْنُ ثُمَيْلَةَ حَلِيفٌ لَهُمْ. النُّعْمَانُ بْنُ عَصْرٍ

البَلَوِي حَلِيفٌ لَهُمْ هَؤلاءِ واحد وَسِتُّونَ ذَكَرَهُمْ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ.

وأَمَّا البَاقُونَ فَهُمُ: النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي خَزْمَةَ. يَزِيْدُ بْنُ السَّكَنِ. خَدَاشُ بْنُ قَتَادَةَ. زِيَادُ بْنُ السَّكَن. إِيَاسُ بْنُ أَوْسٍ. شُرَيْكُ بْنُ أَنَسٍ. عَامِرُ بْنُ يَزِيْد. عَبْدُ اللَّهِ بْن شَرِيكٍ. عُمَارَةُ بْنُ زِيادٍ. عَبْدُ الرَّحمٰنِ بْنُ جُبَيْرٍ. مَالِكُ بْنُ قُدَامَةَ. ظَهِيرُ بْنُ رَافِعِ بْنِ عَدِيّ. مُظْهِرُ بْنُ رَافِعِ بْنِ رَافِعِ بْنِ عَدِيّ. فَهَؤلاءِ أَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ وَهُوَ مُوافِقٌ لِمَا فِي القَسْطَلانِي أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْراً لِلأَسْبَابِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا، فَأُعْطُوا أَسْهُمَهُمْ مِنَ الغَنِيمَةِ وَهُمْ: أَبُو لُبَابَةَ. رِفَاعَةُ بْنِ عَبْدِ المُنْذِرِ. وَالحَارِثُ بْنُ حَاطِب. وَعَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ. وَخَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

الحِزْبُ الثَّالِثُ الخَزْرَجُ مَائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَتِسْعُونَ هَذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ

خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ. سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ. عَبْدُ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، خَلاَّدُ بْنُ سُوَيْد بْنِ ثَعْلَبَةَ هَؤلاَءِ أَرْبَعَةُ نَفَرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ القَيْسِ. بَشِيرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، أَخُوهُ سَمَاكُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ بَنِي زَيْدٍ. سُبَيْعُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عِيْشَةَ. أَخُوهُ عُبَّادٌ أَوْ عُبَادَةُ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْسٍ فَهَؤلاَءِ ثَلاَثَةٌ مِنْ بَنِي عَدِيّ. يَزِيدُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ. خُبَيْبُ بْنُ أَسَافِ بْنِ عُتبَةَ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. أَخُوهُ خُرَيْث أَو الحَارِثُ. سُفْيَانُ بْنُ بِشْرٍ أَوْ نَصْرٍ فَهَؤلاَءِ

أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ الحَارِثِ. تَمِيمُ بْنُ يَعَارِه بْنِ قَيْسٍ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ أَوْ عَسِيرٍ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ. زَيْدُ بْنُ المُزَيَّن بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيّ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرْفَطَةَ بْنِ عَدِيّ هَؤلاَءِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي جَدَارَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ الحَارِثِ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ قَيْسٍ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولِ. أَوْسُ بْنُ خَوْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ هَذَانِ الرَّجُلانِ مِنْ بَنِي عَوْف بَنِي الحُبْلَى. زَيْدُ بْنُ وَدِيعَةَ بْنِ عَمْرِو. عُقْبَةَ بْنُ وَهْبِ بْنِ كَلدَةَ حَلِيفُهُمْ. رِفَاعَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ. عَامِرُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ عَامِرٍ اليَمَانِي حَلِيفُهُمْ. أَبُو خَمِيصَةَ مَعْدَدُ بْنُ عَبَّادٍ أَوْ عُبَادَةَ. عَامِرٌ أَوْ عَاصِمُ بْنُ البُكَيْرِ حَلِيفُهُمْ هَؤُلاَءِ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي جُزْءٍ أَوْ جَزِيّ. نَوْفَلُ بْنُ عَبْد اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ مَالِكٍ. عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ قَيْس. أَخُوهُ أَوْسُ بْنُ الصَّامِت بْنِ قَيْس هَذَانِ الرَّجُلان مِنْ بَنِي أَصْرَمَ بْنِ عَوْف. النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الدَّغْدِي. ثَابِتُ بْنُ هُزَالِ بْنِ قَرْبُوسٍ. مَالِكُ بْنُ الدَّخْشَمِ بْنِ مُرْضخَةَ. رَبِيعُ بْنِ إِيَاسِ بْنِ عَمْرِو. وَرَقَةُ بْنِ أَيَاسٍ. عَمْرُو بْنُ إِيَاسٍ هَؤلاَءِ الثَّلاثَةُ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ حُلَفَاء لَهُمْ، المُجْذِرُ عَبْد الله بْنِ زِيَاد بْنِ عَمْرَو البَلَوِيّ حَلِيفُهُمْ. عَبَّاد بْنُ عَمْرو. نَحَابُ أَوْ بحَّاثُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَخُوهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنُ خَالِدٍ حَلِيفُهُمْ مِنْ بَنِي بَهرَاءَ. هَؤلاَءِ خَمْسَةٌ مِنْ بَنِي غُصَيْنَةَ. أَبُو دُجَانَةَ سَمَاكُ بْنُ خرْشَةَ. المُنْذِرِ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ

البدَنِ أَو البَدِيِّ مَالِكُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ البَدَنَ أو البِدَيِّ. عَبْد رَبِّهِ بْنُ حَقّ أوْسِ. كَعْبُ بْنُ جَمَّازٍ الجُهَنِيُّ حَلِيفُهُمْ. ضَمْرَةُ بْنُ عَمْرو بْنِ ثَعْلَبَةَ الجَهْنِيِّ. أَخُوهُ زِيَادٌ، بَسِيسَةُ أَوْ بُسَيْس أَخُوهُمَا. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ البَلَوي حَلِيفُهُمْ، هَؤُلاَءِ الخَمْسَةُ مِنْ جُهَيْنَةَ حُلَفَاؤُهُمْ. خَرَاشُ بِنُ الصَّمَّةِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوح. الحَبَّابُ بْنُ المُنْذِرِ بْنِ الجَمُوحِ. عُمَيْرُ بْنُ عَمْرو بْنِ حَرَامِ. مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ قَاتِلُ أَبِي جَهْلِ. مُعَوِّذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ. خَلاَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ. عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِي بْنِ حَرَامِ. حَبِيبُ بْنُ الأَسْوَدِ مَوْلاَهُمْ. ثَابِتُ بْنُ الحَارِثِ بْنُ حَرَامِ. عُمَيْرُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ هَؤلاءِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي حَرَامِ. بَشِيرُ بْنُ البَرَاء بْنِ مَعْرُورِ بْنِ خَنْسَاءَ. الطُّفَيْلُ بْنُ مَالِكِ بْنِ خَنْسَاءَ. الطُّفَيْلُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ خَنْسَاءِ. سِنَانُ بْنُ صَيْفِيّ بْنِ صَخْرِ بْنِ خَنْسَاءَ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الجَدّ بْنِ قَيْسِ بْنِ صَخْرِ بْنِ خَنْسَاءَ. جُبَارُ بْنُ صَخْرِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَنَّاسِ. يَزِيدُ بْنِ المُنْذِرِ بْنِ سَرْحِ بْنِ خَنَّاسِ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ بَلْدَمَةَ. الضَّحَّاكُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ. سَوَادُ بْنُ زُرَيقِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. مَعْبَدُ بْنُ مَعْبَدُ بْنُ قَيْسِ بْنِ صَخْرِ بْنِ حَرَامِ هؤلاءِ سَبْعَةُ نَفَرِ مِنْ بَنِي خَنَّاسِ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ مَنَفِ بْنِ النُّعْمَان، جَابِرُ بْنُ عَبْد اللَّهِ بْنِ رَبَابِ بْنِ النُّعْمَانِ. خُلَيْدَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ. النُّعْمَانِ بْنُ سِنَانِ مَوْلاهُمْ هَؤلاءِ أَرْبَعَةُ نَفَرِ مِنْ بَنِي النُّعْمَانِ. أَبُو

المُنْذِرُ يَزِيدُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ. سَلِيمُ بْنُ عَمْرو بْنِ حَدِيدَةَ. قُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ. عَنْتَرَةُ مَوْلَى سَلِيمِ بْنِ عَمْرٍو، هَؤلاءِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي سَوَادٍ. عَبْسُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَدِيّ. ثَعْلَبَةُ بْنُ غَنَمَةَ بْنِ عَدِيّ. أَبُو اليُسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرو بْنِ عَبَّادٍ. سَهْلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ سَوَادٍ. عَمْرُو بْنِ طَلْقِ بْنِ زَيْدٍ. مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، هَؤلاءِ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي ذَكْوَانِ. قَيْسُ بْنُ مُحْصِنِ بْنِ خَالِدٍ. أَبُو خَالِدٍ الحَارِثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ. خبَيْرُ بْنُ إِيَاسِ بْنِ خَالِدٍ الزُّرَقِي. أَبُو عُبَادَةَ سَعْدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَلْدَةَ. عُقْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَلْدَةَ. ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسِ بْنِ خَلْدَةَ. مَسْعُودُ بْنُ خَلْدَةَ، هَؤلاءِ سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي زُرَيْق، عَبَّادُ بْنُ قَيْس بْنِ عَامِرِ بْنِ خَالِدٍ. أَسْعَدَ بْنُ يَزِيد بْنِ الفَاكِه بْنِ خَالِدَةَ. يُسْرُ بْنُ الفَاكِه بْنِ خَالِدَةَ، مُعَاذُ بْنُ مَاعِصِ بْنِ قَيْس بْنِ خَلْدَةَ، أَخُوهُ عَائِذٌ، مَسْعُودُ بْنُ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَلْدَةَ، هَؤلاءِ خَمْسَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي خَلَدَةَ بْنِ زُرَيْق، رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ العَجْلانِ، أَخُوهُ خَلاَّدٌ، عُبَيْدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ العَجْلانِ، هَؤلاءِ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي العَجْلانِ بْنِ زُرَيْق. زِيَادُ بْنُ لُبَيْدِ بْنِ بَيَاضَةَ. فَرْوَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَيَاضَةَ. خَالِدُ بْنُ قَيْسِ بْنِ بَيَاضَةَ. رُجَيْلَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ بَيَاضَةَ. عَطِيَّةُ بْنُ نُوَيْرَةَ بْنِ بَيَاضَةَ. خَلِيفَةُ بْنُ عَدِيّ بْنِ بَيَاضَةَ، هَؤلاءِ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي بَيَاضَةَ بْنِ زُرَيْق. رَافِعُ بْنُ المُعَلَّى بْنِ لَوْذَانِ. أَبُو أَيُّوب خَالِدُ بْنُ

زَيْدِ بْنِ كُلَيْبٍ، مِنْ بَنِي النَّجَارِ وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ فِي بَيْتِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. عَمَارَةُ بْنُ حَزْم بْنِ زَيْدِ بْنِ لَوْذَان. سُرَاقَةُ بْنُ كَعْبِ بْنِ عَبْد العُزَّى. حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ زَيْدٍ. سَلِيمُ بْنُ قَيْسِ بْنِ فَهْد. سُهَيْلُ بْنُ رَافِعِ بْنِ أبي عَمْرو. عَدِيُّ بْنُ الزَّنْبَاعِ الجُهَنِي حَلِيفُهُمْ. مَسْعُودُ بْنُ أَوْسِ بْنِ زَيْدٍ. أَبُو خُزَيْمَةَ بْنُ أَوْسِ بْنِ زَيْدٍ. رَافِعُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ سَوَادِ بْنِ زَيْدٍ. عَوْفُ بْنُ الحَارِث بْنِ رِفَاعَةَ مِنْ بَنِي عَفْرَاءَ، قَاتِلُ أَبي جَهْلٍ. أخُوهُ مُعَوّذ. أَخُوهُمَا مُعَاذٌ. النُّعْمَانُ أَوْ نُعَيْمَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ. عَامِرُ بْنُ مَخْلَد بْنِ الحَارِثِ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْس بْنِ خَالِدٍ. عُصَيْمَةُ حَلِيفُهُمْ مِنْ أَشْجَعَ. وَدِيعَةُ بْنُ عَمْرِو الجُهَنِي حَلِيفُهُمْ. ثَابِتُ بْنُ عَمْرو بْنِ زَيْدٍ. أَبُو الحَمْرَاءِ مَوْلَى الحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ، هَؤُلاَءِ عَشْرَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي سَوَادِ بْنِ غُنْم. ثَعْلَبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحْصِن بْنِ عَتِيك. سَهْلُ بْنُ عَتِيك بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ عَتِيكٍ. الحَارِثُ بْنُ الصِّمَّة بْنِ عَتِيك. كُسِرَ بالرَّوْحَاءِ فَضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ، هَؤلاَءِ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَتِيكٍ. أُبَيُّ بْنُ كَعْبِ بْنِ قَيْسٍ. أَنَسُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، هَذَانِ الرَّجُلاَن مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَارِ. حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ بْنِ الحَارِثِ. عَمْرو بْنُ ثَعْلَبَة بْنِ وَهْبِ بْنِ عَدِيّ. أَبُو سُلَيْط بْنُ قَيْسِ بْنِ عَمْرو ابْنِ عَتِيكٍ. أَبُو سُلَيْط أَسِيرَةُ بْنُ عَمْرو. ثَابِتُ بْنُ خَنْسَاءَ بْنِ عَمْرِو. عَامِرُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، مُحْرِزُ بْنُ عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ.

سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةَ بْنِ أُهَيبٍ البَلَوِي حَلِيفُهُمْ، هَؤُلاءِ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ النَّجَّارِ. أَبُو زَيْدٍ قَيْسُ بْنُ سَكَنِ ابْنِ قَيْسِ بْنِ حَرَامٍ. أَبُو الأَعْوَرِ الحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ بْنِ حَرَامٍ. سَلِيمُ بْنُ مَلْحَانَ بْنِ حَرَامُ بْنُ مَلْحَانْ بْنِ حَرَامٍ. هَؤلاَءِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي حَرَامِ بْنِ النَّجَّارِ. قَيْسُ بْنُ أبي صَعْصَعَةَ. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو. عُصَيْمَةُ الأَسَدِي، حَلِيفُهُمْ هَؤلاَءِ نَفَرٌ مِنْ بَنِي مَازِن بْنِ النَّجَّارِ. أَبُو دَاودَ عُمَيْرُ بْنُ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَنْسَاءَ. سُرَاقَةُ بْنُ عَمْرو بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ خَنْسَاءَ. قَيْسُ بْنُ مُخَلَّدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِ. النُّعْمَانُ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ. الضَّحَاكُ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ. سَلِيمُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. جَابِرُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ. سَعْدُ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ، هَؤلاَءِ خَمْسَةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي دِينَار بْنِ النَّجَّارِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ. كَعْبُ بْنُ زَيْدِ بْنِ قَيْسٍ. بُجَيْرُ بْنُ أَبِي بُجَيْرٍ مِنْ غَطَفَان. بُجَيْرُ بْنُ عَنَسِ بْنِ بَغِيضٍ. عِتْبَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ العَجْلانِ. مَلِيلُ بْنُ وَبَرَةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ العَجْلانِ. عِصْمَةُ بْنُ الحُصَيْنِ بْنِ العَجْلانِ. هِلا بْنُ المُعَلّى بْنِ لَوْذَانَ.

هَؤُلاءِ مائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ ذَكَرَهُمْ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ. وَأَمَّا البَاقُونَ فَهُمْ مَنْ سَنُحَرِّرُ أَسْمَاءَهُمْ بَعْدَ هَذَا.

ثَابِتُ بْنُ ثَعْلَبَةَ. مَعْقِلُ بْنُ المُنْذِرِ. غَنَّامُ بْنُ أوْسٍ. قَيْسُ بْنُ عَامِرٍ. أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ذُكِرَ فِي الصِّحَاحِ. سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مُخْتَلَفٌ

فِي حُضُورِهِ وَأُسْهِمَ لَهُ. مَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ. هِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ، ذُكِرا فِي الصَّحَاحِ. سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ. ثَابِتُ بْنُ الجِذْعِ. ثَابِتُ بْنُ خَالِدٍ. حَبِيبُ بْنُ عَدِيّ ذُكِرَ فِي الصَّحَاحِ. عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ. عُمَيْرٌ أَوْ عَمْرُو بْنُ حَرَامٍ. أَبُو حَسَنٍ تَمِيمٌ. رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ. سَهْلُ بْنُ رَافِعٍ. رِفَاعَةُ بْنُ الحَارِثِ. جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو. صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ. أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو. هَؤُلاَءِ مَائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَتِسْعُونَ وَهُوَ مُوَافِقٌ لَمَا فِي القَسْطَلاَنِي. وَاحِدٌ مِنْهُمْ مُخْتَلِفٌ فِي حُضُورِهِ. وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَقَد أُسْهِمَ لَهُ فَهُوَ بَدْرِيٌّ. وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ كُسِرَ بِالرَّوْحَاءِ فَرُدَّ وَأُسْهِمَ لَهُ وَهُوَ الحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَتِيكٍ.

هَذِهِ أَسْمَاءُ أَبْطَالِ بَدْرٍ الكِرَامِ الَّذِينَ أَعَزَّ اللَّهُ بِثَبَاتِهِمْ وَقُوَّةِ عَزِيمَتِهِمِ الإِسْلاَمَ. وَقَدْ بَلَغَ مَجْمُوعُهَا أَكْثَرُ مَا قِيلَ فِي عَدَدِهِمْ ثَلاثُمَائَةٍ وَثَلاثَةٍ وَسِتُّونَ، بَذَلْتُ الجُهْدَ فِي البَحْثِ عَنْهُمْ لأَنَّنِي رَأَيْتُ الكَثِيرِينَ يَتَخَبَّطُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ فَرُبَّمَا جَعَلُوا الأَوْسِيَّ خَزْرَجِياً بَلْ رُبَّمَا أَدْخَلُوا المُهَاجِرِينَ فِي الأَنْصَارِ وَبَالعَكْسِ، وَلَعَلِّي لَمْ أَقَعْ فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ وَإِنْ كَانَ الخَطْبُ سَهْلاً فِي ذَلِكَ وَإِثْبَاتِي لِلْمُتَخَلِّفِ فِيهِمْ أَوْلَى مِنْ حَذْفِهِمْ جَرْياً عَلَى القَاعِدَةِ المَشْهُورَةِ المُثْبَتُ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّافِي، وَهُنَا يَحْسُنُ أَنْ نُكْمِلَ التَّكْمِلَةَ بِأَسْمَاءِ شُهَدَاءِ البَدْرِيِّينَ وَهُمْ أَرْبَعَةُ عَشَرَ:

سِتَّةٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ: عُبَيْدَةُ بْنُ الحَارِثِ الهَاشِمِي. عُمَيْر بْنُ أَبِي وَقّاصٍ الزُّهْرِي. ذُو الشِمَالَيْنِ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَضْلَةَ. عَاقِلُ بْنُ البَكِير. صَفْوَانُ بْنُ بَيْضَاءَ. مُهْجَع مَوْلَى عُمَرُ بْنِ الخَطَّابِ.

وَسِتَّةٌ مِنَ الخَزْرَجِ: عَوْفِ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَفْرَاءَ. مِعْوَذُ أَخُو عَوْفِ. حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ. رَافِعُ بْنُ المُعَلَّى، عُمَيْرُ بْنُ الحَمَامْ. يَزِيدُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ فَسْحَمِ.

وَإِثْنَانِ مِنَ الأَوْسِ: سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ. مُبَشِرِ بْنُ عَبْدِ المُنْذِرِ.

بَاقِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الثَّانِيَةَ

الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ

غَزْوَةُ بَنِي سُلَيمٍ أو الكَدْرِ بِنَاحِيَةِ الفُرْعِ

بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ بَنِي سُلَيمٍ يَتَجَمَّعُونَ لِحَرْبِ المُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَسَمِعُوا بِخُرُوجِهِ فَتَفَرَّقُوا، وَأَغَارَ المُسْلِمُونَ عَلَى إِبِلِهِمْ فِي مَحَلٍّ يُسَمَّى الكَدْرَ[1] فَغَنِمُوا خُمْسِمَائَةِ بَعِيرٍ وَعَادُوا إِلَى المَدِينَةِ.

غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ بِالمَدِينَةِ

تَظَاهَرَتْ بَنُوا قَيْنُقَاعٍ طَائِفَةٌ مِنَ اليَهُودِ بِعَدَاءِ المُسْلِمِينَ وَآذَوْا بَعْضَ النِّسَاءِ المُسْلِمَاتِ، فَثَارَ عَلَيْهِمْ المُسْلِمُونَ. وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ اليَهُودَ وَنَصَحَهُمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ أَقْبَحَ رَدٍّ عِنْدَ ذَلِكَ نَبَذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَكَانُوا سَبْعَمَائَةِ مُحَارِبٍ. فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نِصْفَ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَحَاصَرَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى سَلَّمُوا وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخَلِّي سَبِيلَهُمْ فَيَجْلُوا عَنِ المَدِينَةِ بِالنِّسَاءِ وَالذُّرِّيَةِ فَأَبَى ﷺ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَلَكِنْ شَفَعَ فِيهِمْ رأسُ النِّفَاقِ ابْنُ أُبَيٍّ فَشَفَّعَهُ فِيهِمْ فَجَلَوْا عَنِ المَدِينَةِ وَغَنِمَ المُسْلِمُونَ أَمْوالاً وَأَسْلِحَةً كَثِيرَةً مِنْهُمْ.

---

(١) **الكدر**: ماء لبني سُليم بناحية المعدن، بينها وبين المدينة ثمانية برد. (معجم البلدان لياقوت: ٤/ ٤٤١).

غَزْوَةُ السُّوِيقِ

لَمَّا رَجَعَ مُنْهَزِمُو بَدْرٍ إِلَى مَكَّةَ نَذَرَ أَبُو سُفْيَانَ أَنْ لاَ يَقْرَبَ النِّسَاءَ وَلاَ يَمَسَّ الطِّيبَ حَتَّى يَغْزُو المَدِينَةَ، وَخَرَجَ فِي مَائَتَيْ رَاكِبٍ أَغَارَ بِهِمْ عَلَى أَطْرَافِهَا فَحَرَّقَ بَعْضَ النَّخْلِ وَقَتَلَ أَنْصَارِيّاً وَحَلِيفاً لَهُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَلَبِهِ بِمَائَتَيْ مُحَارِبٍ وَذَلِكَ فِي خَمْسٍ مِنْ ذِي الحِجَّةِ فَهَرَبَ جَيْشُ أَبِي سُفْيَانَ مَرْعُوباً حَتَّى أَلْقَوا أَجْرِبَةَ السَّوِيقِ الَّذِي يَقْتَاتُونَهُ فَغَنِمَهَا المُسْلِمُونَ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ غَزْوَةَ السَّوِيقِ.

حَوَادِثُ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ

الفَصْلُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ

زَوَاجُهُ ﷺ بِزَيْنَبَ
وَإِبْطَالُ بِدْعَةِ التَّبَنِّي وَالتَّبَرُّجِ الجَاهِلِي

فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الهِجْرَةِ كَانَ زَوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ الأَسَدِيّ مِنْ عَمَّتِهِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وذَلِكَ بَعْدَ فِرَاقِ زَوْجِهَا لَهَا وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُتَبَنَّاهُ. وَكَانَ فِي زَوَاجِهِ بِهَا مِنَ الحِكَمِ وَالإِحْكَامِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي زَوَاجِهِ ﷺ بِغَيْرِهَا، وَكَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَى جَمِيعِهِنَّ بِأَنَّ المُزَوِّجَ لَهُنَّ الآبَاء، والمُزَوِّجَ لَهَا خَالِقُ الأَرْضِ وَالسَّمَاء، وَقَدْ بَسَطَ قِصَّةَ هَذَا الزَّوَاجِ وَمُقَدِّمَاتِهِ فُحُولُ أَهْلِ السِّيَرْ، فَتَقْصِرُ مِنْهَا عَلَى مَا يُنَاسِبُ هَذَا المُخْتَصَرْ.

بِدْعَةُ التَّبَنِّي مِنْ عَادَاتِ العَرَبِ وَيَعُدُّونَهَا مِنَ الشَّرَفِ وَالحَسَبِ، فَيُسَاوُونَ الابْنَ الدَّعِيَّ بِابْنِ النَّسَبِ، وَيُعْطُونَهُ مِثْلَ حُقُوقِهِ حَتَّى فِي المِيرَاثِ وَتَحْرِيمِ مَنْكُوحَتِهِ عَلَى مَنْ يَتَبَنَّاهُ. وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِبْطَالَ تِلْكَ البِدْعَةَ وَمَحْوَ أَحْكَامِهَا، وَكَانَتْ مِمَّا عَلِقَ بِنُفُوسِهِمْ وَرَسَخَ فِي قُلُوبِهِم بِحَيْثُ صَارَ مِنَ الصَّعْبِ تَركهُم لَهَا، وَامْتِثَالُ الأَمْرِ بِإِبْطَالِهَا جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ المُنَفِّذَ لِذَلِكَ هُوَ رَسُولَهُ

مُحَمَّداً ﷺ لِيَسْهُلَ الاقْتِدَاءُ بِهِ عَلَى أُمَّتِهِ وَتَنْفِيذُهُمْ لأَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ.

زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَتَبَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ قَبْلَ البِعْثَةَ

كَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ أَنْ وَقَعَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الكَلْبِي أَسِيراً فِي بَعْضِ الغَزْوِ الجَاهِلِي، ثُمَّ وَصَلَ إِلَى مِلْكِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَوَهَبَتْهُ لِزَوْجِهَا مُحَمَّد ﷺ، ثُمَّ جَاءَ وَالِدُهُ حَارِثَةُ يَفْتَدِيهِ بِالمَالِ، فَقَالَ ﷺ لَهُ: «**نُخَيِّرُ الغُلاَمَ، فَإِن اخْتَارَكَ فَهُوَ لَكَ بِلاَ مُقَابِلٍ**»، وَدَعَا ﷺ زَيْداً وَكَانَ غُلاماً ذَكِيّاً، فَسَأَلَهُ: «**هَلْ تَعْرِف هَذَا الرَّجُلَ**»؟ قَالَ: نَعَمْ: هُوَ أَبِي حَارِثَةُ بْنُ شُرَحْبِيلَ الكَلْبِي، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ قَالَ: جَاءَ يَفْتَدِيكَ، وَقَدْ جَعَلْنَا الخِيرَةَ إِلَيْكَ**»[1]، فَقَالَ زَيْدٌ: مَا كُنْتُ لأَخْتَارَ أَحَداً عَلَيْكَ، قَالَ أَبُوهُ. وَيْحَكَ يَا زَيْدُ أَتَخْتَارُهُ عَلَيَّ، وَتَرْضَى بِالرِّقِّ وَالعُبُودِيَّة، قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا لَمْ أَرَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَمَا أَنَا بِالَّذِي يَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَداً، فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ وَتَبَنَّاهُ مَعَ أَنَّ نَفْسَهُ الطَّاهِرَةُ كَانَتْ تَكْرَهُ ذَلِكَ الأَمْرَ وَتَأْبَاهُ مُكَافَأَةً لِزَيْدٍ وَتَطْيِيباً لِنَفْسِ وَالِدِهِ، وَقَعَ مِنْهُ قَبْلَ البِعْثَةِ، لِيَقْضِي الله أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً.

زَوَاجُ زَيْدٍ بِزَيْنَبَ وَطَلاَقُهُ لَهَا

لَمَّا كَبِرَ زَيْدٌ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولُهُ مُحَمَّداً ﷺ بِأَنْ يُزَوِّجَهُ عَلَى ابْنَةَ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٣/٢٨).

عَمَّتِهِ أُمَيْمَةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَخَطَبَهَا لَهُ فَأَبَتْ وَأَبَى وَلِيُّهَا لِمَا عَلِقَ بِزَيْدٍ مِنَ الرِّقِّ وَالعُبُودِيَّةَ (وَالكَفَاءَةُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فِي نَفْسِ كُلِّ عَرَبِيٍّ صَمِيمٍ) فَأَنْزَلَ اللَّه فِي زَيْنَبَ وَوَلِيِّهَا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

عِنْدَ ذَلِكَ فَوَّضَتْ زَيْنَبُ الأَمْرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَزَوَّجَهَا مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مُتَبَنَّاهُ، غَيْرَ أَنَّ نَفْسَ زَيْنَبَ لَمْ تُطَاوِعْهَا عَلَى الانْقِيَادِ لَهُ وَمُعَاشَرَتِهِ مُعَاشَرَةَ الأَزْوَاجِ، بَلْ كَانَتْ تَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ وَتُغْلِظُ القَوْلَ لَهُ، فَلَمْ يَتَحَمَّلْ زَيْدٌ ذَلِكَ مِنْهَا وَشَكَاهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَأْذَنَهُ فِي طَلاَقِهَا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُهُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا وَإِمْسَاكِهَا، وَلَكِن عِزَّةَ نَفْسِ زَيْدٍ أَبَتِ البَقَاءَ مَعَهَا فَطَلَّقَهَا، وَلَمَّا تَمَّت عِدَّتُهَا زَوَّجَهَا اللَّهُ مِنْ رَسُولِهِ وَأَنْزَلَ فِي ذَلِكَ آيَات تُتْلَى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[2] أي اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ قَوْلَكَ لِمَنْ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ بِالإِسْلاَمِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بِالعِتْقِ وَالتَّبَنِّي وَالتَّزْوِيجِ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ لا تُفَارِقْهَا

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٣٦).
(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٣٧).

مَعَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَخْبَرَكَ بِأَنَّ فِرَاقَ زَيْدٍ لَهَا لا بُدَّ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وَهُوَ الأَمْرُ الإِلٰهِي الصَّادِرُ إِلَيْكَ بِأَنْ تَتَزَوَّجَ زَيْنَبَ بَعْدَ زَيْدٍ مُتَبَنَّاكَ لِتَهْدِمَ بِنَفْسِكَ تِلْكَ العَادَةَ وَأَحْكَامَهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ أي تَخْشَى أَنْ يُعَيِّرَكَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ: نَكَحَ مُحَمَّدٌ مُطَلَّقَةَ مُتَبَنَّاهُ، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ، فَتُنْفِذ أَمْرَهُ بِغَيْرِ تَمَهُّلٍ وَلاَ إِبْطَاءٍ، فَالعِتَابُ فِي الآيَةِ عَلَى إِخْفَاءِ الأَمْرِ الإِلٰهِي وَالخَشْيَةِ مِنَ التَّعْيير وَعَدَمِ الإِسْرَاعِ بِالتَّنْفِيذِ وَذَلِكَ قَدْ وَقَعَ مِنْهُ ﷺ وَهُوَ مِنْ بَابِ حَيَاءِ الكَرِيمِ، وَتُؤْدَةِ الحَكِيمِ، غَيْرَ أَنَّ حَسَنَاتِ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ، فَيُعَاتَبُونَ عَلَى مَا يُخَالِفُ الأَوْلَى بِهِمْ، وَلَيْسَ فِي الآيَةِ مَا يُشَمُّ مِنْهُ رَائِحَةٌ أَنَّ الَّذِي كَانَ يُخْفِيهِ وَيَخْشَى النَّاسَ فِيهِ هُوَ عِشْقُ زَيْنَبَ وَلَكِنَّ المُولَعُونَ بِنَقْلِ الرِّوَايَاتِ الغَرِيبَةِ لَطَّخُوا صَفَحَاتِ تَفَاسِيرِهِمْ بِذَلِكَ، فَلَمْ يُقَدِّرُوا مَقَامَ النُّبُوَّةِ قَدْرَهَا، وَلَمْ تُصِبْ عُقُولُهُمْ مِنْ مَعَانِي العِصْمَةِ كُنْهَهَا، وَقَدْ تَوَلَّى الرَّدَّ عَلَيْهِمْ وَإِبْطَالَ مَزَاعِمِهِمْ فُحُولُ العُلَمَاءِ فَجَزَاهُمُ اللهُ عَنِ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ خَيْرَ الجَزَاءِ. ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى الحِكْمَةَ المُتَعَلِّقَةَ بِهَذَا الزَّوَاجِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾[1].

إِبْطَالُ بِدْعَةِ التَّبَرُّجِ الجَاهِلِي

كَانَ تَبَرُّجُ النِّسَاءِ وَاخْتِلاَطِهِنَّ بِالرِّجَالِ مِنْ عَادَاتِ العَرَبِ في الجَاهِلِيَّةِ الَّتِي تَأْبَاهَا مَحَاسِنُ الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَّةِ، وَكَان هَذَا الأَمْرُ يَثْقُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكِبَارِ أَصْحَابِهِ.

وَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ بِنَائِهِ ﷺ بِزَيْنَبَ دَعَا بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَى وَلِيمَةِ العُرْسِ فَتَنَاوَلُوا الطَّعَامَ وَأَطَالُوا الجُلُوسَ وَالكَلامَ حَتَّى اضْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الخُرُوجِ مِنَ الدَّارِ لِيَتَّبِعُوهُ فَتَبِعَهُ بَعْضُهُمْ وَتَخَلَّفَ بَعْضُهُم وَلَكِن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَعُدْ حَتَّى خَرَجُوا، وَقَدْ تَأَذَّى مِنْ ذَلِكَ كَثِيراً فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الحِجَابِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾[2] عِنْدَ

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٣٧).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٥٣).

ذَلِكَ أَمَرَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالسَّتْرِ وَالحِجَابِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ يَفْهَمُهَا أُولُوا الأَلْبَابِ.

ثمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَكَّدَ هَذَا الأَمْرَ بِالمُبَالَغَةِ بِالسَّتْرِ لِيَكُونَ أَبْعَدَ عَنِ التَّعَرضِ لإِيذَائِهِنَّ فَقَالَ سُبْحَانِهِ وَتَعَالَى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾[1].

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٥٩).

بَاقِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ

الفَصْلُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ

غَزْوَةُ أَنْمَار أَو ذِي أَمرٍ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ

بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ قَبِيلَتَيْنِ مِنْ غَطَفَانَ تَجَمَّعَتا تَحْتَ رِئَاسَةِ دُعْثُورٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِم وَجَمَعَ أَرْبَعْمَائَةٍ وَخُمْسِينَ مُقَاتِلاً فَهَرَبُوا إِلَى رُؤوسِ الجِبَالِ، فَتَبِعَهُمْ الجَيْشُ إِلَى مَحِلٍّ يُسَمَّى أَنْمَارَاً أَوْ ذِي أَمْرٍ فَنَزَلَ المُسْلِمُونَ هُنَاكَ وَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَدْرَكَ دُعْثُورٌ غِرَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ وَقَرُبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُصْلِتاً سَيْفَهُ، وَقَالَ لَهُ: مِنْ يَمْنَعُكَ مُنِّي. فَقَالَ ﷺ: «**اللَّه**» فَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ وَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَهُ المُصْطَفَى. وَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي**»[1]. قَالَ: لاَ أَحَدَ، فَعَفَا عَنْهُ وَأَسْلَمَ دُعْثُورٌ وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ دَاعِياً إِلَى الإِسْلاَمِ وَهَكَذَا تَكُونُ نَتَائِجُ حُسْنِ المُعَامَلَةِ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣/ ٣٦٥ و٣٩٠)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٣٩)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٣/ ١٦٨ و١٦٩ و٣٧٦)، وابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٤٢٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٥٣٠٥) وابن حجر في تغليق التعليق: (١١٥٠).

غَزْوَةُ بُحْرَانَ

بِنَاحِيَةِ الفُرْعِ فِي جُمَادَى الأُولَى مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ.

عَلِمَ الرَّسُولُ أَنَّ بَنِي سُلَيمٍ يَتَجَمَّعُونَ لِقِتَالِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِثَلاَثِمَائَةِ مُحَارِبٍ فَتَفَرَّقُوا فِي الجِبَالِ، وَوَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بُحْرَانَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى المَدِينَةِ بِالجَيْشِ سَالِماً، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى القَرَدَةِ فِي جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ

عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عِيراً لُقرَيْشٍ، فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عُظَمَائِهِمْ تَحْتَ رِئَاسَةِ أَبِي سُفْيَانَ تَسْلُكُ إِلَى الشَّامِ طَرِيقَ العِرَاقِ. فَأَرْسَلَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي أَثَرِهَا بِمَائَةٍ وَخَمْسِينَ مُحَارِباً. فَالتَقَى الفَرِيقَانِ فِي مَحَلٍّ يُسَمَّى القَرَدَةَ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ. فَفَرَّ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ وَغَنِمَ المُسْلِمُونَ أَمْوَالاً كَثِيرَةً وَعَادُوا إِلَى المَدِينَةِ. فَسُرَّ بِنَجَاحِهِمْ الرَّسُولُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ السَّابِعُ وَالخَمسُونَ

غَزوَةُ أُحدٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ

غَزْوَةُ أُحُدٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ

أَيْقَنَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَ اسْتِيلاَءِ سَرِيَّةِ زَيْدٍ عَلَى عِيرِهِمْ أَنَّ طُرُقَ التِّجَارَةِ قَدْ سُدَّتْ فِي وُجُوهِهِمْ فَاجْتَمَعُوا وَذَكَرُوا قَتْلاَهُمْ بِبَدْرٍ وَأَجْمَعُوا عَلَى جَمْعِ الأَمْوَالِ وَإِثَارَةِ القَبَائِلِ لِقِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ وَمِنَ القَبَائِلِ ثَلاثَةُ آلاف مُقَاتِلٍ، وَدَفَعَ لَهُمْ أَصْحَابُ الأَمْوَالِ الَّتِي سَلِمَتْ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ تَحَالَفُوا عَلَى الثَّبَاتِ، وَرَأَّسُوا أَبَا سُفْيَانَ. فَخَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُمْ بَعْضُ نِسَاءِ الرُّؤَسَاءِ، وَكَثِيرٌ مِنَ البَغَايَا، فَكَتَبَ العَبَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَاسْتَكْتَمَهُمُ الأَمْرَ، وَحِينَ وَصَلَ المُشْرِكُونَ قُرْبَ المَدِينَةِ نَزَلُوا بِمَحَلٍّ يُقَالُ لَهُ عَيْنَيْنِ مُقَابِلَ أُحُدٍ، فَجَمَعَ المُصْطَفَى ﷺ أَصْحَابَهُ وَاسْتَشَارَهُمْ فِي الخُرُوجِ إِلَى حَرْبِهِمْ أَوِ البَقَاءِ بِالمَدِينَةِ حَتَّى يُهَاجِمَهَا المُشْرِكُونَ، فَيُقَاتِلُهُم الرِّجَالُ فِي الطُّرُقِ وَالنِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ مِنْ أَعَالِي الدُّورِ، فَكَانَ رَأْيُ بَعْضِهِمُ البَقَاءَ. وَرَأْيُ بَعْضِهِمُ الخُرُوجَ وَفِي مُقَدِّمَةِ هَؤُلاَءِ عَمُّهُ حَمْزَةَ، وَالنُّعْمَانَ بْنُ مَالِكٍ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ الأَنْصَارِي. فَتَقَرَّرَ الخُرُوجُ تِبْعاً للأَكْثَرِيَّةِ. وَبَعْدَ صَلاَةِ الجُمُعَةِ

أَحَدَ عَشَرَ أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لابِساً لأَمَةَ الحَرْبِ مُتَقَلِّداً السَّيْفَ جَاعِلاً التُّرْسَ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ وَقَدِ اصْطَفُّوا لَهُ: نَرْجِعُ إِلَى رَأْيِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَبْقَى فِي المَدِينَةِ.

فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: «**مَا كَانَ لِرَسُولٍ إِذَا لَبِسَ لأَمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّه بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ**»(١). ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ اسْتَعْرَضَ الجَيْشَ وَرَدَّ مَنْ يَرَاهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى القِتَالِ، وَكَانَ مِنْهُمْ صَبِيٌّ يُسَمَّى سَمُرَةَ بْنُ جُنْدُبٍ فَقَالَ: إِنَّ الرَّسُولَ قَدْ أَجَازَ لِرَافِعِ بْنِ خُدَيْجٍ أَنْ يُحَارِبَ مَعَهُ وَرَدَّنِي وَأَنَا أَصْرَعُ رَافِعاً. فَأَمَرَهُمَا ﷺ بِالْمُصَارَعَةِ، وَلَمَّا صَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعاً أَجَازَهُمَا، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ، وَتَقَدَّمَهُ السَّعْدَانِ ابْنُ مُعَاذ وَابْنُ عُبَادَةَ يَعْدُوَانِ أَمَامَهُ فِي دِرْعَيْهِمَا حَتَّى وَصَلَ أُحُداً فَنَزَلَ بِجَانِبِهِ، وَكَانَ الجَيْشُ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ أُبَيٍّ رَئِيسَ المُنَافِقِينَ أَرَادَ تَخْذِيلَ المُسْلِمِينَ، فَرَجَعَ مَعَ ثَلاثِمِائَةٍ مِنَ المُنَافِقِينَ، وَهَمَّتْ طَائِفَتَانِ غَيْرُهُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَلَكِنَّ اللَّهَ ثَبَّتَهُمَا، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ آيَاتُ القُرْآنِ العَظِيمِ.

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك: (٢/ ١٢٩)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ٤١)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٣/ ٢٠٥)، وابن حجر في فتح الباري: (١٣/ ٣٤١)، والهندي في كنز العمال: (٣٢٢٥٠): قال رسول الله ﷺ: «**ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد لبسها حتى يقاتل**».

الفصل الثامن والخمسون

الْتِقَاءُ الجَيشَينِ وَالتِحَامُ القِتَالِ

الْتِقَاءُ الجَيْشَيْنِ وَالتِحَامُ القِتَالِ

اصْطَفَّ المُشْرِكُونَ لِلْقِتَالِ وَكَانُوا ثَلاثَةَ آلافٍ فِيهِمْ سَبْعُمَائَةِ دَارِعٍ وَمَائَتَا فَارِسٍ، وَقَابَلَهُمْ المُسْلِمُونَ بِسَبْعِمَائَةٍ فَقَطْ مَعَهُمْ فَرَسٌ فُرْسَانِ، فَرَتَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الجُنْدَ وَجَعَلَ الرُّمَاةَ وَهُمْ خَمْسُونَ عَلَى تِلٍّ فِي مَيدَانِ القِتَالِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ الأَنْصَارِيَّ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يُفَارِقُوا أَمَاكِنَهُمْ، انْتَصَرَ الجَيْشُ أَم انهَزَمَ، وَأَنْ يَرْشُقُوا الخَيْلَ بِالنِّبَالِ حَتَّى لاَ تَقْوَى عَلَى الإِقْدَامِ[1]، فَتَقَدَّمَ أَصْحَابُ الأَلْوِيَةِ لِلْمَيْدَانِ مُصْعبُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ يَحْمِلُ لِوَاءَ المُهَاجِرِينَ، وَالحُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ لِوَاءَ الخَزْرَجِ، وَأُسِيدُ بْنُ الحُضَيْرِ لِوَاءَ الأَوْسِ، فَتَبَارَزَ الفَرِيقَانِ، وَظَهَرَتْ شَجَاعَةُ الشُّجْعَانِ، وَاسْتَحَرَّ القِتَالُ فِي حَمَلَةِ لِوَاءِ الشِّرْكِ، حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ، فَبَقِيَ اللِّوَاءُ مَطْرُوحاً إِلَى أَنْ حَمَلَتْهُ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الحَارِثِيَّةُ مِنْ نِسَائِهِمْ.

عِنْدَ ذَلِكَ احْتَدَمَ القِتَالُ وَالْتَحَمَ الجَيْشَانِ، وَأَخَذَتْ نِسَاءُ

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية: (٣/ ١٤١): «انفح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فاثبت في مكانك لا نؤتين من قبلك».

المُشْرِكِينَ يَضْرِبْنَ الدُّفُوفَ، وَيَنْشُدْنَ الأَشْعَارَ يُحَرِّضْنَ عَلَى أَخْذِ الثَّأْرِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِنَّ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ، عِنْدَ ذَلِكَ هَجَمَ المُشْرِكُونَ هَجَمَاتٍ عَنِيفَة فَرَدَّهُمْ المُسْلِمُونَ وَقَاتَلُوا قِتَالَ المُسْتَمِيتِ حَتَّى انْهَزَمَ المُشْرِكُونَ، وَكَانَ الفَضْلُ فِي ذَلِكَ لِحَمْزَةَ وَحَمَلَةِ الأَلْوِيَةِ وَلِلرُّمَاةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

الفَصلُ التَّاسِعُ وَالخَمسُونَ

الفَشَلُ نَتِيجَةُ مُخَالَفَةِ الأَمرِ

الفَشَلُ نَتِيجَةُ مُخَالَفَةِ الأَمْرِ

لَمَّا انْهَزَمَ المُشْرِكُونَ وَاشْتَغَلَّ المُسْلِمُونَ بِأَخْذِ الغَنَائِمِ. نَزَلَ أَكْثَرُ الرُّمَاةِ مِنْ مَرْكَزِهِمْ يُشَارِكُونَ إِخْوَانَهُمْ، وَنَسُوا أَوْ تَنَاسُوا أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ وَعَلِمَت فُرْسَانُ قُرَيْشٍ بِذَلِكَ فَأَعَادُوا الكَرَّةَ عَلَى المُسْلِمِينَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَقَتَلُوا مَنْ بَقِيَ مِنَ الرُّمَاةِ عَلَى التَّلِّ، عِنْدَ ذَلِكَ حَمِيَ وَطِيسُ الحَرْبِ وَقُتِلَ حَامِلُ لِوَاءِ المُسْلِمِينَ مُصْعَبٌ، فَنَادَى مُنَادِي المُشْرِكِينَ: إِنَّا قَتَلْنا مُحَمَّداً، فَدُهِشَ المُسْلِمُونَ وَكَانَ هَمُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الذَّوْدَ عَنْ نَفْسِهِ فَقُتِلَ حَمْزَةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَتَقَدَّمَ المُصْطَفَى ﷺ وَحَمَلَ اللِّوَاءَ المُرْتَضَى فَقَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً، حَتَّى شُجَّ رَأْسُهُ ﷺ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ السُّفْلَى وَهُشِّمَتِ البَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ دِرْعِهِ فِي خَدِّهِ وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ أَعَانَهُ عَلَى الخُرُوجِ مِنْهَا طَلْحَةُ وَعَلِيٌّ، ثُمَّ انْحَازَ إِلَى سَفْحِ أُحُدٍ، وَجَاءَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَدَافَعَ عَنْهُ بِالنَّبْلِ، حَتَّى كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لَهُ وَيَقُولُ:

«**إِرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»(١)، وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ سَبْعَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ دَافَعُوا عَنْهُ دِفَاعَ الأَبْطَالِ. فَقَالَ ﷺ: «**مَا أَنْصَفَنَا قَوْمُنَا**»(٢).

وَلَمَّا وَصَلَ بَعْضُ الفَارِّينَ إِلَى المَدِينَةِ قَابَلَهُمْ النِّسَاءُ وَبِأَيْدِيهِنَّ المَغَازِلُ، يُطَالِبْنَهُمْ بِاسْتِبْدَالِهَا بِالسُّيُوفِ، فَخَجِلُوا وَعَادُوا إِلَى المَعْرَكَةِ، وَمَعَهُمْ بَعْضُ النِّسَاءِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِم حَاضِنَتُهُ أُمُّ أَيْمَنَ وَابْنَتَهُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءُ، ثُمَّ تَرَاجَعَ المُسْلِمُونَ وَاجْتَمَعُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعُوا صَوْتَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِي، فَإِنَّهُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَجَاءَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَالزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ. وَجَمْعٌ مِنْ سُرَاةِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، عِنْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَتْ فَاطِمَةُ فَاعْتَنَقَتْهُ ﷺ وَأَخَذَتْ تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْهُ، وَعَلِيٌّ يَصُبُّ عَلَيْهَا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤/ ٤٧) و(٥/ ١٢٤) و(٨/ ٥٢)، والترمذي في سننه: (٢٨٢٩)، (٣٧٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ١٦٢)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٣/ ٢٣٩)، وابن كثير في البداية والنهاية: (٤/ ٢٧) و(٨/ ٧٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (١/ ٤٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ٤٤)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٤/ ٣٩٩ و٤٠٢)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٣/ ٢٣٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ١١٠)، والسيوطي في الدر المنثور: (٢/ ٨٤)، والهندي في كنز العمال: (٣٠٠٤٠).

المَاءَ، ثُمَّ أَحْرَقَتْ حَصِيراً وَجَعَلَتْ رُمادَهُ فِي الجُرحِ فَأَمْسَكَ الدَّمَ وَقَدْ هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى المُشْرِكِينَ فِي ذَلِكَ اليَوم فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَة: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[2].

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٢٨).

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٨/٢٥٨)، والسيوطي في الدر المنثور: (٢/٢٩٨) و(٣/ ٩٤).

الفَصْلُ السِّتُّونَ

دَفْنُ القَتْلَى وَمُطَارَدَةُ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ

دَفْنُ القَتْلَى وَمُطَارَدَةُ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ

ثُمَّ إِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَرَفَ قُلُوبَ قُرَيْشٍ فَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا الثَّأْرَ، فَبَادَرُوا بِالارْتِحَالِ وَنَزَلَ الرَّسُولُ إِلَى المَيْدَانِ يَتَفَقَّدُ القَتْلَى وَقَدْ مَثَّلَ بِهِمْ المُشْرِكُونَ، وَبِالأَخَصِّ عَمُّهُ حَمْزَةُ قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ غَدْراً، ثُمَّ قَطَعُوا أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ وَمَذَاكِيرَهُ وَشَقُّوا صَدْرَهُ وَأَخْرَجُوا كَبِدَهُ. وَوَرَدَ أَنَّ هِنْداً بِنْتَ عُتْبَةَ زَوْجَ أَبِي سُفْيَانَ لاكَتْهُ لِتَبْتَلِعَهُ فَلَمْ تَسْتَطِعْ ذَلِكَ. فَحَزِنَ ﷺ حُزْناً عَظِيماً وَقَالَ: «**لَئِنْ أَمْكَنَنِي الله لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ**»، فَنَزَلَتْ آيَةُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[1] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ نَصْبِرُ وَنَحْتَسِبُ، ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْنِ القَتْلَى بِثِيَابِهِمْ فِي مَصَارِعِهِمْ، فَأَعَادُوا مَنْ كَانُوا أَدْخَلُوهُم المَدِينَةَ وَأُحْصِيَ عَدَدُ الجَمِيعِ فَكَانُوا سَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ وَسِتَّةً مِنَ المُهَاجِرِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ

عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ. وَقَدْ أَنْهَكَ القِتَالُ

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٦).

قُوَاهُ، حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ النُّزُولَ عَنْ جَوَادِهِ إِلاَّ بِمَسَاعَدَةِ السَّعْدَيْنِ. فَأَرْجَفَ الْمُنَافِقُونَ وَزُلْزِلَ الْمُؤْمِنُونَ. وَظَنَّتْ طَائِفَةٌ بِاللَّهِ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ فِي السِّلاحِ. غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَفَضْلاً، وَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ الصُّبْحَ، عَلِمَ أَنَّ قُرَيْشاً تُرِيدُ الكَرَّةَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَنَادَى مُنَادِيَهُ بِالرَّحِيلِ لِتَعَقُّبِ أَهْلِ الرَّجْسِ. وأَنْ لاَ يَخْرُجَ مَعَهُ إِلاَّ مَنْ حَضَرَ القِتَالَ بِالأَمْسِ، فَخَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ يَحْمِلُ لِوَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَتَبِعَهُ الجَيْشُ فَوَافَاهُ مُسْلِمَاً مَعْبَدُ بْنُ أَبِي مَعْبَدٍ الخُزَاعِي وَأَكَّدَ لَهُ خَبَرَ قُرَيْشٍ وَأَنَّهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فِي العَوْدَةِ إِلَى المَدِينَةِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي تَخْذِيلِهِمْ فَأَذِنَ لَهُ وَلَحِقَ مَعْبَدٌ أَبَا سُفْيَانَ فَسَأَلَهُ مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ قَالَ لَهُ: جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ يَقْدُمُهُمْ مُحَمَّدٌ. فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ: قَالَ: مَا أَرَاكَ تَرْتَحِلُ حَتَّى تَطْلُعَ طَلائِعُهُ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ فَارْتَحَلُوا مُدْبِرِينَ وَكَفَى اللَّهُ شَرَّ عَوْدِهِمْ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَمَّا وَصَلَ الجَيْشُ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِالإِقَامَةِ فِيهَا ثَلاَثَ لَيَالٍ يُوقِدُونَ النَّارَ عَلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ، فَهَابَتْهُم البَوَادِي وَقَدْ ظَفِرَ الْمُسْلِمُونَ بِشَاعِرِ قُرَيْشٍ أَبِي غَزَّةَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الجُمَحِي فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ لأَنَّهُ مَنَّ عَلَيْهِ يَوْمَ بَدْرٍ

وَأَعْطَاهُ عَهْداً عَلَى أَنْ لا يَعُودَ لإِثَارَةِ البَوَادِي عَلَيْهِ ﷺ. فَنَقَضَ العَهْدَ وَأَثَارَهُمْ بِأُحُدٍ.

فَقَالَ الشَّاعِرُ المَذْكُورُ: أَقِلْنِي يَا مُحَمَّدُ وَدَعْنِي لِبَنَاتِي. فَقَالَ ﷺ: **«لاَ وَاللَّهِ لا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ»**(١).

لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جحرٍ مَرَّتَيْنِ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا زَيْدُ(٢) فَضَرَبَهَا ثُمَّ ارْتَحَلَ ﷺ وَالجَيْشُ إِلَى المَدِينَةِ آمِنِينَ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الوَقْعَةِ سِتِّينَ آيَةً فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، أَوَّلُهَا: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾(٣).

---

(١) أخرجه الزيلعي في نصب الراية: (٣/٤٠٦) وابن كثير في البداية والنهاية: (٤/ ٥١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: (٣٩٨٢) و(٣٩٨٣)، وأبو داود في سننه: (٤٨٦٢)، وأحمد في المسند: (٢/ ١١٥)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٢/ ٢٧٨) و(١٧/ ١٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ٩٠)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٢/ ١٩٧)، والهندي في كنز العمال: (٨٣٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء: (٦/ ١٢٧ و١٦٧)، وابن حجر في فتح الباري: (١٠/ ٥٣٠)، والبخاري في الأدب المفرد: (١٢٧٨)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٥/ ٢١٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٢١).

الفَصلُ الحِادِي والسّتُّونَ

مَا حَوَتْهُ غَزْوَةُ أُحُدٍ مِنَ الحِكَمِ وَالأَحْكَام

مَا حَوَتْهُ غَزْوَةُ أُحُدٍ مِنَ الحِكَمِ وَالأَحْكَام

إِنَّ الحِكَمَ وَالأَحْكَامَ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا غَزْوَةُ أُحُدٍ كَثِيرَةٌ. نُشِيرُ إِلَى بَعْضِهَا لِيَتَبَيَّنَ لِلْفَطِنِ بَاقِيهَا.

الأَوَّلُ: أَنَّ الشُّورَى مَطْلُوبَةٌ، وَأَنَّ العَمَلَ يَجْرِي بِمَا تَرَاهُ الأَكْثَرِيَّةُ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ لِلأَكْثَرِيَّةِ الرُّجُوعَ عَمَّا رَأَوْهُ أَوَّلاً، وَأَنَّ الرَّسُولَ إِنَّمَا امْتَنَعَ عَنْ قَبُولِ رُجُوعِهِمْ لأَنَّهُ قَدْ لَبِسَ لاَمَتَهُ وَلاَ يَسُوغُ لِرَسُولٍ إِذَا لَبِسَ لاَمَتَهُ أَنْ يَنْزَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّه بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ.

الثَّانِي: أَنَّ القَائِدَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْرِضَ جَيْشَهُ وَيُرْجِعُ مَنْ لاَ قُدْرَةَ لَهُ عَلَى القِتَالِ. وَأَنْ يُجِيبَ مَنْ يَطْلُبُ اخْتِبَارَهُ مِنْ صِغَارِ الجُنْدِ الأَبْطَالِ.

وَأَنَّ المُصَارَعَةَ مِنَ الأَعْمَالِ الدَّالَّةِ عَلَى الرُّجُولِيَّةِ. وَأَنَّ مَشْيَ بَعْضِ الجُنْدِ أَمَامَ القَائِدِ جَائِزٌ كَمَا فَعَلَهُ السَّعْدَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي الدُّعَاءُ عَلَى المُعْتَدِينَ الجَاهِلِينَ. وَلاَ يَجُوزُ العِقَابُ بِأَكْثَرَ مِنَ المُعَاقَبِ عَلَيْهِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ اسْتِخْدَامَ النِّسَاءِ فِي مُدَاوَاةِ الجَرْحَى وَنَحْوِهَا مِنَ

المُعَاوَنَةِ جَائِزٌ وَمَطْلُوبٌ، وَأَنَّ السُّنَّةَ دَفْنُ الشُّهَدَاءِ بِثِيَابِهِمْ فِي مَصَارِعِهِمْ.

الخَامِسُ: أَنَّ تَنْفِيذَ أَوَامِرِ القَائِدِ بِكُلِّ دِقَّةٍ مِنْ أَهَمِّ وَاجِبَاتِ الجُنْدِ، فَإِنَّ الفَشَلَ الَّذِي أَصَابَ المُسْلِمِينَ هُوَ جَزَاءٌ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ فِي ذَلِكَ الوَاجِبِ.

السَّادِسُ: أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَحِكْمَةَ التَّكْلِيفِ تَقْضِي بِأَنْ لاَ يَكُونَ الفَوْزُ دَائِماً مَعَ المُحِقِّينَ.

وَلِهَذِهِ الحِكَمُ أَقُولُ: إِنَّ المُسْلِمِينَ قَدْ تَلَقَّوْا فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ دُرُوساً ثَقِيلَةً، نَعَمْ ثَقِيلَةً، وَلَكِنَّهَا ثَمِينَةٌ وَلَهَا فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ، فَقَدْ تَمَيَّزَ بِهَا الخَبِيثُ عَنِ الطَّيِّبِ، وَوَضَحَ الإِخْلاَصُ وَاتَّضَحَ النِّفَاقُ، وَعَلِمَ المُسْلِمُونَ أَنَّ بَيْنَهُمْ أَعْدَاءَ أَلِدَّاءَ، ضَرَرُهُمْ أَعْظَمُ مِنَ الأَعْدَاءِ الخَارِجِيينَ. وَأَنَّ الجَمِيعَ يَتَرَبَّصُونَ بِهِمُ الدَّوَائِرَ، وَأَنَّ مُقَاوَمَةَ هَؤلاَءِ وَأُولَئِكَ لا تَحْصُلُ إِلاَّ بِإِطَاعَةِ المُرَبِّي الخَبِيرِ إِطَاعَةً تَامَّةً، وَبِالانْقِيَادِ إِلَى أَوَامِرِ القَائِدِ البَصِيرِ انْقِيَاداً كَامِلاً، لِهَذَا كَانَتْ أَعْمَالُ المُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ مُشَوَّبَةً بِالتَّحَرُّسِ الشَّدِيدِ مِنْ مَكْرِ المَاكِرِينَ، وَغَدْرِ الغَادِرِينَ مَعَ الطَّاعَةِ التَّامَّةِ وَالانْقِيَادِ الكَامِلِ، وَالجُرأَةِ المُتَنَاهِيَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

حَوَادِثِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ

الفَصْلُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ

أَجْرَأُ فِدَائِي يَسيرُ وَحْدَهُ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى عَرَفَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَعَرَفَة

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ شَهْرَيْنِ كَي تَبْرأَ جِرَاحَاتُ الجَرْحَى وَيَسْتَرِدُّ، الجُنْدُ القُوَى، فَعَادَتْ إِلَى المُشْرِكِينَ أَطْمَاعُهُمْ، وَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ خَالِدِ الهُذَلِي يَجْمَعُ الجُمُوعِ لِحَرْبِهِ، فَبَعَثَ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنِيسٍ الجُهَنِي وَحْدَهُ، فَخَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ أَوَّلَ مُحَرَّمٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ فَوَصَلَ إِلَى عُرَنَةَ[1] مَحَلِّ إِقَامَةَ سُفْيَانَ وَاحْتَالَ حَتَّى تَوَصَّلَ إِلَى قَتْلِهِ وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى المَدِينَةِ.

سَرِيَّةُ قَطَنٍ شَرْقِي المَدِينَةِ فِي مُحَرَّمٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا سَلَمَةَ المَخْزُومِي لِقِتَالِ بَنِي أسدٍ، فَخَرَجَ فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ أَرْبَعَ وَمَعَهُ مَائَةٌ وَخَمْسُونَ مُقَاتِلاً وَأَغَارَ عَلَيْهِمْ فَهَرَبُوا وَاسْتَاقَ مَوَاشِيَهُمْ.

---

(١) عرنة: وادٍ بحذاء جبل عرفات. قال عمر بن أبي الكنات الحكمي: عَفَتِ الدارُ بالهضابِ اللواتي بين ثوز فملتقى عرفات (معجم البلدان) ٤/ ١١١).

عفت الدار بالهضاب اللواتي بينَ ثورٍ فملتقى عَرَفاتِ

سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ بَيْنَ مَكَّةَ وَعَسْفَانَ فِي صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَفَرَ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِي فِي عَشْرَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ يَتَجَسَّسُونَ الأَخْبَارَ. فَلَمَّا وَصَلُوا الرَّجِيعَ عَلِمَتْ بِهِمْ هُذَيْلٌ قَوْمُ سُفْيَانَ قَتِيلِ الفِدَائِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنِيسٍ فَأَحَاطُوا بِهِمْ فَقَاتَلَهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ اثْنَيْنِ اسْتُؤْسِرَا فَبَاعَتْهُمَا هُذَيْلٌ إِلَى قُرَيْشٍ فَصَلَبُوهُمَا بِمَكَّةَ.

وَحِينَ قَدَّمُوهُمَا لِلْقَتْلِ قَالُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً مَكَانَكَ؟

فَكَانَ جَوَابُهُمَا: وَاللَّهِ العَظِيم لاَ نُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً يُفْدِينَا بِشَوْكَةٍ فِي قَدَمِهِ وَبِهَذَا يَعْلَمْ القَارِىءُ كَيْفَ كَانَ حُبُّ النَّبِيِّ يُخَامِرُ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ فَلاَ يَرْضَى الوَاحِدُ أَنْ يَكُونَ فَدَاءَهُ مِنَ القَتْلِ إِصَابَةُ شَوْكَةٍ لِقَدَمِ النَّبِيِّ ﷺ.

الفَصلُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ

سَرِيَّةُ القُرَّاءِ أَوْ بِئرِ مَعُونَةَ شَرقِي المَدِينَةِ فِي صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ

سَرِيَّةُ القُرَّاءِ أَوْ بِئْرِ مَعُونَةَ شَرْقِي المَدِينَةِ فِي صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ

قَدِمَ أَبُوا البَرَاءِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ النَّجْدِي المُلَقَّبِ بِمُلاَعِبِ الأَسِنَّةِ وَقَدَّمَ لِرَسُولِ اللَّهِ هَدِيَّةً، فَاعْتَذَرَ عَنْ قَبُولِهَا مِنْ مُشْرِكٍ ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلاَمَ فَلَمْ يُسْلِمْ وَلَمْ يَبْعُدْ بَلْ قَالَ لِلنَّبِيِّ: إِنَّ الأَمْرَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ حَسَنٌ فَلَوْ بَعَثْتَ مَعِي بَعْضَ أَصْحَابِكَ لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ رَجَوْتُ إِجَابَتَهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَخْشَى عَلَيْهِمْ غَدْرَ أَهْلِ نَجْد**».

قَالَ أَبُو البَرَاءِ أَنَا جَارٌ لَهُمْ فَأَرْسَلَ مَعَهُ فِي صَفَرَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِهِ سَبْعِينَ رَجُلاً يَرْأَسُهُمُ المُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو الأَنْصَارِي، فَلَمَّا وَصَلُوا بِئْرَ مَعُونَةَ ثَارَ عَلَيْهِمُ ابْنُ أَخِيهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلُ النَّجْدِي وَأَثَارَ مَعَهُ بَعْضَ قَبَائِلِ بَنِي سُلَيم، وَبَنِي كَلْبٍ، مِنْهُمْ عُصَيَّةُ، وَرَعْلٌ، وَذَكْوَانُ، وَأَحَاطُوا بِالمُسْلِمِينَ فَقَاتَلَ السَّبْعُونَ حَتَّى اسْتَشْهَدُوا كُلُّهُمْ غَيْرَ كَعْبِ بْنِ زَيْدٍ فَإِنَّهُ نَجَا جَرِيحاً.

وَجَاءَ خَبَرُ هذِهِ السَّرِيَّةِ وَسَرِيَّةَ الرَّجِيعِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَحَزِنَ ﷺ حُزْناً عَظِيماً حَتَّى صَارَ يَدْعُو عَلَى قَاتِلِيهِمْ فِي

الصَّلاَةِ شَهْراً عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَهُمُ اليَهُودُ المُجَاوِرُونَ لِلمَدِينَةِ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ

فِي أَوَّلِ رَبِيعَ الأَوَّلِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى دِيَارِ بَنِي النَّضِيرِ فِي حَاجَةٍ فَأَجْلَسُوهُمْ فِي ظِلِّ حَائِطٍ وَتَآمَرُوا بِقَتْلِهِ ﷺ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بِمَا عَزَمُوا عَلَيْهِ، فَنَهَضَ مُسْرِعاً وَعَادَ إِلَى المَدِينَةِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّداً بْنُ مُسْلِمَةَ الأَنْصَارِيَّ يُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ رَسُولَهُ عَلَى مَا أَضْمَرُوا وَأَنَّهُ يَأْمُرُهُمْ بِالجَلاَءِ فَأَبَوْا ذَلِكَ، فَنَبَذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَحَاصَرَهُمْ حَتَّى أَذْعَنُوا وَلَهُمْ مَا حَمَلَتِ الجِمَالُ غَيْرَ السِّلاحِ فَأُجْلَوا عَنِ المَدِينَة وَغَنِمَ رَسُولُ اللَّهِ أَمْوَالاً وَسِلاَحاً كَثِيراً.

غَزْوَةُ بَدْرِ المَوْعِدِ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَلْفٍ وَخَمْسُمَائَةِ مُقَاتِلٍ وَعَشَرَةٍ مِنَ الخَيْلِ حَتَّى وَصَلُوا بَدْراً وَفَاءً لِوَعْدِ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنَّ أَبَا سُفْيَانَ تَقَاعَسَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مَعَ جَيْشٍ عَظِيمٍ إِلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنْ مَكَّةَ فَجَلَسُوا أَيَّاماً يَأْكُلُونَ السَّوِيقَ ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

إِنَّ هَذَا عَامُ جَدْبٍ غَيْرُ صَالِحٍ لِلْحَرْبِ، وَعَادَ بِهِمْ إِلَى مَكَّةَ فَسَمَّوْهُمْ جَيْشَ السَّوِيقِ.

حَوَادِثِ السَّنَةِ الخَامِسَةِ

الفَصلُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ

حَوَادِثِ السَّنَةِ الخَامِسَةِ

لَمَّا رَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ بِجَيْشِ السَّويقِ فَتَرَتْ عَزِيمَتُهُ وَسَقَطَتْ فِي أَعْيُنِ القَبَائِلِ قِيمَتُهُ، فَكَانَ بِذَلِكَ شِبْهُ هُدْنَةٍ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ امْتَدَّتْ مِنْ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ إِلَى رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ وَفِيهِ عَادَتْ المُنَاوَشَاتِ وَوَقَعَتْ سَرَايَا وَغَزَوَاتٌ نُلَخِّصُهَا بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

غَزْوَةِ دَوْمَةِ الجَنْدَلِ عَلَى بُعْدِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرْحَلَةً مِنَ المَدِينَةِ فِي جِهَةِ دِمَشْق وَتُسَمَّى الآنَ بِالجَوْفِ

بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَعْرَاباً كَثِيرَةً يَتَجَمَّعُونَ لِحَرْبِهِ حَوْلَ دَوْمَةِ الجَنْدَلِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ مَعَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ فَتَفَرَّقُوا وَهَجَمَ الجَيْشُ عَلَى مَوَاشِيهِمْ وَقَتَلَ المُدَافِعِينَ، فَكَانَتْ غَنِيمَةً لِلمُسْلِمِينَ، وَلَمَّا مَرَّ عَلَى بَنِي فَزَارَةَ دَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَبَوْا وَوَادَعَ ﷺ رَئِيسَهُمْ عيَيْنَة بْنَ حَصْنٍ وَأَقْطَعَهُ ﷺ أَرْضاً تَرْعَى فِيهَا مَاشِيَتُهُ بِقُرْبِ المَدِينَةِ.

غَزْوَةُ المُرَيْسِيع جَنُوبَ المَدِينَةُ مِنْ نَاحِيَةِ الفرع

عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الحَارِثَ بْنَ ضِرَارٍ رَئِيسَ بَنِي

المُصْطَلَق يَجمَعُ لِحَرْبِهِ القَبَائِلَ فَخَرَجَ ﷺ لِحَرْبِهِ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ وَمَعَهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ هَاجَمَهُمْ بِهِ فِي مَحَلّ يُقَالُ لَهُ: المُرَيْسِيعُ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرَةً وَأَسَرَ البَاقِينَ مَعَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَغَنِمَ مِنَ الإِبِلِ أَلْفَيْنِ وَمِنَ الأَغْنَامِ خَمْسَةَ آلاف ثُمَّ أَخَذَتْهُ ﷺ الرَّحْمَةُ وَخَطَرَ بِبَالِهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِابْنَةِ رَئِيسِهِمْ الهُمَام عَلَّ المُسْلِمِينَ أَنْ يَمُنُّوا عَلَيْهِم فَيَعْتَنِقُوا دِينَ الإِسْلاَمِ، وَفِعْلاً تَزَوَّجَهَا ﷺ وَكَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ فَسَمَّاها جُوَيْرِيَّةَ وَكَانَ مَا أَرَادَهُ ﷺ فَإِنَّ المُسْلِمِينَ لَمَّا عَلِمُوا بِزَوَاجِهِ بها قَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لاَ يَلِيقُ اسْتِرْقَاقُهُمْ وَمَنُّوا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً لإِسْلاَمِهِمْ، فَكَانَتْ جُوَيْرِيَّةُ أَبَرَّ وأَيْمَنَ امْرَأَةٍ فِي قَوْمِهَا أُطْلِقَ أَصْحَابُ مَائَتَيْ بَيْتٍ مِنْ قَوْمِهَا لأَجْلِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

وَفِي عَوْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ المُرَيْسِيعِ وَقَعَ حَادِثَانِ عَظِيمَانِ غَرِيبَانِ، لَوْلاَ حِكْمَةُ المُصْطَفَى وَثَبَاتُهُ، لأَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى مَا لا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ.

الأَوَّلُ: أَنَّ أَجِيراً لِسَيِّدِنَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَشَاجَرَ مَعَ حَلِيفٍ لِلْخَزْرَجِ فَضَرَبَ الأَجِيرُ الحَلِيفَ وَصَاحَ الحَلِيفُ بِالخَزْرَجِ، وَصَاحَ الأَجِيرُ بِالْمُهَاجِرِينَ، فَأَقْبَلَ مِنَ الفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «**دَعُوا هَذِهِ الكَلِمَةَ كَلِمَةَ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**» وَأَصْلَحَ بَيْنَ الحَلِيفِ وَالأَجِيرِ، غَيْرَ أَنَّ

ابْنَ أُبَيّ رَأْس النِّفَاقِ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ:

لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَز مِنْهَا الأَذَلَّ وَكَلاماً آخَرَ.

فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ فَغَضِبَ وَأَمَرَ بِالرَّحِيلِ وَقْتَ الظَّهِيرَةَ فَجَاءَهُ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ يَسْأَلُهُ عَنِ السَّبَبِ لارْتِحَالِهِ فِي هَذَا الوَقْتِ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَهُ ابْنُ أُبَيّ فَقَالَ أُسَيْدٌ: أَنْتَ تُخْرِجُهُ إِنْ شِئتَ، هُوَ وَاللَّهِ الذَّلِيلُ وَأَنْتَ العَزِيزُ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ سُورَةَ المُنَافِقِينَ، وَاسْتَأْذَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أُبَيّ أَنْ يَقْتُلَ وَالِدَهُ المُتَكَلِّمَ بِذَلِكَ الكَلامَ، فَنَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: «**نَصْبِرُ عَلَيْهِ وَنُحَاسِنُهُ**».

الحَادِثُ الثَّانِي: وَهُوَ أَفظَعُ مِنَ الأَوَّلِ ذَلِكَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي عَوْدِهَا مِنْ هَذِهِ الغَزْوَةِ أَيْضاً فَقَدتْ لَيْلَةً عِقْداً لَهَا وَذَهَبَتْ تَلْتَمِسُهُ حَيْثُ قَضَتْ حَاجَتَهَا، فَلَمَّا رَجَعَتْ وَجَدَتِ الجَيْشَ قَدْ ارْتَحَلَ، فَنَامَتْ فِي مَحَلِّ هَوْدَجِهَا، وَجَاءَ صَبَاحاً المُوَكَّلُ بِسَاقَةِ الجَيْشِ صُفْوَانُ بْنُ المُعَطَّل فَلَمَّا رَآهَا قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، وَاسْتَيْقَظَتْ عَائِشَةُ بِصَوْتِهِ فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ لَهَا وَأَلْحَقَهَا بِالجَيْشِ ضَحوَةَ النَّهَارِ، فَتَكَلَّمَ رَأْسُ النِّفَاقِ فِي عَائِشَةَ وَصَفْوَانَ وَرَمَاهُمَا بِالإِفْكِ، ثُمَّ مَرِضَتْ عَائِشَةُ نَحْوَ شَهْرٍ لا تَعْلَمُ شَيْئاً مِمَّا يَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ حَتَّى أَعْلَمَتْهَا امْرَأَةٌ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهَا وَاسْتَأْذَنَتْ فِي

الذَّهَابِ إِلَى دَارِ أَبِيهَا وَكَثُرَ اللَّغْطُ، وَتَأَذَّى الرَّسُولُ فَصَعِدَ المِنْبَرَ وَقَالَ: «**مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيراً؟**».

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الخَزْرَجِ انْتَظَرْتُ أَمْرَك فِي قَتْلِهِ.

فَأَجَابَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَكَادَتْ تَكُونُ فِتْنَةٌ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ لَولاَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَدَارَكَ الأَمْرَ بِحِكْمَتِهِ وَسَارَعَ بِالنُّزُولِ عَنْ المِنْبَرِ.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّه بَرَاءَة المُطَهَّرَةِ فِي إِحْدَى عَشَرَةَ آيَةَ مِنْ سُورَةِ النُّور، فَبَشَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ. وَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا: قُومِي فاشْكُرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: لا وَاللَّهِ لا أَشْكُرُ إِلاَّ اللَّه الَّذِي بَرَّأَنِي.

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَلْدِ مِسْطَحٍ، وَحَسَّانَ، وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ، كُلِّ وَاحِدٍ ثَمَانِينَ سَوْطاً وَلَمْ يَجْلِد ابْنِ أُبَي لأَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ عَلَيهِ أَحَدٌ أَوْ لأَمْرٍ آخَرَ رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي نَزَلَتْ فِي بَرَاءَةِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ

لَكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا
وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟
بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ
تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا
وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ
بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا
تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ۞[1].

(١) سورة النور، الآية: (١١ ـ ٢١).

الفَصلُ الخَامِسُ وَالسّتُّونَ

اليَهُودُ شَرُّ العِبَادِ وَجُزثُومَة الفَسَادِ

اليَهُودُ شَرُّ العِبَادِ وَجُرْثُومَة الفَسَادِ

إنَّ اليَهُودَ كَانُوا وَمَا زَالُوا يَنَابِيعَ لِلفِتَنِ، وَجَرَاثِيمَ لِلْفَسَادِ، وَمَا بَرِحَتِ الإِنْسَانِيَّةُ تَتَأَلَّمُ مِنْ وَقْعِ فِتْنَتِهِمْ، وَتَئِنُّ مِنْ خِدَاعِهِمْ وَسَيِّىء مَكْرِهِمْ حَتَّى الآنَ، فَمُنْذُ اسْتَقَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي طِيْبَةَ[1] المَقَامُ، حَسَدُوهُ عَلَى نَجَاحِهِ فِي نَشْرِ دَعْوَةِ الإِسْلاَمِ، وَبَدَؤوا يَدُسُّونَ لَهُ الدَّسَائِسَ، وَيَبُثُّونَ فِي النَّاسِ أَنْوَاعَ الوَسَاوِسِ، فَوَادَعَهُمْ ﷺ وَعَقَدَ عُهُوداً مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سُرْعَانَ مَا نَقَضُوا تِلْكَ العُهُودَ، فَأَجْلَى مَنْ ثَبَتَتْ خِيَانَتُهُ مِنْهُمْ بِالذُّرِّيَةِ وَالنِّسَاءِ وَمَا تَحْمِلُهُ الجِمَالُ مِنَ الأَمْوالِ عَلَيْهَا فَقَابَلُوا إِحْسَانَهُ بِالنُّكْرِ، وَاسْتَعْمَلُوا فِي إِثَارَةِ القَبَائِلِ عَلَيْهِ أَنْوَاعَ المَكْرِ، فَقَصَدَ بَعْضُ عُظَمَائِهِمْ الحِجَازَ وَبَعْضُهُمْ سَارَ إِلَى نَجْدٍ، وَتَمَّ لَهُمْ بِإِثَارَةِ القَبَائِلِ عَلَيْهِ القَصْدُ، فَعَاهَدُوهُمْ عَلَى قِتَالِ المُسْلِمِينَ وَاسْتِئْصَالِ المُوَحِّدِينَ، فَكَانَتْ غَزْوَةُ الأَحْزَابِ، وَتُسَمَّى غَزْوَةَ الخَنْدَقِ أَيْضاً، وَمُلَخَّصُهَا: أَنَّ رَسُولَ ﷺ عَلِمَ بِمَا صَنَعَتْهُ اليَهُودُ وَجَاءَتْهُ الأَخْبَارُ مِنْ مُكَاتِبِهِ بِمَكَّةَ المُشَرَّفَةَ بِأَنَّ العَرَبَ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قِتَالِ المُسْلِمِينَ وَرَمْوهُمْ عَنْ قَوسٍ وَاحِدَةٍ، فَجَمَعَ ﷺ

(١) طيبة: من أسماء المدينة المنوَّرة.

كِبَارِ أَصْحَابِهِ وَشَاوَرَهُمْ فِي الأَمْرِ فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ، فَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَسْرَعُوا فِي العَمَلِ، وَشَارَكَهُمُ النَّبِيُّ الأَطْهَرُ، فَكَانَ يَحْمِلُ التُّرَابَ عَلَى كَتِفِهِ الشَّرِيفَةِ، وَيَرْتَجِزُ مَعَهُمْ بِقَوْلِ ابْنِ رَوَاحَةَ:

وَاللَّهِ لَوْلاَ اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَن سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأُولَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَيُكَرِّرُ ﷺ أَبَيْنَا وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ، فَيُجِيبُونَهُ، وَقَدْ جَدُّوا فِي ذَلِكَ حَتَّى تَمَّ حَفْرُهُ فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ، وَظَهَرَ فِي حَفْرِهِ مِنْ آيَاتِ النُّبُوَّةِ وَأَعْلاَمِ الرِّسَالَةِ الشَّيءُ الكَثِيرُ رَوَتْهَا ثِقَاتُ المُؤَرِّخِينَ.

الفَصلُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ

غَزْوَةُ الأَحزَابِ

غَزْوَةُ الأَحْزَابِ

فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ فِي ثَلاَثَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَطْرَافِ مَكَّةَ القَبَائِلُ وَوَافَاهُمْ عُيَيْنَةَ بْنُ حصْنٍ الفزارِيُّ الأَحْمَقُ المُطَاعُ، فَبَلَغَ مَجْمُوعُ الجَيْشِ عَشَرَةَ آلافٍ فِيهِمْ سَبْعُمَائَةِ دَارِعٍ، وَأَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ فَارِسٍ، فَنَصَّبُوا رَئِيساً لَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ، وَسَارُوا يسْحَبُونَ ذُيُولَ البَغْيِ وَالعُدْوَانِ حَتَّى وَصَلُوا مَدِينَةَ الرَّسُولِ ﷺ فَحَارَتْ مِنْهُمْ عِنْدَ رُؤْيَةِ الخَنْدَقِ العُقُولُ لأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ بِبَالٍ، بَلْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ السَّفْرَةَ نُزْهَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ يَتِمُّ لَهُمْ بِهَا النَّصْرُ وَالاسْتِئْصَالُ فِي بِضْعَةٍ مِنَ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي.

عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّرُوا أَنْ يَضْرِبُوا عَلَى المَدِينَةِ نِطَاقَ الحِصَارَ، أَمَّا المُسْلِمُونَ وَهُمْ ثَلاَثَةُ آلافٍ، فَقَدْ خَرَجُوا مِنْ وَسَطِ المَدِينَةِ إِلَى طَرَفِهَا فِي الجِهَةِ الحَصِينَةِ، وَجَعَلُوا جَبَلَ سَلْعٍ خَلْفَ أَظْهُرِهِمْ وَالخَنْدَقَ أَمَامَهُمْ، وَجَدُّوا فِي حِرَاسَتِهِ مِنْ مُهَاجَمَةِ الفُرْسَانِ، فَطَالَتْ مُدَّةُ الحِصَارِ يَتَرَاشَقُ فِيهَا بِالنَّبْلِ الفَرِيقَانِ، وَأُصِيبَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَهْمٍ فِي يَدِهِ كَانَ سَبَباً فِي وفَاتِهِ، غَيْرَ أَنَّ

أَفْرَاداً قَلِيلِينَ اقْتَحَمُوا الخَنْدَقَ وَفِي مُقَدَّمَتِهِمْ عَمْرُو بْنُ وُدّ العَامِرِي، فَجَالَ بِفَرَسِهِ يَطْلُبُ المُبَارَزَةَ مَرَّاتٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ يَقُومْ لِعَمْرٍو وَاضْمَنْ لَهُ عَلَى اللَّهِ الجَنَّةَ**»(١).

فَقَامَ عَلِيٌّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اجْلِسْ فَإِنَّهُ عَمْرٌو**».

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**مَنْ لِعَمْرٍو وَقَدْ ضَمَنْتُ لَهُ الجَنَّةَ**».

فَقَامَ عَلِيٌّ فَقَالَ لَهُ: «**اجْلِسْ فَإِنَّهُ عَمْرو**».

ثُمَّ أَعَادَ عَمْرو المُطَالَبَةَ رَافِعاً صَوْتَهُ مُنَدِّداً لِلْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ لِعَمْرٍو وَلَهُ الجَنَّةَ**».

فَقَامَ عَلِيٌّ، فَقَالَ ﷺ لَهُ: «**اجْلِسْ فَإِنَّهُ عَمْرٌو**».

فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا لَهُ وَإِنْ كَانَ عَمْراً. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ وَجَالَدَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى خَرَّ عَمْرو صَرِيعاً يَتَجَرَّعُ كَأْسَ الحِمَامِ.

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: (٣/ ٢٨٠)، والروض الأنف: (٢/ ١٩١).

الفَصلُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ

اشْتِدَادُ الكَربِ وَعِظَمُ الخَطَرِ ثُمَّ هَزِيمَةُ الأَحزَابِ

اشْتِدَادُ الكَرْبِ وَعِظَمُ الخَطَرِ ثُمَّ هَزِيمَةُ الأَحْزَابِ

بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ خَانُوا عَهْدَهُ، وَكَاتَبُوا عَدُوَّهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بَعْضَ حُلَفَائِهِمْ مِنَ الأَنْصَارِ يَتَثَبَّتُ فَيمَا بَلَغَهُ مِنَ الأَخْبَارِ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِمْ وَذَكَّرُوهُمْ بِالعُهُودِ الَّتِي عَلَيْهِمْ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ أَقْبَحَ رَدٍّ، وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْدُوبُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا رَأُوهُ وَمَا سَمِعُوهُ، وَبَعْدَهُ اسْتَأْذَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بَعْضُ بَنِي حَارِثَةَ وَقَالُوا: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَسْلَمَةَ بْنَ أَسْلَمَ فِي مَائَتَيْنِ، وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي ثَلثمَائَةٍ لِحِرَاسَةِ المَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمَّ شَاعَ فِي المَدِينَةِ الخَبَرُ وَاشْتَدَّ الكَرْبُ وَعَظُمَ الخَطَرُ، حَتَّى زَاغَتِ الأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ، وَظُنَّتْ بِاللَّهِ الظُّنُونَ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً، وَفِي ذَلِكَ الحِينِ رَاجَتْ أَرَاجِيفُ المُنَافِقِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّصْرُ المُبِينُ، وَقَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ المُشْرِكِينَ، فَتَخَاذَلُوا ثُمَّ انْصَرَفُوا مُدْبِرِينَ، وَكَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ أَنَّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ مِنْ بَنِي غَطَفَانَ وَكَانَ حَلِيفاً لِبَنِي قُرَيْظَةَ، وَصَدِيقاً لِلقُرَشِيِّينَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْلِماً وَاسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الأَعْدَاءِ، مُخْذِلاً لَهُمْ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ الحَرْبَ خُدْعَةٌ**»(١).

فَخَرَجَ نُعَيْمٌ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ صِدْقِي فِي مُخَالَفَتِكُمْ، وَنُصْحِي لَكُمْ.

قَالُوا: لا نَشُكُّ فِي ذَلِكَ فَأَخْبِرنَا بِرَأْيِكَ؟

قَالَ: «إِنَّ قُرَيْشَاً إِنْ وَجَدُوا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا حَسْبَ الإِمْكَانِ، وَإِلاَّ تَرَكُوكُمْ وَمُحَمَّداً يَصْنَعُ فَيْكُمْ مَا شَاءَ، وَتَبِعَتْهُمْ غَطَفَانَ، وَإِنَّ الرَّأْيَ أَنْ لاَ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ حَتَّى يُعْطُوكُمْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ رَهَائِنَ تَأْمَنُونَ بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ».

قَالُوا: صَدَقْتَ.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ اليَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ وكَاتَبُوا مُحَمَّداً فِي الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْكُمْ رَهَائِنَ يُقَدِّمُونَهَا لَهُ يَصْنَعُ بِهَا مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ الرَّأْيَ أَنْ تُطَالِبُوهُمْ بِمُنَاجَزَةِ القِتَالِ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ بِهِ قُرَيْشاً، فَلَمَّا أَصْبَحُوا طَالَبَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ اليَهُودَ بِمُنَاجَزَةِ الحَرْبِ، فَأَبُوا إِلاَّ أَنْ يُعْطُوهُمْ رَهَائِنَ، فَظَنَّ كُلٌّ مِنْهُمْ صِدْقَ نُعَيْمٍ، وَتَخَاذَلُوا عَنْ قِتَالِ

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (١/ ٧٣) و(٧/ ٥٢٣)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٣/ ٤٠٥).

المُسْلِمِينَ. ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ رِيحاً عَاتِيَةً عَلَى المُشْرِكِينَ قَلَعَتْ أَطْنَابَهُمْ وَأَكْفَأَتْ قُدُورَهُمْ. وَأَدْخَلَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ. فَارْتَحَلُوا خَائِبِينَ، وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ المَدِينَةَ آمِنِينَ، وَذَلِكَ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي القِعْدَةِ فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنْ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ وَوَفَاةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ

لَمَّا تَحَقَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِن انْهِزَامِ الأَحْزَابِ دَخَلَ المَدِينَةَ وَقَصَدَ بَيْتَ أُمِّ سَلَمَةَ وَبَعْدَ أَنْ وَضَعَ سِلاحَهُ، قَامَ يَغْتَسِلُ فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ وَأَبْلَغَهُ أَمْرَ رَبِّهِ الجَلِيلِ، بِأَنْ يُسْرِعَ بِالجَيْشِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِنَقْضِهِم العَهْدَ، وَانْضِمَامِهِمْ إِلَى العَدُوِّ الأَلَدِّ.

فَنَادَى مُنَادِيهِ: **«مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً فَلاَ يُصَلِّيَنَّ العَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»**.

وَخَرَجَ فِي الثَّالِثِ وَالعِشْرِينَ مِنْ ذِي القِعْدَةِ رَاكِباً حِمَارَهُ بَعْدَ أَنْ لَبِسَ سِلاحَهُ، وَأَعْطَى لابْنِ عَمِّهُ عَلِيّ لِوَاءَهُ وَتَبِعَهُ المُسْلِمُونَ.

فَلَمَّا رَأَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ذَلِكَ الجَيْشَ العَظِيمَ، دَخَلُوا حُصُونَهُمْ وَحَاصَرَهُمْ المُسْلِمُونَ نَحْوَ شَهْرٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لا مَحِيصَ عَنِ التَّسْلِيمِ طَلَبُوا أَنْ يُعَامَلُوا بِمِثْلِ مُعَامَلَةِ بَنِي النَّضِيرِ، فَلَمْ يَقْبَلْ ﷺ مِنْهُمْ ذَلِكَ فَشَفَعَ فِيهِمْ حُلَفَاؤُهُمْ مِنَ الأَوْسِ وَسَأَلُوهُ ﷺ أَنْ

يُعَامِلَهُمْ بِمِثْلِ مَا عَامَلَ بِهِ بَنِي قَيْنُقَاعَ.

فَقَالَ ﷺ: «**أَلاَ يُرْضِيكُمْ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ**».

قَالُوا: بَلَى. وَاخْتَارُوا سَعْدَ بْنَ مُعَاذ، وَكَانَ قَدْ أُصِيبَ وَقْتَ حِصَارِ الخَنْدَقِ بِسَهْمٍ فِي يَدِهِ فَلَمْ يَتَمَكَّنْ بِسَبَبِ جُرْحِهِ مِنَ الخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَذَهَبُوا إِلَيْهِ وَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارِهِ، وَالتَفَّ حَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَسْأَلُونَهُ الرِّفْقَ بِبَنِي قُرَيْظَةَ.

فَقَالَ: «**لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ**». وَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى النَّبِيِّ قَالَ ﷺ: «**قُومُوا لِسَيِّدِكُمْ**»(١).

ثُمَّ وَلاَّهُ الحُكْمَ، فَحَكَمَ بِقَتْلِ الرِّجَالِ وَسَبْيِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ. فَنُفِّذَ حُكْمَهُ وَغَنِمَ المُسْلِمُونَ أَمْوَالاً كَثِيرَةً. وَمِنَ السِّلاَحِ أَلْفاً وَخَمْسَمَائَةِ سَيْفٍ، وَأَلْفَ رُمْحٍ، وَخَمْسَمَائَةَ تُرْسٍ، وَثَلاثَمائَةَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤/ ٨١) و(٥/ ٢٤) و(٦/ ٧٢ و١٣٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد باب: (٢٢) رقم: (٦٤)، وأبو داود في سننه: (٥٢١٥)، و(٥٢١٦)، والترمذي في سننه: (٨٥٦)، وأحمد في المسند: (٣/ ٢٢ و٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٦/ ٥٨) و(٩/ ٦٣ و٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير: (٦/ ٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ١٣٨)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٤/ ٢٥)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٤/ ١٨)، والهندي في كنز العمال: (٢٥٤٨٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٤٦٩٥)، و(٣٩٦٣٥)، وابن حجر في فتح الباري: (١/ ٣٢٠) و(٥/ ٥١ و١٧٧).

دِرْعٍ، وَمَاتَ سَعْدٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

وَكَانَ الفَرَاغُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ لِسَبْعٍ بَقَيْنَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَاتَيْنِ القِصَّتَيْنِ آياتٍ كَثِيرَةً مِنْ سُورَةِ الأَحْزَابِ، وَفَرَض اللَّهُ فِي هَذَا العامِ الحَجَّ عَلَى المُسْلِمِينَ.

حَوَادِثِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ

الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ

حَوَادِثِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ

بِانْهِزَامِ الأَحْزَابِ وَقَتْلِ رِجَالِ بَنِي قُرَيْظَةَ جَرَائِيمِ الفَسَادِ، وَالاسْتِيلاَءِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَالأَوْلاَدِ، دَخَلَ الإِسْلاَمُ فِي طَوْرٍ جَدِيْدٍ وَعَرَفَ العَرَبُ قَدْرَ المُسْلِمِينَ، فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنَايَتَهُ لِنَشْرِ الدِّينِ وَتَأْدِيبِ البُغَاةِ المُتَمَرِّدِينَ فَوَقَعَتْ سَرَايَا وَغَزَوَاتٌ، نُلَخِّصُ مُجْمَلَهَا بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

سَرِيَّةُ مُحَمَّد بْنِ مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِي إِلَى بَنِي كَلْبٍ (بِنَاحِيَةِ ضَرِيَّةِ)

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مُحَرَّمٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَاكِباً فَهَاجَمَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشَرَةً وَغَنِمَ نَعَمَهُمْ. وَفِي عَوْدِهِ إِلَى المَدِينَةِ لَقِيَ ثُمَامَةَ سَيِّدَ بَنِي حَنِيفَةَ، فَاسْتَاقَهُ إِلَى المَدِينَةِ، وَعَامَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالحِلْمِ، فَأَسْلَمَ وَقَصَدَ مَكَّةَ لأَدَاءِ عُمْرَةٍ، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: إِنَّكَ صَبَأْتَ.

فَقَالَ: بَلْ أَسْلَمْتُ، وَاللَّهِ لا تَصِلُكُمْ حَبَّةُ حِنْطَةٍ مِنَ اليَمَامَةِ حَتَّى يَأْذَنُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَلَمَّا عَادَ إِلَى قَوْمِهِ دَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَنَفَّذَ مَا تَوَعَّدَ بِهِ

قُرَيْشاً مِنَ المُقَاطَعَةِ، حَتَّى اضْطَرُّوا إِلَى التَّوَسُّلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَكْتُبَ إِلَى ثُمَامَةَ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَذِنَ ثُمَامَةُ فِي حَمْلِ الطَّعَامِ إِلَى قُرَيْشٍ.

سَرِيَّة عُكَاشَةَ بْنِ مُحْصِنٍ إِلَى بَنِي أَسَدٍ (فِي نَاحِيَةِ فَيْدٍ)

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مَعَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فَعَلِمُوا بِهِ وَهَرَبُوا. فَاسْتَاقَ مَائَةَ بَعِيرٍ لَهُمْ.

سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلَمَةَ ثُمَّ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى بَنِي سُلَيمٍ لأَنَّهُمْ قَاتَلُوا القُرَّاء السَّبْعِينَ ـ بِذِي القَصَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّبَذَةِ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مَعَ عَشَرَةٍ، فَعَلِمَ العَدُوُّ بِهِمْ وَهَاجَمَهُمْ لَيْلاً بَعْدَ أَنْ أَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا إِلاَّ مُحَمَّد بْنِ مُسلِمَةَ فَإِنَّهُ نَجَا جَرِيحاً وَعَادَ إِلَى المَدِينَةِ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ فِي طَلَبِهِم فَلَمْ يُدْرِكْ مِنْهُمْ أَحَداً، وَاسْتَاقَ مَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ نَعَمِهِمْ.

الفَصلُ السَّبعُونَ

سَرِيَّةُ زَيد بنِ حَارِثَةَ مَولَى رَسُولِ اللّهِ إِلَى بَنِي سُلَيمٍ

سَرِيَّةُ زَيْد بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي سُلَيمٍ (لأَنَّهُمْ قَاتَلُوا القُرَّاءَ أَيْضاً ـ بِنَاحِيَةِ الجَمُومِ)

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَبِيعٍ الثَّانِي مَعَ رِجَالٍ لَمْ يَذْكُرُوا عَدَدَهُمْ، فَظَفَرُوا بِامْرَأَةٍ وَدَلَّتْهُمْ عَلَى مَحَلِّ الأَعْدَاءِ فَظَفَرُوا بِهِمْ، وَاسْتَأْسَرُوهُمْ وَغَنِمُوا نَعَماً وَشِيَاهاً، ثُمَّ عَادُوا إِلَى المَدِينَةِ، فَأَطْلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَرْأَةَ وَزَوْجَهَا.

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضاً إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ بِالطَّرَفِ طَرِيقَ العِرَاقِ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُمَادَى الثَّانِيَةِ مَعَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَعَلِمَ بِهِم الأَعْدَاءُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ خَشَوْا أَنْ يَكُونَ زَيْدٌ طَلِيعَةً لِجَيْشٍ فَهَرَبُوا، وَاسْتَاقَ زَيْدٌ مَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ نَعَمِهِمْ.

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضاً إِلَى بَنِي فَزَارَةَ بِوَادِي القُرَى (شَمَالِ المَدِينَةِ)

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَجَبٍ مَعَ رِجَالٍ مَجْهُولٌ عَدَدُهُمْ فَهَاجَمَ القَوْمَ فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ وَأَسَرَ مَنْ أَسَرَ وَفِيهِمُ امْرَأَةٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ

فَاسْتَوْهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ وَفَدَى بِهَا أَسِيراً مِنْ أُسَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحمٰنِ بْنِ عَوفٍ إِلَى بَنِي كَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ (الجَوْفِ) بَيْنَ المَدِينَةِ وَدِمَشْقَ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَعْبَانَ مَعَ سَبْعِمَائَةٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الدِّينِ، فَإِنْ أَطَاعُوا تَزَوَّجَ بِابْنَةِ مَلِكِهِمْ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَدَعَاهُمْ فَأَسْلَمَ مَلِكُهُمْ، وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنْهُمْ وَرَضِيَ بِالجِزْيَةِ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ.

فَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ ابْنَةَ المَلِكِ وَتُسَمَّى تَمَاضُرَ فَوَلَّدَتْ لَهُ مُحَمَّداً.

الفَصلُ الحَادِي وَالسَّبعُونَ

سَرِيَّةُ عَلِي بنِ أَبِي طَالِبٍ لِبَنِي سَعدٍ بِنَاحِيَةِ خَيبَرَ

سَرِيَّةُ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِبَنِي سَعْدٍ بِنَاحِيَةِ خَيْبَرَ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَعْبَانَ مَعَ مَائَةٍ فَظَفَرَ فِي طَرِيقِهِ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ فَأَقَرَّ بِأَنَّهُ مَنْدُوبٌ إِلَى عَقْدِ مُعَاهَدَةٍ، مَعَ يَهُودِ خَيْبَرَ عَلَى قِتَالِ المُسْلِمِينَ فَأَمَّنَهُ الإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا دَلَّهُمْ عَلَى مَحَلِّ قَوْمِهِ، فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى أَوْصَلَهُمْ إِلَى مَحَلٍّ تَرْعَى فِيهِ مَوَاشِي بَنِي سَعْدٍ فَهَرَبَ الرُّعَاةُ وَاسْتَاقَ الجَيْشُ خَمْسَمَائَةِ بَعِيرٍ وَأَلْفَيْ شَاةٍ، وَوَصَلَ الخَبَرُ لِبَنِي سَعْدٍ فَأُصِيبُوا بِالرُّعْبِ، وَتَفَرَّقُوا وَرَجَعَ الجَيْشُ إِلَى المَدِينَةِ ظَافِراً بِالغَنِيمَةِ.

سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ إِلَى أَسِير بْنِ رِزَامَ بِمَدِينَةِ خَيْبَرَ

بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَسِيرَ بْنَ رِزَامٍ يَتَحَدَّثُ بِغَزْوِ المَدِينَةِ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فِي ثَلاَثِينَ مِنَ الأَنْصَارِ لِيَدْفَعُوهُ عَنْ مَسَاعِيهِ وَيَسْتَمِيلُوهُ، فَنَجَحُوا فِيما نُدِبُوا لَهُ وَرَضِيَ أَسِيرُ بْنُ رِزَامٍ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُمْ لِعَقْدِ مُعَاهَدَةٍ وَحِلفٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ فِي ثَلاَثِينَ مِنْ قَوْمِهِ كُلُّ يَهُودِي خَلْفَ أَنْصَارِيّ، وَلَمَّا كَانُوا فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ أَسِفَ أَسِيرٌ وَهُوَ رَدِيفٌ لعبد الله بْنِ

رَوَاحَةَ، فَأَهْوَى إِلَى سَيْفِهِ بِيَدِهِ فَشَعُرَ بِهِ ابْنُ رَوَاحَةَ، وَأَخَذَ السَّيْفَ وَضَرَبَهُ بِهِ.

فَثَارَ أَصْحَابُهُ وَقَامَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَعَادُوا إِلَى النَّبِيِّ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ.

سَرِيَّةُ كُرْزِ بْنِ خَالِدٍ الفِهْرِي فِي طَلَبِ العُرَنِيِّينَ

جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عُرَيْنَةَ فَمَرِضُوا بِالمَدِينَةِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى مَحَلٍّ فِيهِ إِبِلٌ يَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَشَفُوا وَطَمُعوا فِي الإِبِلِ، فَقَتَلُوا الرَّاعِي وَاسْتَاقُوا الإِبِلَ، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الخَبَرُ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ كُرْزاً الفِهْرِي فَأَدْرَكَهُمْ وَسَاقَهُمْ مَعَ الإِبِلِ إِلَى المَدِينَةِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِمْ.

الفَصْلُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ

غَزْوَةُ عُسْفَانَ وَقِصَّةُ الحُدَيْبِيَةِ

غَزْوَةُ عُسْفَانَ وَقِصَّةُ الحُدَيْبِيَةِ

خَرَجَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ نَحْوِ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَمَعَهُ مَائَتَا رَاكِبٍ وَعِشْرُونَ فَرَساً حَتَّى وَصَلَ الرَّجِيع مَحَلَّ اسْتِشْهَادِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ، فَعَلَمَ بِهِ الهُذَلِيُّونَ الَّذِين قَاتَلُوا عَاصِماً، فَفَرُّوا إِلَى الجِبَالِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّرَايَا فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهَا عُسْفَانَ وَبَعْضُهَا كُرَاعَ الغَمِيمِ، وَعَلِمَ بِهِمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ فَدَاخَلَهُمْ الرُّعْبُ، وَوَرَدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي بَعْضِ أَيَّامِ هَذِهِ الغَزْوَةِ بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الخَوْفِ.

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى زِيَارَةِ البَيْتِ الحَرَامِ لِرُؤْيَا رَآهَا فِي المَنَامِ، فَخَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ فِي ذِي القِعْدَةِ مُحْرِماً، وَمَعَهُ أَلْفٌ وَخَمْسُمَائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الكِرَامِ بِسِلاَحِ الرَّاكِبِ (السُّيُوفِ فِي القُرَبِ) وَسَاقُوا مَعَهُمُ الهَدِيَ، وَلَمَّا قَرُبَ مِنْ مَكَّةَ عَلِمَ أَنَّ قُرَيْشاً مُصَمِّمُونَ عَلَى صَدِّهِمْ عَنِ البَيْتِ، فَنَزَلَ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى نَحْوِ ثَلاَثَةَ عَشَرَ مِيلاً مِنْ مَكَّةَ، وَأَرْسَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّان يُقْنِعُهُمْ بِأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ مُعْتَمِراً، فَحَبَسُوهُ عَنْدَهُمْ، ثُمَّ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ قَتَلُوا عُثْمَانَ، فَدَعَا المُسْلِمِينَ إِلَى البَيْعَةِ

فَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ عَلَى الثَّبَاتِ فِي قِتَالِ قُرَيْشٍ لاعْتِدَائِهِمْ عَلَى رَسُولِهِ عُثْمَانَ.

فَلَمَّا عَلِمَ المُشْرِكُونَ بِذَلِكَ أَطْلَقُوا عُثْمَانَ، وَتَرَدَّدَتْ الرُّسُلُ بَيْنَ المُصْطَفَى ﷺ وَقُرَيْشٍ، وَأَخِيراً أَرْسَلُوا سُهَيْلَ بْنَ عَمرو العَامِرِي، لِيَتَّفِقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصُّلْحِ، وَبَعْدَ مُدَاوَلاَتٍ طَوِيلَةٍ تَقَرَّرَت قَوَاعِدُ الصُّلْحِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيّاً بِكِتَابَتِهَا وَهِيَ:

أَوَّلاً: رُجُوعُ المُسْلِمِينَ إِلَى المَدِينَةِ فِي هَذَا العَامِ وَعَوْدِهم بِسِلاحِ الرَّاكِبِ (السُّيُوف فِي القُرَبِ) مِنَ العَامِ القَابِلِ للاعتِمَارِ وَالإِقَامَةِ بِهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ.

ثَانِياً: إِعْطَاءُ الحُرِّيَّةِ الكَامِلَةِ لِكَافَّةِ العَرَبِ فِي الانْضِمَامِ إِلَى حِلْفِ المُسْلِمِينَ أَوْ إِلَى حِلْفِ المُشْرِكِينَ، فَانْضَمَّتْ خُزَاعَةُ إِلَى المُسْلِمِينَ وَبَنُو بَكْرٍ إِلَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ.

ثَالِثاً: كَفُّ كُلٍّ مِنْهُمَا عَنِ قِتَالِ الآخَرِ وَمُخَالِفِيهِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ.

رَابِعاً: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَأْتِي مِنْ قُرَيْشٍ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْلِماً يَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ يَأْتِيهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ مُرْتَدّاً لا يَرُدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَاءَ المُسْلِمُونَ مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ كَثِيراً، وَرَاجَعُوا المُصْطَفَى ﷺ مُراجَعَةً طَوِيلَةً حَتَّى قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَعَلاَمَ نُعْطِي الدَّنِية فِي دِينِنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لاَ أَعْصِي لَهُ أَمْراً وَلَنْ يُضَيِّعَنِي**»(١). وَبَيْنَمَا هُمْ فِي كِتَابَةِ الشُّرُوطِ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَرْسُفُ فِي قَيْدِهِ مُسْتَجِيراً بِالمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ الرَّجُلُ هُوَ أَبُو جُنْدُلِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَمرو فَأَبْصَرَهُ أَبُوهُ سُهَيْلٌ بَطَلَ المُكَاتَبَةِ. فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ هَذَا أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّنَا لَمَّا نَقْضِ أَمْرَ الكِتَابَةِ عَمرو**».

أَجَابَهُ سُهَيْلٌ إِذَاً لا أُقَاضِيكَ عَلَى شَيءٍ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَوْصَاهُ بِالصَّبْرِ وَبَشَّرَهُ بِقُرْبِ الفَرَجِ(٢)، وَلَمَّا تَمَّتْ كِتَابَةُ المُعَاهَدَةِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ بِنَحْرِ الهَدْيِ وَالتَّحَلُّلِ مِنَ العُمْرَةِ(٣) فَتَقَاعَسُوا عَنْ ذَلِكَ حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى هَدْيِهِ فَنَحَرَهُ ثُمَّ حَلَقَ، عِنْدَ ذَلِكَ تَوَاثَبُوا عَلَى الهَدْيِ يَنْحَرُونَهُ وَيَحْلِقُونَ، وَعَادُوا إِلَى المَدِينَةِ، وَنَزَلَتْ فِي هَذِهِ القِصَّةِ سُورَةُ الفَتْحِ تَطْيِيباً لِخَوَاطِرِ المُسْلِمِينَ.

---

(١) أخرج أحمد في المسند: (٣/ ٤٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ٤٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور: (٦/ ٩٧)، وابن كثير في البداية والنهاية: (٣/ ٣٤٤): «أي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري».

(٢) انظر القصة كاملة في كتاب البداية والنهاية ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت: (٣/ ٣٤٤).

(٣) انظر الآيات: (١٨ ـ ٢٩) من سورة الفتح ورقمها في التسلسل القرآني: (٤٨).

الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ

مُلَخَّصُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الفَتْحِ مِنْ كَلاَمِ المُحَقِّقِينَ

مُلَخَّصُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الفَتْحِ مِنْ كَلامِ المُحَقِّقِينَ

الاسْتِغْفَارِ: طَلَبُ العَبْدِ التَّجَاوُزَ عَنِ الذَّنْبِ، وَهُوَ نَوْعَانِ:

الأَوَّلُ: ارْتِكَابِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

الثَّانِي: ارْتِكَابُ مَا يُخَالِفُ الأَجْدَرَ بِذَلِكَ العَبْدِ، وَهَذَا الأَخِيرُ هُوَ الَّذِي يَقَعُ مِنَ المَعْصُومِينَ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ بَابِ (حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ) إِذْ مَا مِنْ كَمَالٍ إِلاَّ وَعِنْدَ اللَّهِ أَكْمَلَ مِنْهُ، فَالْعَبْدُ المُعْتَنَى بِهِ كُلَّمَا رُفِعَ دَرَجة مِنْ دَرَجَاتِ القُرْبِ اسْتَغْفَرَ مِمَّا كَانَ مِنْهُ قَبْلَهَا وَعَدَّهُ مِنَ الذَّنْبِ، وَلِهَذَا كَانَ ﷺ يُكْثِرُ الاسْتِغْفَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ بِالصَّلاَةِ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، وبِهَذَا يَتَّضِحُ مَعْنَى الغُفْرَانِ وَمَعْنَى الذَّنْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ القُرْآنِ، إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَلْنَشْرَعْ فِي تَحْرِيرِ المُلَخَّصِ فَنَقُولُ:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[2] إِنَّا نَصَرْنَاكَ نَصْراً وَاضِحاً

(١) سورة الفتح، الآية: (٢).

(٢) سورة الفتح، الآية: (١).

بِهَذِهِ المُهَادَنَةِ الوَاقِعَةِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مُقَدِّمَةً للانْتِصَارَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَهَا وَلِمَا أَفَاءَهُ اللَّهُ عَلَى المُسْلِمِينَ مِنَ الأَمْوَالِ وَالسِّلاحِ فِي وَقْعَةِ خَيْبَرَ وَمَا بَعْدَهَا، وَهُوَ مُوجِبٌ لغُفْرَانِ مَا كَانَ مِنْكَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ اسْتِبْطَاءِ النَّصْرِ وَنَحْوِهِ للانْتِصَارِ عَلَى المُعَانِدِينَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[1] أَيْ رُسُوخاً فِي التَّصْدِيقِ بِوَاحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَبِتَسَلُّطِهِ عَلَى كَافَّةِ العِبَادِ ﴿مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ﴾[2] أَيْ يُصَرِّفُ جُنُودَهُمَا كَيْفَ يَشَاءُ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3] يَضَعُ الأَشْيَاءَ فِي الأَشْيَاءِ فِي مَحَالِّهَا: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾[4] أَيْ كَانَ جَمِيعُ مَا سَبَقَ فَوْزاً لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَسْعَوْنَ لَهُ، وَخَيْبَةً لِرَجَاءِ المُنَافِقِينَ وَالمُشْرِكِينَ فَيُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ فِي العَاجِلِ بِانْتِصَارِكَ عَلَيْهِمْ وَفِي الآجِلِ بِالخُلُودِ فِي النَّارِ لأَنَّهُمْ ظَنُّوا ظَنَّ السُّوءِ بِاللَّهِ، مِنْ عَدَمِ نَصْرِهِ لَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ فَحَكَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالخُذْلاَنِ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ مَحَلاً لِلعِقَابِ وَلَهُ سُبْحَانَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَقُومُونَ بِتَنْفِيذِ مَا أَرَادَ.

---

(١) سورة الفتح، الآية: (٤).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) سورة الفتح، الآية: (٥).

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾[1] أي عَلَى الأُمَمِ وَمُبَشِّراً لِلطَّائِعِ وَمُنْذِراً لِلْعَاصِي وَدَاعِياً لِجَمِيعِ العِبَادِ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُعَزِّرُوهُ (يُقَوُّوهُ) وَيُوَقِّرُوهُ (يُعَظِّمُوهُ) ثُمَّ يُسَبِّحُونَ اللَّهِ فِي سَائِرِ الأَوْقَاتِ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] أَيْ إِنَّ مَنْ نَقَضَ العَهْدِ عَادَ ضَرَرُهُ عَلَيْهِ وَمَنْ أَوْفَى بِهِ جَازَاهُ اللَّهُ بِالأَجْرِ العَظِيمِ. ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهِ بِأَمْرٍ سَيَقَعُ مِنَ المُتَخَلِّفِينَ وَهُوَ الاعْتِذَارُ عَنْ تَأَخُّرِهِمْ في الخُرُوجِ مَعَهُ ﷺ بِاشْتِغَالِهِمْ بِصَلاحِ أَمْوَالِهِمْ وَأَنَّهُمْ سَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الاسْتِغْفَارِ، وَأَنَّ ذَلِكَ العُذْرَ كَذِبٌ، وَالطَّلَبَ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِحَالِهِمْ، وَأَنَّ الاسْتِغْفَارِ لاَ يَنْفَعُهُمْ مَا دَامُوا مُصِرِّينَ غَيْرَ تَائِبِينَ، وَلا يَمْلِكُ أَحَدٌ دفع الضَّرَّ عَنهُمْ وَإِيصَالَ النَّفْعِ إِلَيْهِمْ غَيْرَ العَلِيمِ الخَبِيرِ، فَلْيَفْقَهْ هَذَا طُلاَّبُ الدُّعَاءِ مَعَ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الذَّنْبِ وَعَدَمِ الإِقْلاَعِ عَنْهُ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ لاَ يَنْفَعُ إِلاَّ مَنْ تَأَهَّلَ لَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَقَدْ ظَنُّوا بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ وَالمُؤْمِنِينَ لا يَعُودُونَ إِلَى أَهْلِيهِم، ثُمَّ اسْتَحْسَنُوا ذَلِكَ الظَّنَّ فَكَانُوا قَوْماً بُوراً هَلْكَى لا يَصْلُحُونَ لِشَيءٍ مِنَ الخَيْرِ لأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَالنَّارُ مُعَدَّةٌ

(١) سورة الفتح، الآية: (٨).

(٢) سورة الفتح، الآية: (١٠).

لِعَذَابِهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾[1].

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِأَمْرٍ آخَرَ سَيَقَعُ أَيْضاً مِنْ أُولَئِكَ المُتَخَلِّفِينَ، وَهُوَ طَلَبُ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى خَيْبَرَ، وَأَنَّ ذَلِكَ الطَّلَبَ يُرَادُ بِهِ تَغْيِيرَ مَا بِهِ اللَّهُ وَعَدَ، مِنْ تَخْصِيصِ تِلْكَ الغَنَائِمِ لِمَنْ فِي الحُدَيْبِيَةِ قَدْ حَضَرَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ عَنِ الخُرُوجِ وَلاَ يَلْتَفِتَ إِلَى مَا يَقُولُونَ، وَأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ سَتُدْعَونَ إِلَى قِتَالِ قَوْمٍ ذَوِي شِدَّةٍ لِتُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا أَوْ يُقْتَلُوا، فَإِنْ تُطِيعُوا الدَّاعِيَ تُؤْجَرُوا وَإِنْ تَتَمَرَّدُوا تُعَذَّبُوا العَذَابَ الأَلِيمَ.

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حُكْمَ أَصْحَابِ الأَعْذَارِ كَالعَمَى، وَالعَرَجِ، وَالمَرَضِ، وَأَنَّ مَنْ يَتَخَلَّفُ لِغَيْرِ عُذْرٍ يُعَذَّبُ، وَمَنْ يَمْتَثِلْ يؤجَرْ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّهُ رَضِيَ عَنِ المُؤْمِنِينَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَلِعِلْمِهِ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ أَنْزَلَ الطُّمَأْنِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً هُوَ فَتْحُ خَيْبَرَ. وَوَعَدَهُمْ بِمَغَانِمَ كَثِيرَةٍ سَيُمَكِّنُهُم اللَّهُ مِنْهَا، فَعَجَّلَ لَهُمْ هَذِهِ وَهِيَ غَنَائِمُ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَقَدْ جَعَلَ لَهُمْ ذَلِكَ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْهُمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَلامَةً لِعِنَايَةِ اللَّهِ بِهِم

(١) سورة الفتح، الآية: (١٤).

وَهِدَايَتَهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الثِّقَةُ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَأَخَّرَ مَغَانِمَ أُخْرَى لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا إِلاَّ بَعْدَ حَرْبٍ لَعَلَّهَا غَنَائِمُ حُنَيْنٍ فَأَنَّهُمُ انْهَزَمُوا عَنْهَا، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِم السَّكِينَةَ فَعَادُوا لِلقِتَالِ وَنصَرَهُم اللَّهُ وَهُوَ عَلَى كِلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّه تَعَالَى نَبِيَّهُ بِأَنَّ الكَافِرِينَ لَوْ قَاتَلُوكُم يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ لَخُذِلُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَصِيرٌ وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ الكَافِرِينَ بِنعَمِهِ فلا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى تَبْدِيلِهَا.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ بِأَنَّهُ كَفَّ أَيْدِي الفَرِيقَيْنِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ عَنِ القِتَالِ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَصَرَ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِم بِالرُّعْبِ فِي يَوْمِ الأَحْزَابِ لأَسْبَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

مِنْهَا: خَشْيَةُ إِصَابَةِ الضَّرَرِ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ المُقِيمِينَ كُرْهاً بَيْنَ أَظْهرِ الكَافِرِينَ وَأَنَّ إِصَابَتَهُمْ لَهُمْ مَعَرَّةٌ؛ أَيْ: مَلامَةٌ تُوجِبُ التَّفْكِيرَ.

وَمِنْهَا: دُخُولُ كَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ فِي الإِسْلاَمِ فِي الوَقْتِ الَّذِي بَيْنَ الحُدَيْبِيَةِ وَالفَتْحِ وَأَنَّهُ لَوْ تَمَيَّزَ المُؤْمِنُونَ عَنِ الكَافِرِينَ، لَعَذَّبَ اللَّهُ الكَافِرِينَ بِالْقَتْلِ وَالسبي. لأَنَّهُمْ جَعَلُوا حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فِي قُلُوبِهِم.

وَمِنْهَا: تَدْرِيبُ المُسْلِمِينَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَعْهَدُوهُ، وَهُوَ مُهَادَنَةِ المُحَارِبِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ السَّكِينَةِ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ، فَرَضُوا

بِمَا رَضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الصُّلْحِ وَلَزِمُوا كَلِمَةَ التَّقْوَى وَهِيَ الطَّاعَةُ وَكَانُوا بِهَا جَدِيرِينَ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ، عليم فَمَنْ فِيهِم الأَهْلِيَّةِ لِلْخَيْرِ يَسَّرَهُ لَهُمْ.

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّه تَعَالَى مُؤكِّداً خَبَرَهُ بِالقَسَمِ، بِإِنَّ رُؤْيَا النَّبِيِّ دُخُولَهُ مَكَّةَ رُؤْيَا حَقٍّ، وَأَنَّ دُخُولَهُ سَيَكُونُ فِي الوَقْتِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ فَيَدْخُلُونَ آمِنِينَ غَيْرَ خَائِفِينَ، وَأَنَّهُ أَخَّرَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ، وَجَعَلَ قَبْلَهُ فَتْحاً قَرِيباً هُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ ثُمَّ فَتْحُ خَيْبَرَ لِيَكْمُلَ اسْتِعْدَادُ المُسْلِمِينَ بِمَا يَغْنَمُونَهُ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بَالدِّينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ وَكَفَى اللَّهُ شَاهِداً عَلَى نَفْسِهِ بِإِنْجَازِ ظُهُورِهِ، وَقَدْ كَانَ. ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ﴾[1] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ؛ أَيْ: مُتَّصِفُونَ بِوَصْفِ الشِّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الكُفْرِ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ مُطِيعِينَ لِرَبِّهِمْ مُبْتَغِينَ لِفَضْلِهِ وَرِضْوَانِهِ وَأَنَّ أَثَرَ السُّجُودِ فِي وُجُوهِهِمْ هُوَ سَمَةٌ لَهُمْ، وَأَنَّ صِفَتَهُم فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ أَنَّهُمْ كَزَرعٍ نَبَتَ وَاسْتَقَامَ عَلَى قَصَبِهِ، حَتَّى صَارَ معجباً للزُّرَاعِ يَغْتَاظُ مِنْهُ الكَافِرُونَ.

ثُمَّ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ التَّجَاوُزِ عَنِ الزَّلاَّتِ وَالأَجْرِ العَظِيمِ عَلَى الحَسَنَاتِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ خِتَاماً للسُّورَةِ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ آمِينَ.

---

(١) سورة الفتح، الآية: (٢٩).

الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ

الحِكَمُ وَالأَحْكَامُ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا قِصَّةُ الحُدَيْبِيَةِ

الحِكَمُ وَالأَحْكَامُ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا قِصَّةُ الحُدَيْبِيَةِ

إِنَّ الحِكَمَ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هَذِهِ القِصَّةُ كَثِيرَةٌ نَقْتَطِفُ مِنْهَا مَا فِيهِ العِظَةُ وَالعِبْرَةُ، فَنَقُولُ: إِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِمَ بِمَا وَقَعَ مِنَ المُسْلِمِينَ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ مِنَ الصَّبْرِ وَقْتَ الابْتِلاَءِ فِي غَزْوَةِ الأَحْزَابِ وَالثَّبَاتِ وَقْتَ الفَوْزِ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَالطَّاعَةِ وَالانْقِيَادِ فِيمَا بَعْدَهُمَا مِنَ الغَزَوَاتِ عَلِمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَلِكَ وَغَيْرَهُ، وَأَرَادَ وَهُوَ العَلِيمُ الخَبِيرُ أَنْ يُدَرِّبَ المُسْلِمِينَ عَلَى شَيءٍ لَمْ يَسْبِقْ وُقُوعُ مِثْلِهِ لَهُمْ وَهُوَ الصُّلْحُ وَالمُهَادَنَةِ، فَكَانَ فِي أَعْمَالِهِ ﷺ بِهَذِهِ الغَزْوَةِ وَفِي شُرُوطِ الهُدْنَةِ اخْتِبَارَاتٌ جَدِيدَةٌ، وَدُرُوس مُفِيدَةٌ يَتَلَقَّوْنها عَنْ مُنْقِذِهِمُ الأَعْظَمِ وَمُرَبِّيهِمُ الأَكْرَمِ ﷺ.

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا صُدَّ عَنْ مَقْصَدِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَأَنَّى وَيَتَصَبَّرَ فِي أَمْرِهِ وَلا يُسَارِعُ بِمُقَاتَلَةِ عَدُوِّهِ حَتَّى يَدْرُسَ القَضِيَّةَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَذَلِكَ هُوَ مَا فَعَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ حِينَ صُدَّ عَنِ البَيْتِ الحَرَامِ، فَإِنَّهُ أَنَاخَ بِالحُدَيْبِيَةِ وَكَاتَبَ قُرَيْشاً، وَعَلِمَ أَنَّ الأَوْلَى عَقْدِ الهُدْنَةِ مَعَهُمْ، وَعَدَمُ مُحَارَبَتِهِمْ لأَنَّ بِمَكَّةَ رِجَالاً وَنِسَاءً

مُؤْمِنَاتٍ رُبَّمَا يُصِيبُهُمْ ضَرَرٌ فَيَطَؤوهُمْ غَيْر عَالِمِينَ بِهِمْ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ وَسَبَقَ بَيَانُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ صِيغَ مَوَادّ عَقْدِ المُعَاهَدَةِ تَحْتَاجُ إِلَى دِقَّةِ نَظَرٍ، فَرُبَّمَا كَانَ فِي ظَاهِرِ بَعْضِ المَوَادّ إِجْحَافٌ وَلَكِنْ فِي عَوَاقِبِهِ وَمَا يَنْجُمُ أَعْظَمُ فَائِدَةٍ، وَذَلِكَ مَا عَلِمَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَأَجْرَاهُ فَنَتَجَتْ عَنْ ذَلِكَ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ، مِثْلُ تَمَكُّنِ النَّاسِ مِنْ سَمَاعَ الدَّعْوَةِ، وَتَمَكُّنِ المُسْلِمِينَ مِنْ نَشْرِهَا، وَمُكَاتَبَةِ الرَّسُولِ لِلْمُلُوكِ، وَتَفَرُّغِ الجَيْشِ لِتَطْهِيرِ مَا بَقِي بِأَطْرَافِ المَدِينَةِ مِنْ جَرَاثِيمِ الفَسَادِ اليَهُودِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ الشَّرطَ الَّذِي رآهُ غَالِبُ المُسْلِمِينَ مُجْحِفاً. كَانَ ضَرَرُهُ عَلَى العَدُوِّ أَعْظَمَ، وَفَائِدَتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ وَسَيَأْتِي أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ وَأَبَا جُنْدُلٍ أَلَّفَا عِصَابَةً أَضَرَّتْ بِقُرَيْشٍ حَتَّى طَلَبُوا إِبْطَالَ ذَلِكَ الشَّرطِ وظَهَرَ بِذَلِكَ عَجْزُهُمْ. وَاتَّضَحَ للنَّاسِ بَاطِلُهُمْ، فَهَرَعُوا إِلَى الإِسْلاَمِ، حَتَّى تَأَلَّفَ مِنْهُمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ بَلَغَ عَدَدُهُ عَشْرَةَ آلافِ مُقَاتِلٍ بِكَمَالِ الاسْتِعْدَادِ، وَبِهِ حَصَلَ فَتْحُ مَكَّةَ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مَعَ أَنَّهُمْ يَوْمَ الأَحْزَابِ آخِرَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ كَانَ عَدَدُهُمْ ثَلاثَةَ آلافٍ فَقَطْ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَالِمَاً بِمَا تَعْمَلُهُ اليَهُودُ مِنَ الدَّسَائِسِ، وَمَا تَسْعَى إِلَيْهِ مِنْ إِثَارَةِ الأَحْزَابِ ضِدَّ المُسْلِمِينَ،

ثُمَّ هُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِقَوْمِهِ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِمْ، فَرُبَّمَا كَانَ حَرْبُهُمْ سَبَباً لإِبَادَتِهِمْ (وَهُوَ ضَنِينٌ بِذَلِكَ) أَوْ كَانَ مُوجِباً لِتَوَسُّعِ دَائِرَةِ الحَرْبِ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَيَجِدُ اليَهُودُ بِذَلِكَ مِيدَاناً لإِثَارَةِ القَلاقِلِ، وَتَهييجِ القَبَائِلِ، فَاسْتَعْمَلَ ﷺ الرِّفْقَ وَاللِّينَ مَعَ قَوْمِهِ، وَوَفَّقَهُ اللَّهِ لِعَقْدِ تِلْكَ المُعَاهَدَةِ الَّتِي تَأْبَى عَنْهَا كِبَارُ أَصْحَابِهِ لِيُتِمَّ لَهُ تَطْهِيرُ أَطْرَافِ المَدِينَةِ مِنْ أُولَئِكَ المُفْسِدِينَ، فَكَانَ لَهُ مَا أَرَادَ مِمَّا سَنُحَرِّرُ مُلَخَّصَه إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ.

الفَصْلُ الخَامِسُ والسَّبْعُونَ

غَزْوَةُ الغَابَةِ وَأَوَّلُ مُطَارِدٍ عَلَى قَدَمَيْهِ لِلْفُزسَانِ

غَزْوَةُ الغَابَةِ وَأَوَّلُ مُطَارِدٍ عَلَى قَدَمَيْهِ لِلْفُرْسَانِ

بَعْدَ عَوْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، أَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ الَّذِي سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الأَحْمَقَ المُطَاعَ) عَلَى لَقَاحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَرْبَعِينَ فَارِساً، فَقَتَلَ رَاعِيتَهَا وَاسْتَاقَهَا مَعَ زَوْجَةِ الرَّاعِي، فَجَاءَ الخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَبَاحاً وَنَادَى مُنَادِيهِ:

«يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي»(١).

فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دِرْعِهِ وَلَحِقَهُ سَلَمَةُ ابْنُ الأَكْوَعِ الأَنْصَارِيُّ مَاشِياً عَلَى قَدَمَيْهِ، وَكَانَ مِنْ أَمْهَرِ الرُّمَاةِ يُسَابِقُ الخَيْلَ بِرِجْلَيْهِ، فَأَمَرَهُ الرَّسُولَ أَنْ يَلْحَقَ الفُرْسَانَ، وَيُشَاغِلَهُمْ بِالسِّهَامِ، فَلَمَّا لَحِقَهُمْ أَدْهَشَهُمْ بِإِصَابَةِ المَرْمَى، وَمَا زَالَ يُطَارِدُهُمْ حَتَّى اسْتَرَدَّ مِنْهُمْ جَمِيعَ اللِّقَاحِ، وَغَنِمَ ثَلاثِينَ بُرْداً قَذَفَهَا الفُرْسَانُ، وَفِي الْمَسَاءِ لَحَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذِي قَرْدَةَ وَتَلاَحَقَ الجَيْشُ.

فَقَالَ سَلَمَةُ: إِنَّ القَوْمَ عِطَاشٌ، وَلَوْ بَعَثْتَ مَعِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَائَةً مِنَ المُسْلِمِينَ لَجِئْنَاهُمْ بِهِمْ مَأْسُورِينَ.

---

(١) أخرجه ابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٤١٣)، وابن سعد في الطبقات: (٢/ ٥٨)، والهندي في كنز العمال: (٤٣٦٣).

أجابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**إِذَا مَلَكْتَ فَأَسْجَحْ**».

وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ مَعَ الجَيْشِ ظَافِرِينَ، وَفِي ذَلِكَ مَظَاهِرُ كَثِيرَةٌ مِنْ مَدلُولَيْ آيَتَي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[1]. و﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

تَمَّ الجِزْءُ الثَّانِي يَوْمَ السَّبْتِ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ١٣٥٥هـ الموافق ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٦ م.

(١) سورة القلم، الآية: (٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

الجِزءُ الثالث

من كِتاب زبدة السّيرة النّبويّة

أو

زُبدَة المُجمَلِ لِصَحِيحِ المَنقُولِ مِنْ تَارِيخ حَيَاةِ الرَّسُول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي شَهِدَتْ بِرُبُوبِيَّتِهِ جَمِيعُ المَخْلُوقَاتِ، وَأَقَرَّتْ بِأُلُوهِيَّتِهِ كَافَّةُ المَصْنُوعَاتْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَأَنْقَذَ الهَالِكِينَ، وَأَرْشَدَ الضَّالِّينَ، وَجَمَعَ شَتَاتَ المُتَفَرِّقِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَصْحَابِهِ الهُدَاةِ المُهْتَدِينَ.

أَمَّا بَعْدُ. فَقَدْ تَمَّ وَلِلَّهِ المِنَّةُ وَالحَمْد، الجِزْءُ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ «**زُبْدَةِ المُجْمَلِ لصحيح المنقول تَارِيخ حَيَاةِ سَيِّدِنَا الرَّسُولِ**» لَخَّصْتُ فِيهِ مَا وَقَعَ فِي الدَّور الخَامِسِ، وَهَذَا هُوَ الجُزْءُ الثَّالِثُ لَخَّصْتُ فِيهِ مَا وَقَعَ فِي الدَّوْرِ السَّادِسِ خَاتِمَةِ الأَدْوَارِ، يَتَّضِحُ لِلْقَارِىءِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِنْ حُسْنِ المُعَامَلَةِ وَالعَفْوِ عِنْدَ القُدْرَةِ، وَرِقَّةِ السِّيَاسَةِ، ثُمَّ لَخَّصْتُ جُزْءاً يَسِيراً فِي مُعَامَلَتِهِ المُؤَلَّفَةِ، وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الكَرِيمَةِ، وَالأَخْلاَقِ العَظِيمَةِ، وَخَتَمْتُ الكِتَابَ بِخَبَرِ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حَيِّزِ القَبُولِ، وَيُحْسِنَ لِيَ الخَاتِمَةَ فَذَلِكَ غَايَةُ القَصْدِ وَنِهَايَةُ المَأْمُولِ.

الفَصلُ السَّادِسُ وَالسَّبعُونَ

مُكَاتبتُهُ مُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ

مُكَاتَبَتُهُ المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ

فِي آخِرِ ذِي الحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ، كَاتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُلُوكَ وَالأُمَرَاءَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ وَالعُبُودِيَّةِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ العَذَابِ فِي العَاجِلِ وَالآجِلِ، وَكَانَتْ عِبَارَاتُ كُتُبِهِ تَخْتَلِفُ بِاعْتِبَارِ المُرسَلِ إِلَيْهِ فِي غَايَةٍ مِنَ الإِيجَازِ، غَيْرَ أَنَّهُ ﷺ اخْتَارَ لإِيصَالِهَا أَصْحَابَ الرَّأْيِ وَالدِّرَايَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ لِيَقُومُوا بِإِيضَاحِ كُلِّ مَا يُسْأَلُونَ عَنْهُ مِنْ مَهَامِّ الدِّينِ، وَقَد اتَّخَذَ لَهُ خَاتِماً مِنْ فِضَّةٍ يَخْتِمُ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

أَسْمَاءُ المَكْتُوبِ إِلَيْهِمْ

١ ـ هِرَقْلُ قَيْصَرُ الرُّوم.

٢ ـ المُقَوْقَسُ عَظِيمُ القِبْطِ.

٣ ـ النَّجَاشِي عَظِيمُ الحَبَشَةِ.

٤ ـ كِسْرَى عَظِيمُ فَارِسٍ.

٥ ـ الحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمِرٍ أَميرُ دِمَشْقَ.

٦ ـ المُنْذِرُ بْنُ سَاوَى مِلكُ البَحْرَيْنِ.

٧ ـ جَعفَرُ وعَبْدُ ابنَا الجَلَنْدِي مَلِكَا عُمَانْ.

٨ ـ هَوْذَةُ بْنُ عَلِيّ مَلِكُ اليَمَامَةِ بِنَجْدٍ.

٩ ـ أمِيرُ بُصْرَى جِهَةَ الشَّامِ.

أسْمَاءُ المُرْسَلَةِ مَعَهُمْ:

دِحْيَةُ بْنُ عُتْبَةَ الكَلْبِي.

حَاطِب بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ.

عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضُّمَرِي.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَة السَّهْمِي.

شُجَاعُ بْنُ وَهْبٍ.

العَلاءُ بْنُ الحَضْرَمِي.

عَمْرُو بْنُ العَاصِ.

سُلَيْطُ بْنُ عَمْرٍو العَامِرِيُّ.

الحَارِثُ بْنُ عُمَيْرٍ الأَزْدِي.

تَوَجَّهَت الرُّسُلُ بِالكُتُبِ وَأَوْصَلُوهَا إِلَى أَرْبَابِهَا، إِلاَّ الحَارِثَ ابْنَ عُمَيْرٍ الأَزْدِيَّ فَقَدْ تَعَرَّضَ لَهُ شَرَحْبِيلٌ الغَسَّانِيُّ وَقَتَلَهُ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهُ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمَّا وَصَلَتِ الكُتُبُ إِلى أَرْبَابِهَا حَصَلَتْ مِنْهُمْ مُحَاوَرَاتٌ مَعَ الرُّسُلِ وَاسْتِيضَاحَاتٌ عَنْ مَسَائِلَ فِي الدِّينِ، فَأَجَابُوهُمْ بِالجَوَابَاتِ الشَّافِيَةِ، فَأَسْلَمَ بَعْضُهُمْ، وَتَلَطَّفَ فِي

الجَوَابِ بَعْضُهُمْ، وَعَانَدَ بَعْضُهُمْ، فَالنَّجَاشِي، وَمَلِكُ البَحْرَينِ، وَمَلِكَا عُمَانِ، أَسْلَمُوا، وَكِسْرَى مَزَّقَ الكِتَابَ، وَصَاحِبُ اليَمَامَةِ شَرَطَ أَنْ يُشْرِكَهُ الرَّسُولُ فِي الأَمْرِ مَعَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُمَا، وَقَيْصَرُ، وَأَمِيرُ دِمَشْقَ، تَلَطَّفَا فِي الجَوَابِ، أَمَّا المُقَوْقَسُ فَقَدْ تَلَطَّفَ وَزَادَ عَلَى الجَمِيعِ بِإِرْسَالِ الهَدَايَا ثِياباً وَبَغْلَةَ سُمِّيَتْ دُلْدُلاً، وَجَارِيَتَيْنِ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَاهُمَا لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَاتَّخَذَ الثَّانِيَةَ سَرِيَّةً لَهُ فَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَلِذَلِكَ يُعَدُّ المِصْرِيُّونَ أَصْهَاراً لِسَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ.

حَوَادِثُ السَّنَةِ السَّابِعَةِ

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ

أَوَّلُ عِصَابَةٍ فِي الإِسْلاَمِ يَرْأَسُهَا أَبُو بَصِيرٍ

لَمَّا عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِلَى المَدِينَةِ مِنْ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ قَدِمَ إِلَيْهِ أَبُو بَصِيرٍ مُسْلِماً فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ رَجُلَيْنِ فِي طَلَبِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَهْداً، فَأَذْهَبَ مَعَهُمَا وَسَيَفرِجُ اللَّهُ عَنْكَ» فَامْتَثَلَ وَخَرَجَ مَعَهُمَا فَلَمَّا وَصَلُوا ذَا الحَلِيفَة، احْتَالَ فَأَخَذَ سَيْفَ أَحَدِهِمَا لِيَرَاهُ، وَضَرَبَهُ بِهِ فَمَاتَ وَهَرَبَ الآخَرُ إِلَى المَدِينَةِ فَرآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَعِراً فَأَخْبَرَهُ بِالخَبَرِ، وَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ وَفَيْتَ بِعَهْدِكَ وَقَدْ نَجَّانِي اللَّهُ مِنْهُمْ.

فَقَالَ ﷺ: **«وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ»**(١).

فَفَهِمَ أَبُو بَصِيرٍ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ، وَخَرَجَ إِلَى سَيْفِ البَحْرِ طَرِيقِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ وَتَفَلَّتَ إِلَيْهِ أَبُو جُنْدُلِ بْنُ سُهَيْلٍ العَامِرِي الَّذِي جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقْتَ عَقْدِ الهُدْنَةِ بِالحُدَيْبِيَةِ وَرَدَّهُ إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣/٢٥٧)، وأحمد في المسند: (٤/٣٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ٢٢١، و٢٢٢ و٢٢٦ و٢٢٨)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٤/ ١٠٧ و٦٧٣).

قُرَيْشٍ وَلَحِقَهُمَا جَمَاعَةٌ مِنْ مُسْلِمِي مَكَّةَ، فَأَلَّفُوا عِصَابَةً لِلإِغَارَةِ عَلَى عِيرِ قُرَيْشٍ فَقَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَيْهِم، لاَ تَمُرُّ عِيْرٌ لِقُرَيْشٍ إِلاَّ شَتَّتُوا شَمْلَ أَصْحَابِهَا وَغَنِموا مَا فِيهَا وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ العِيرِ الَّتِي فَازُوا بِهَا عِيرٌ يَرْأَسُها أَبُو العَاصِ زَوْجِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا حَقَّقَهُ العَلاَّمَةُ ابْنُ القَيِّمِ وَحَاصِلُ قِصَّةِ أَبِي العَاصِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي عِيرٍ بِهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ لِقُرَيْشٍ، فَعَدَتْ عَلَيْهِ عِصَابَةُ أَبِي بَصِيرٍ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى مَا فِيهَا فِي مَحَلٍّ يُسَمَّى العِيصَ أو الحَسَمَى وَهَرَبَ أَبُو العَاصِ إِلَى المَدِينَةِ وَاسْتَجَارَ بِزَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجَارَتْهُ وَأَخْبَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ أَبُو بَصِيرٍ بِإِجَازَةِ زَيْنَبَ فَرَدَّ كُلَّ مَا سَلَبَ حَتَّى الحِبَالَ وَالشِّنَانَ[1] وَقَبَضَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو العَاصِ وَرَجَعَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَأَعَادَ الأَمْوَالَ إِلَى أَهْلِهَا وَأَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ، وَرَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٍ بِذَلِكَ وَرَأَتْ شِدَّةَ شَكِيمَةِ العِصَابَةِ أَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَطْلُبُ مِنْهُ أن يَكُفَّ عَنْهُمْ شَرَّهَا وَأَنَّ كُلَّ مَنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ مُسْلِماً لاَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِم إِبْطَالاً لِشَرْطِ الحِدُيْبِيَةِ الَّذِي تَأَبَّاهُ المُسْلِمُونَ وَقَتْ عَقْدِ الهُدْنَةِ.

دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ العِصَابَةِ فَدَخَلُوا المَدِينَةَ آمِنِينَ، وَسُرَّ بِهِمْ جَمِيعُ المُسْلِمِينَ إِذْ سُرَّ بِهِم الرَّسُولُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ.

---

(١) الشنان: المفرد: الشَّنّ؛ أي: القربة الخلق الصغيرة يكون فيها الماء أبرد من غيرها.

الفَصلُ الثَّامِنُ وَالسَّبعُونَ

غَزوَةُ خَيبَرَ

غَزْوَةُ خَيْبَرَ

مِنْ مَجْمُوعِ مَا سَبَقَ يَعْلَمُ القارِىءُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَأْلُ جُهْداً فِي مُعَامَلَةِ اليَهُودِ، فَقَدْ عَاهَدَهُمْ حِيْنَ وُصُولِهِ المَدِينَةَ وَأَمَّنَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، ثُمَّ لَمَّا تَحَقَّقَ مَكْرَهُمْ حَاصَرَهُمْ مَعَ الذُّرِّيَّةِ وَالنِّسَاءِ وَذَلِكَ فِي بَنِي قَيْنُقَاعٍ وَالنَّضِيرَ، وَلَمَّ تَمَادُوْا فِي البَغْيِ وَسَاعَدُوا الأَعْدَاءَ مَرَّةً ثَالِثَةً عَامَلَهُمْ بِالشِّدَّةِ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَسَبَى ذُرِّيَّتَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ، وَذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ.

وَلَكِنَّ أُولَئِكَ الأَشْرَارَ لَمْ تَنْفَعْ فِيهِم المُجَامَلَةُ وَلَمْ يَرْتَدِعُوا بَالشِّدَّةِ، بَلْ لاَ يَزَالُونَ يَبُثُّونَ القَلاقِلَ، وَيُثِيرُونَ القَبَائِلَ، وَقَدْ تَحَقَّقَ أَمْرُهُمْ بِسَرِيَّةِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَنِي سَعْدٍ وَسَرِيَّةِ عَبدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ إِلَى أَسِيرِ بْنُ رِزامٍ السَّابِقِ ذِكْرُهُمَا، وَثَبَتَ تَحَدُّثُهُمْ بِقِتَالِ المُسْلِمِينَ فَلاَ يَنْبَغِي بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ جِوَارُهُمْ، بَلْ لا بُدَّ مِنْ تَطْهِيرِ أَطْرَافِ المَدِينَةِ مِنْهُمْ، لِذَلِكَ وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الحُدَيْبِيَةِ عِنَايَتَهُ لأَمْرِهِمْ وَوَعَدَهُ اللَّهُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ.

فَلَمْ يَمْكُثْ ﷺ فِي المَدِينَةِ إِلاَّ نَحْوَ شَهْرٍ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمَائَةٍ وَهُمْ مَنْ حَضَرَ الحُدَيْبِيَةِ مَعَهُ وَذَلِكَ أَوَّلَ مُحَرَّمٍ سَنَةَ

سَبْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَقَصَدَ مَدِينَةَ خَيْبَرَ فَحَاصَرَهَا أَيَّاماً ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً لِرَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ**»(١).

فَبَاتَ النَّاسُ يَتَذَاكَرُونَ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، وَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُلُّ رَئِيسٍ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ هُوَ الآخِذُ لَهَا فَقَالَ ﷺ:

«**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**». فَقَالُوا: يَشْكُو عَيْنَيْهِ، فَأَرسَلَ مَنْ أَتَى بِهِ إِلَيهِ وَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمَا فَبَرىء لِوَقْتِهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَتَقَدَّمَ، وَبَرَزَ لَهُ مَرْحَبُ أَحَدُ أَبْطَالِ اليَهُودِ فَقَتَلَهُ، وَحَصَلَ الفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ لأَحَدِ جَانِبَي خَيْبَرَ، وَتَحَصَّنَ أَهْلُ الجَانِبِ الثَّانِي، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَالَحُوهُ عَلَى حَقْنِ الدِّمَاءِ، وأَنْ يَخْرُجُوا مِنْ خَيْبَرَ بِذَرَارِيهِمْ وَالنِّسَاءِ وَيَتْرُكُوا جَمِيعَ الأَمْوَالِ وَالسِّلاحِ.

ثُمَّ صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ فَدَكٍ، وَتَيْمَاء، وَوَادِي القُرَى، بِمِثْلِ صُلْحِ أَهْلِ خَيْبَرَ، ثُمَّ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الغَنَائِمَ وَقَدِمَ فِي أَثْنَاءِ القِسْمَةِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَهُ مُهَاجِرُو الحَبَشَةِ.

وَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، وَقَدِمَ الدَّوسِيُّونَ فِيهِم أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأُعْطُوا مِنْ غَنَائِمِ خَيْبَرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤/ ٦٥ و٧٣)، والترمذي في سننه: (٣٧٢٤)، وابن ماجه في سننه: (١٢١)، وأحمد في المسند: (٤/ ٥٢).

الفصل التاسع والسبعون

غَزْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَبَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي غَطَفَانَ بِذَاتِ الرِّقَاعِ

غَزْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِبَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي غَطَفَانَ بِذَاتِ الرِّقَاعِ

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ إِلَى المَدِينَةِ، رَدَّ المُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ مَا كَانُوا أَعْطَوْهُ لَهُمْ مِنَ النَّخِيلِ حَيْثُ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ بِغَنَائِمِ خَيْبَرَ، إِلاَّ أُمَّ أَيْمَنَ فَلَمْ تَرْضَ بِرَدِّ مَا عِنْدِهَا حَتَّى أَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَانَ كُلِّ عِذْقٍ عَشَرَةً، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِمَ بِأَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ قَبَائِلِ نَجْدٍ يَتَجَمَّعُونَ لِحَرْبِهِ فِي جُمَادَى الأُولى وَمَعَهُ أَرْبَعَمَائَةٍ أَوْ سَبْعَمَائَةِ مُقَاتِلٍ حَتَّى وَصَلُوا دِيَارَ القَوْمِ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهَا غَيْرِ نِسْوَةٍ، فَأَسَرَهُنَّ الجَيْشُ، ثُمَّ اجْتَمَعَ جَمْعٌ مِنْ تِلْكَ القَبَائِلِ، وَتَقَارَبَ الفَرِيقَانِ، وَأَخَافَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الخَوْفِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ الرعْبَ فِي قُلُوبِ الأَعْدَاءِ وَتَفَرَّقُوا وَجِلِينَ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى المَدِينَةِ سَالِمِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَلَى مَا حَقَّقَهُ العَلاَّمَةُ ابْنُ القَيِّم، لأَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبَا مُوسَى شَهِدَاهَا وَإِنَّمَا هَاجَرَا بَعْدَ خَيْبَرَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ إِلَى هَوَازِنَ بِتَرَبَة فَوْقَ الطَّائِفِ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهَا فِي شَعْبَانَ وَمَعَهُ ثَلاثُونَ، يَسِيرُونَ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُونَ النَّهَارَ، فَلَمَّا وَصَلَهَا لَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَداً وَرجَعَ إِلَى المَدِينَةِ.

سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى بَنِي كَلْبٍ مِنْ فَزَارَةَ بِنَاحِيَةِ ضَرِيَّةَ جِهَةِ نَجْدٍ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهَا فِي شَعْبَانَ، فَهَاجَمَهُمْ وَقَتَلَ مِنْ قَتَلَ وَسَبَى مَنْ سَبَى، وَنَفَّلَ سَلَمَة بْنِ الأَكْوَعِ جَارِيَةً مِنْهُمْ فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفَكَّ بِهَا مِنْ قُرَيْشٍ أَسِيرَيْنِ مُسْلِمَيْنِ.

الفَصلُ الثَّمَانُونَ

سَرِيَّةُ بَشِيرِ بنِ سَعدِ الأَنْصَارِي إِلَى مُرَّةَ بِنَاحِيَةِ فَدَكٍ

سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الأَنْصَارِي إِلَى مُرَّةَ بِنَاحِيَةِ فَدَكٍ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَهَاجَمَهُمْ وَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَداً، فاسْتَاقَ مَا وَجَدَ مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ القَوْمُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً، قُتِلَ فِيهِ جَيْشُهُ وَنَجَا بَشِيرٌ جَرِيحاً إِلَى المَدِينَةِ.

سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ اللَّيْثِي إِلَى أَهْلِ المَيْفَعَةِ جِهَةَ نَجْدٍ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي رَمَضَانَ وَمَعَهُ مَائَتَانِ وَثَلاثُونَ رَجُلاً فَهَاجَمَ القَوْمَ، فَقَتَلَ وَأَسَرَ وَكَانَ مَعَهُ فِي الجَيْشِ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطَارَدَ مُشْرِكاً وَلَمَّا لَحِقَهُ نَطَقَ بِلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَتَلَهُ أُسَامَةُ، وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَعَاقَبَ أُسَامَةَ فَأَجَابَهُ: بِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِنَ القَتْلِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَهَلاَّ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ**»[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: (٧/١٢٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٣٤٥٠)، والهندي في كنز العمال: (٤٠٤٥٤).

سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى بَنِي غَطَفَانَ وَحَيَّانَ وَيُمْنٍ قُرْبَ خَيْبَرَ

عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ غَطَفَانَ تَتَجَمَّعَ لِحَرْبِهِ وَقَدْ وَاعَدَهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصنٍ الفَزَارِي، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ بَشِيراً فِي ثَلاثِمَائَةٍ فَأَغَارَ عَلَى سَرْحِهِمْ، وَاسْتَاقَ نَعَمَهُمْ، وَفَرَّتْ تِلْكَ القَبَائِلُ.

وَعِنْدَ عَوْدِهِ التَقَى بِعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ يُرِيدُ الانْضِمَامَ إِلَى غَطَفَانَ مَعَ جَيْشٍ مِنَ الفُرْسَانِ فَقَاتَلَهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّى وَلُّوا مُدْبِرِينَ. وَرَآهُمُ الحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فَقَالَ لِعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْن: أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ وَطِيء البِلادَ وَأَنْتَ تَسِيرُ عَلَى غَيْرِ هُدَى وَرَشَادٍ؟!!..

الفَصلُ الحَادِي وَالثَّمَانُونَ

عُمرَةُ القَضَاءِ

عُمْرَةُ القَضَاءِ

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ لِعُمْرَةِ القَضَاءِ فِي شَهْرِ ذِي القُعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ، وَخَرَجَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مُدَجَّجُونَ بِالسِّلاَحِ، وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَكَّةَ وَضَعُوا جَمِيعَ أَسْلِحَتِهِمْ مَا عَدَا السُّيُوفَ فِي القُرَبِ وَجَعَلُوا عَلَيْهَا حُرَّاساً، وَخَرَجَ رِجَالُ المُشْرِكِينَ مِنْ مَكَّةَ حَنَقاً وَغَيْظاً لِكَيْلا يَرَوْهُ طَائِفاً، فَدَخَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَطَافُوا بِالبَيْتِ يَرْمِلونَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَقَلِّداً سَيْفَهُ يَرْتَجِزُ بِقَوْلِهِ:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ فِي تَنْزِيلِهِ
فِي صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِهِ ... يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
إِنِّي رَأَيْتُ الحَقَّ فِي قَبُولِهِ ... اليَوْمَ نُقْرِيكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ

وَأَقَامُوا بِهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْ يَأْذَنُوا لَهُ فِي الإِقَامَةِ أَيَّاماً أُخَرَ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَطَالَبُوهُ بِالخُرُوجِ حَسْبَ مُقْتَضَيَاتِ شُرُوطِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى المَدِينَةِ وَفَاءً

بِعَهْدِهِ، وَبَرّاً بِوَعْدِهِ، وَتَبِعَتهُ وَقْتَ خُرُوجِهِ عَمَارَةُ بِنْتُ حَمْزَةَ فَأَمَرَ بِحَمْلِهَا، وَتَخَاصَمَ فِيهَا جَعْفَرٌ وَعَلِيٌّ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ كُلٌّ يُرِيدُهَا عِنْدَهُ، فَحَكَمَ بِهَا لِجَعْفَرَ لأَنَّ خَالَتَهَا تَحْتَهُ.

وَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَحْو خَمْسَةَ عَشَرَ مَيْلاً مِنْ مَكَّةَ بَاتَ بِهَا، وَبَنَى عَلَى زَوْجَتِهِ مَيْمُونَةَ فِيهَا، لأَنَّهُ عَقَدَ عَلَيْهَا فِي مَكَّةَ ثُمَّ ارْتَحَلَ بِمَنْ مَعَهُ مَسْرُورِينَ.

وَبَعْدَ عَوْدِهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ المَخْزُومِيُّ، وَعُثْمَانَ بْنُ طَلْحَةَ العَبْدَرِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ العَاصِ السَّهْمِيُّ مُسْلِمِينَ وَفَرِحَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِسْلاَمِهِمْ.

هَكَذَا قَالَ أَهْلُ السِّيَرِ إِنَّ إِسْلاَمَ عَمْرٍو كَانَ بَعْدَ عُمْرَةِ القَضَاءِ وَلَكِنَّ هَذَا يُنَافِي مَا سَبَقَ أَنَّهُ كَانَ حَامِلَ كِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَلِكَي عُمَانِ وَذَلِكَ بَعْدَ الحُدَيْبِيَةِ فِي آخِرِ ذِي الحِجَّةِ، فَلَعَلَّ كِتَابَ مَلِكَيْ عُمَانِ لَمْ يُكْتَب إِلاَّ بَعْدَ عُمْرَةِ القَضَاءِ، وإِنَّ إِسْلاَمَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ كَانَ قَبْلَ إِرْسَالِ الكُتُبِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

حَوَادِثِ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ

الفَصْلُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ

سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ إِلَى بَنِي المُلَوَّحِ بِالْكَدِيدِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَفَرَ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ قُدَيْداً[1] فَصَادَفَ الحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ اللَّيْثِيَّ وَأَسَرَهُ وَهَاجَمَ مَحَلَّةَ القَوْمِ، وَاسْتَاقَ النَّعَمَ وَالشِّيَاهَ، فَعَلِمَ القَوْمُ وَأَقْبَلَ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا لا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَطَفَ بِهِمْ فَأَرْسَلَ سَيْلاً عَظِيماً حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِم.

سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكٍ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَائَتَي رَجُلٍ لِيَقْتَصَّ مِنْ قَتَلَةِ سَرِيَّةِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ، فَسَارَ فِي شَهْرِ صَفَرَ حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيباً مِنَ القَوْمِ آخَى بَيْنَ الجُنْدِ وَقَالَ:

«لايُفَارِقْ كُلَّ مِنكُمْ أَخَاهُ وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَرْجِعَ أَحَدُكُمْ فَأَسْأَلَهُ عَنْ صَاحِبِهِ فَيَقُولُ لا أَدْرِي».

---

(١) قديد: موضع قرب مكة، لما رجع تبع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديداً فهبّت ريح قدّت خيام أصحابه فسُمي قديداً.

ثُمَّ جَرَّدُوا سُيُوفَهُمْ وَكَبَّرُوا فَاستأْصَلُوا العَدُوَّ قَتْلاً وَأَسْراً وَغَنِمُوا النَّعَمَ.

سَرِيَّةُ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ الأَسَدِي إِلَى بَنِي عَامِرٍ

فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ المَذْكُورَةِ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلاً فَخَرَجَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النهار حَتَّى صَبَّحَهُمْ وَهُمْ غَافِلُونَ بِمَحَلٍّ قُرْبَ رُكْيَةَ مِنْ أَرْضِ هَوَازِنٍ فَأَصَابُوا نَعَماً وَشِيَاهاً وَعَادُوا سَالِمِينَ.

سَرِيَّةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ الغِفَارِيّ إِلَى ذَاتِ أَطْلاحٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ مُقَاتِلاً فَوَجَدُوا جَمْعاً كَثِيراً دَعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَلَمْ يُجِيبُوا بَلْ هَاجَمُوا المُسْلِمِينَ حَتَّى اسْتُشْهِدُوا إِلاَّ رَئِيسَهُمْ فَإِنَّهُ نَجَا وَأَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالخَبَرِ.

الفَصلُ الثَّالثُ وَالثَّمانُونَ

سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارِثَةَ إِلَى الغَسَّانِيِّينَ الَّذِينَ قَتَلُوا رَسُولَ النَّبِيِّ أَمِيرِ بُصرَى

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الغَسَّانِيِّينَ الَّذِينَ قَتَلُوا رَسُولَ النَّبِيِّ أَمِيرِ بُصْرَى وَتُسَمَّى سَرِيَّةَ مُؤْتَةَ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُمَادَى الأُولَى جَيْشاً مُؤَلَّفاً مِنْ ثَلاَثَةِ آلافٍ أَمَّرَ عَلَيْهِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ:

«إِنْ أُصِيبَ فَالأَمِيرُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ»(١).

ثُمَّ أَوْصَاهُمْ بِأَنْ لا يَتَعَرَّضُوا لِمَنْ فِي الصَّوامِعِ وَلاَ لِلمَرْأَةِ وَالصَّغِيرِ، وَأَنْ لاَ يَقْطَعُوا الشَّجَرَ وَلاَ يَهدِمُوا البِنَاءَ.

سَارَ الجَيْشُ حَتَّى وَصَلُوا مُؤتَةَ(٢) فَوَجَدُوا الرُّوم قَدْ جَمَعُوا جَمْعاً عَظِيماً، فَتَشَاوَرُوا فِي الأَمْرِ، وَتَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِكَلاَمٍ حَسَنٍ جِدّاً، فَقَرَّرُوا القِتَالَ، وَتَقَابَلَ الجَيْشَانَ، وَحَمِيَ الوَطِيسُ حَتَّى اسْتُشْهِدَ زَيْدٌ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ، وَتَقَابَلَ الجَيْشَانَ وَحَمِيَ الوَطِيسُ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ وَاقْتَحَمَ بِفَرَسِهِ

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٠٠)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٦٢٠٢).
(٢) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام.

المَعْمَعَةَ وَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ[1].

وَهَمَّ المُسْلِمُونَ بِالتَّقَهْقُرِ فَخَطَبَهُمْ عُتْبَةُ بْنُ عَامِرٍ فَتَرَاجَعُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى تأمِيرِ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ الشَّهْمِ البَاسِلِ، فَقَاتَلَ حَتَّى آخِرَ النَّهَارِ وَرَجَعَ كُلٌّ مِنَ الجَيْشَيْنِ إِلَى مُخَيَّمِهِ وَصَبَاحاً عَبَّأَ خَالِدُ الجَيْشَ وَرَتَّبَ الجُنْدَ تَرْتِيباً مُحْكَماً وَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ يُنَاوِشُ الأَعْدَاءَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَحَاجَزَ الفَرِيقَانِ، وَأَحْجَمَ جَيْشُ المُشْرِكِينَ العَظِيمُ عَنْ مُهَاجَمَةِ ذَلِكَ الجَيْشِ الصَّغِيرِ، وَانْقَطَعَ القِتَالُ وَرَجَعَ خَالِدٌ بِالجَيْشِ إِلَى المَدِينَةِ.

وَفِي اليَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الوَقْعَةِ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ بِاسْتِشْهَادِ زَيْدٍ وَجَعْفَرَ وَابْنِ رَوَاحَةَ وَبِأَخْذِ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدٍ الرَّايَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

---

(١) قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

فلا يبعدنّ الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيدٌ وعبد الله هم خير عصبةٍ تواصَوْا وأبواب المنيّة تنظر

الفَصلُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ

سَرِيَّةُ ذَاتِ السَّلاسِلِ وَرَاء وَادِي القُرَى

سَرِيَّةُ ذَاتِ السَّلاسِلِ وَرَاءُ وَادِي القُرَى

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَمْرو بْنِ العَاصِ فِي ثَلاثِمَائة إِلَى بَنِي قُضَاعَةَ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ دِيَارِ القَوْمِ، عَلِمَ كَثْرَتَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِدُّهُ، فَأَمَدَّهُ بِأَبِي عُبَيْدَةَ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ سُرَاةِ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَوْصَى أَبَا عُبَيْدَةَ بِالاتِّفَاقِ مَعَ عَمْرٍو وَأَنْ لا يَخْتَلِفَا، فَلَمَّا لَحِقَ عَمْراً قَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنْتَ الأَمِيرُ وَأَنَا أُصَلِّي بَالنَّاسِ.

أَجَابَهُ عَمْرٌو بِقَوْلِهِ: أَنْتَ مَدَدٌ تَابِعٌ وَأَنَا الأَمِيرُ أُصَلِّي بِهِمْ.

فَوَافَقَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ رَغْماً عَنْ رَغْبَةِ كِبَارِ جَيْشِهِ فِي عَدَمِ المُوَافَقَةِ، ثُمَّ سَارَ عَمْرٌو بِالجَيْشِ وَهَاجَمَ العَدُوَّ وَمَزَّقَ شَمْلَهُمْ، وَأَرَادَ الجَيْشُ وَقْتِ فِرَارِ المُشْرِكِينَ اقْتِفَاءَهُم فَمَنَعَهُمْ عَمْرٌو، وَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَاشْتَدَّ البَرْدُ وَأَرَادَ المُسْلِمُونَ إِيقَادَ نَارٍ للتَّدْفِئَةِ مَنَعَهُمْ عَمْرو وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ احْتَلَمَ عَمْرو فَلَمَّا أَصْبَحَ غَسَلَ مَغَابِينَه وَتَوَضَّأَ وَقِيلَ: تَيَمَّمَ وَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَلَمَّا عَادَ الجَيْشُ إِلَى المَدِينَةِ وَأَخْبَرُوا رَسُولَ الله ﷺ بِمَا وَقَعَ مِنْ عَمْرٍو فَسَأَلَ ﷺ عَمْراً عَمَّا وَقَعَ مِنْهُ، فَقَالَ: مَنَعْتُهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ العَدُوِّ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ كَمِينٌ، وَعَنْ

إِيقَادِ النَّارِ لِئلا يَرَى العَدُوُّ قِلَّتَهُمْ، وَخَشِيتُ البَرْدَ فَصَلَّيْتُ جُنُباً لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[1] فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ.

سَرِيَّةُ الخَبْط أَوْ سَيْف البَحْر

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَجَبٍ أَبَا عُبَيْدَةَ وَمَعَهُ ثَلاثُمَائَةِ مُقَاتِلٍ إِلَى حَيٍّ مِنْ جُهَيْنَةَ جِهَةِ سَيْفِ البَحْرِ، فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ مَحَلَّهُمْ فَوَجَدَهُمْ قَدْ تَفَرَّقُوا، فَأَقَامَ الجَيْشُ نَحْوَ نِصْفِ شَهْرٍ يُرَاقِبُونَ حَرَكَاتِ العَدُوِّ، وَكَانَ النَّاسُ فِي جَدْبٍ فَفَنِيَ مَا مَعَهُمْ مِنَ الزَّادِ حَتَّى أَكَلُوا الخَبْطَ ـ وَرَقِ الشَّجَرِ ـ وَكَانَ فِي الجَيْشِ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَنَحَرَ لَهُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ كُلَّ يَومٍ ثَلاثَ جُزُرٍ أَخَذَهَا دَيْناً، وَأَرَادَ أَنْ يَنْحَرَ فِي الرَّابِعِ فَمَنَعَهُ الأَمِيرُ، وَرَزَقَهُمُ اللَّهُ سَمَكَةً عَظِيمَةً أَكَلُوا مِنْهَا أَيَّاماً وَعَادُوا إِلَى المَدِينَةِ فَأَهْدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً مِنْهَا، وَسُرَّ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِمَا عَمِلَهُ قَيْسٌ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

فَتْحُ مَكَّةَ

لَمَّا أَتَمَّ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ الظَّفَرَ وَغَنِمَ أَمْوَالَ خَيْبَرَ وَاسْتَكْمَلَ فِي المُسْلِمِينَ العَدَدَ وَتَوَفَّرَتْ لَدَيْهِم العُدَد، كَانَ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ وَقَعَتْ حَرْبٌ بَيْنَ خُزَاعَةَ حُلَفَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَنِي بَكْرٍ حُلَفَاءَ

(١) سورة البقرة، الآية: (١٩٥).

قُرَيْشٍ فَسَاعَدَتْهُمْ قُرَيْشٌ حَتَّى انْهَزَمَتْ خُزَاعَةُ، وَدَخَلَتْ الحَرَمَ، وَكَانُوا بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ نَاقِضِينَ شُرُوطَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ فَقَدِمَ وَفْدٌ مِنْ خُزَاعَةُ يُطَالِبُ النَّبِيّ بِنَصْرِهِمْ حَسْبَ عَهْدِهِ مَعَهُمْ، وَأَنْشَدَهُ رَئِيسُهُمْ:

يَـا رَبِّ إِنِّـي نَـاشِـدٌ مُـحَـمَّـدا حِـلْـفَ أَبِـيـنَـا وَأَبِـيـهِ الأَتْـلَـدَا

فَـانْـصُـر هَـدَاكَ الـلَّـهُ نَـصْـراً أَبَّـدا وَادْعُ عِـبَـادَ الـلَّـهِ يَـأْتُـوا مَـدَدا

فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ**»(١) وَأَمَرَهُ بِالرُّجُوعِ وَالكِتْمَانِ، ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشاً نَدِمَتْ عَلَى مَا صَنَعَتْ، وَأَرْسَلَتْ أَبَا سُفْيَانَ إِلَى المَدِينَةِ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلاَ قَبِلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ لَمَّا حَصَلَ هذَا كُلُّهُ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَادِرَ بِغَزْوِ قُرَيْشٍ وَتَخْلِيصِ المُؤْمِنِينَ مِنْ شَرِّهِم، فَأَمَرَ بِالتَّأَهُّبِ لِلسَّفَرِ وَكِتْمَانِ الأَمْرِ بُغْيَةَ أَنْ يُبَاغِتَ قُرَيْشاً قَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدُّوا لِلدِّفَاعِ.

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ يَوْمَ عَشَرَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صَائِماً وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلافٍ مُقَاتِلٍ صَائِمُونَ، وَلَمَّا وَصَلَ الجُحْفَةَ لاقَاهُ عَمّهُ العَبَّاسَ مُهَاجِراً بِأَهْلِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«**هِجْرَتُكَ يَا عَمّ آخِرُ هِجْرَةٍ كَمَا أَنَّ نُبُوَّتِي آخِرُ نُبُوَّةٍ**» وَلَمَّا وَصَلَ الأَبْوَاءَ لَقِيَهُ سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَعَبْدُ

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ٢٣٤)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٥/ ٧)، وابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٥٢٠)، والهندي في كنز العمال: (٣٠١٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٢١٥).

اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ المخْزُومِي مِنْ عَاتِكَةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لاَ يَكُنِ ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ أَشْقَى النَّاسِ بِكَ وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابْنِ الحَارِثِ: ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ وَقُلْ لَهُ مَا قَالَ أَخُوهُ يُوسُفَ: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾[1] فَفَعَلَ ذَلِكَ فَقَالَ ﷺ:

«لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»[2].

ثُمَّ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانَ وَأَمَرَ الجَيْشَ أَنْ يُوقِدُوا النِّيرَانَ، وَجَعَلَ عَلَى الحَرَسِ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ رَكِبَ العَبَّاسُ بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ يَلْتَمِسُ أَحَداً لِيُخْبِرَ قُرَيْشاً فَيَسْتأْمِنُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَظَفَرَ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَظَفِرَ الحُرَّاسُ بِحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، وَبَدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ، وَتَقَاعَسَ أَبُو سُفْيَانَ ثُمَّ أَسْلَمَ وَطَلَبَ لَهُ العَبَّاسُ مِيزَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»[3].

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ العَبَّاس أَنْ يَحْبِسَ أَبَا سُفْيَانَ بِمَضِيقِ

---

(١) سورة يوسف، الآية: (٩١).

(٢) أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٣/ ١٧٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (٢/ ٢٩٢ و٥٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٦/ ٣٤ و٩/ ١١٧ و١١٨ و١٧١)، والطبراني في المعجم الكبير: (٨/ ٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ١٦٩ و١٧٠ و١٧١ و١٧٥)، والدارقطني في سننه: (٣/ ٦٠).

الوَادِي حَتَّى تَمُرُّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ، فَفَعَلَ وَمَرَّتِ القَبَائِلَ بِرَايَاتِهَا، وَأَبُو سُفْيَانَ يَسْأَلُ العَبَّاسَ عَنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ حَتَّى إِذَا مَرَّتِ الكَتِيبَةُ الَّتِي بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ عَظِيماً!.. فَقَالَ لَهُ العبَّاسُ: وَيْحَكَ إِنَّهَا النُّبُوَّةُ فَالنَّجَاةَ إِلَى قَوْمِكَ. فَمَضَى أَبُو سُفْيَانَ يُنَادِي بِمَكَّةَ بِمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى دَنَى مِنْ مَكَّةَ وَأَمَرَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ أَنْ يَحْمِلَ رَايَتَهُ وَيَدْخُلَ مَكَّةَ مِنْ أَسْفَلِهَا وَقَالَ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ:

«إِنْ عَرَضَ لَكُمْ أَحَدٌ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْداً».

فَدَخَلَ خَالِدٌ مِنْ كُدَي (أسفَلَ مَكَّةَ) وَتَعَرَّضَ لَهُ بَعْضُ الأَوْبَاشِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى انهَزَمُوا.

وَدَخَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ السَّابِعِ أَوِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأَمَرَ كُلَّ قَبِيلَةٍ أَنْ تَحْمِلَ رَايَتَهَا، وَدَخَلَ مِنْ أَعْلىٰ مَكَّةَ أَمَامَهُ، وَكَانَ رَاكِباً نَاقَتَهُ القُصْوَاء مُرْدِفاً خَلْفَهُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ خَافِضاً رَأْسَهُ تَوَاضُعاً لِلَّهِ وَخَشْيَةً، وَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَسْجِدَ قَالَ: **«لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ»**.

ثُمَّ طَافَ بِالبَيْتِ وَدَخَلَ دَارَ أُمّ هَانِىء بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا قَدْ أَجَارَتْ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ أَهْدَرَ دَمَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ**

هَانِىء»[١]. ثُمَّ نَهَضَ إِلَى المَسْجِدِ وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ يَذْعَنُ بِهَا الأَصْنَامِ وَيَقُولُ:

«جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ»[٢].

وَأَمَرَ بِهَدْمِهَا جَمِيعاً، وَكَانَتْ ثَلاثِمَائَةٍ وَسِتِّينَ صَنَماً، ثُمَّ دَخَلَ الكَعْبَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنْ صُورٍ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَد اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي المَسْجِدِ فَوَقَفَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بَكُم اليَوْمَ؟**» قَالُوا: أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ فَقَالَ لَهُمْ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ**»[٣]؛ أي: الَّذِينَ أُطْلِقُوا فَلَمْ يُؤْسَرُوا وَلَمْ يُسْتَرَقُّوا، عِنْدَ ذَلِكَ أَسْلَمُوا وَطَلَبُوا مِنْهُ العَفْوَ فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: «**لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**»[٤].

وَفِي هَذِهِ القِصَّةِ مَظَاهِرُ كَثِيرةٌ مِنْ مَدْلُولِ آيَتَي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[٥] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (١/ ١٠٠) و(٤/ ١٢٢) و(٨/ ٤٦)، وأحمد في المسند: (٦/ ٣٤١ و٣٤٢ و٣٤٣ و٤٢٣ و٤٢٥)، وأبو داود في سننه: (٢٧٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ٩٥)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٥ و٣٥)، ومالك في الموطأ: (١٥٢).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٨١).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ١١٨).

(٤) أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٣/ ١٧٩).

(٥) سورة القلم، الآية: (٤).

(٦) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

الفَصلُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ

قُوَّةُ الإِسلاَمِ بِإِسلاَمِ قُرَيشٍ وَحِكْمَةُ تَأَخُّرِ إِسلاَمِ أَكْثَرِهِم

قُوَّةُ الإِسْلاَمِ بِإِسْلاَمِ قُرَيْشٍ وَحِكْمَةُ تَأَخُّرِ إِسْلاَمِ أَكْثَرِهِمْ

بِفَتْحِ مَكَّةَ وَإِسْلاَمِ قُرَيْشٍ انْتَقَلَ الإِسْلامُ إِلَى الدَّوْرِ الأَعْلَى مِنَ القُوَّةِ وَالعِزَّةِ، وَقُضِيَ عَلَى العَقَائِدِ الوَثَنِيَّةِ القَضَاءَ الأَخِيرِ بِالجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً.

وَهَهُنَا يَحْسُنَ أَنْ نَذْكُرَ حِكْمَةَ تَأَخُّرِ قُرَيْشٍ عَنِ الإِسْلاَمِ وَعِنَادِهِمْ لِلنَّبِي ﷺ طِوَالَ هَذِهِ المُدَّةِ مَعَ أَنَّهُمْ ذَوُو الذَّكَاءِ وَالفَصَاحَةِ، وَأَصْحَابُ الشَّجَاعَةِ وَالسَّمَاحَةِ، وَمَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ رَسُولَهُ مِنْهُمْ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ العَامَّ بِلِسَانِهِمْ، وَهُمْ أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى فَهْمِ مَعَانِيهِ الدَّقِيقَةِ فَنَقُولُ: لَعَلَّ حِكْمَةَ تَأَخُّرِ قُرَيْشٍ هِيَ:

أَوَّلاً: إِنَّ المُعَارَضَةَ وَقَعَتْ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مِنْ قَوْمِهِمْ فَهِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَهِيَ عَادَةُ الأُمَمِ مَعَ جَمِيعِ الرُّسُلِ.

ثَانِياً: إِنَّ المُعَارَضَةَ وَالمُقَاوَمَةَ تَكُونُ عَادَةً سَبَباً لِشُيُوعِ الأَمْرِ وَانْتِشَارِهِ فَقَضَى اللَّهِ بِذَلِكَ لِحِكْمَةٍ يُدْرِكُهَا أُولُوا الأَلْبَابِ.

ثَالِثاً: إِنَّ الاسْتِقْلاَلَ وَالحُرِّيَّةَ مِنْ غَرَائِزِ العَرَبِ الطَّبِيعِيَّةِ،

وَقُرَيْشٌ لَهُمُ السِّيَادَةُ عَلَى العَرَبِ، فَتَقَاعَسُوا خَوْفاً عَلَى اسْتِقْلاَلِهِمْ وَهَدْمِ مَجْدِهِم.

رَابِعاً: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانِهِ وَتَعَالَى صَرَفَهُمْ عَنِ الإِسْلاَمِ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ لِئَلا يُقَالَ:

إِنَّ مُحَمَّداً وَقَوْمَهُ اتَّفَقُوا عَلَى تَأْسِيسِ مُلْكٍ فَقَاتَلُوهُ ﷺ تِلْكَ المُدَّةَ وَحَارَبُوهُ حَتَّى عَلِمَ مَنْ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا أَنه ﷺ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ الصَّحِيحِ، عِنْدَ ذَلِكَ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلإِسْلام، وَبِذَلِكَ انْتَفَتْ تِلْكَ التُّهْمَةُ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً.

ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشاً بَعْدَ ذَلِكَ ثَبَتُوا عَلَى الإِسْلام أَكْمَلَ ثَبَاتٍ وَحَمَلُوا رَايَاتِهِ وَقَامُوا بِنَشْرِ دَعْوَتِهِ إِلَى سَائِرِ الجِهَاتِ، لِذَلِكَ جُعِلَتِ الخِلافَةُ فِيهِمْ وَقَامُوا بِأَعْبَائِهَا أَتَمَّ قِيَامٍ عَلَى مُشَرِّفِهِمْ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وأَصْحَابِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفصل السابع والثمانون

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مُتَذَكِّراً مَا مَرَّ عَلَيْهِ فِيهَا إِلَى أَنْ أَعَادَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ظَافِراً بَعْدَ أَنْ أَخْرَجُوهُ مِنْهَا مُكْرَهاً، وَقَالَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا: «**وَاللَّهِ إِنَّكِ لأَحَبُّ البِلادِ إِلَيَّ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(١).

ثُمَّ إِنَّ قَبَائِلَ العَرَبِ قَابَلَتْ هَذَا الانْتِصَارِ بِكُلِّ خُضُوعٍ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّرَايَا لِهَدْمِ الأَصْنَامِ الَّتِي فِي القُرَى، فَهُدِمَتْ غَيْر أَنَّ قَبِيلَتَي هَوَازِنَ وَثَقِيفَ جَمَعُوا جُمُوعَهُمْ وَرَأَّسُوا عَلَيْهِمْ مَالِك ٢بْنِ عَوْفٍ وَخَرَجُوا بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ يُرِيدُونَ قِتَالَ النَّبِيِّ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ الجَيْشُ الظَّافِرِ عَشَرَةُ آلافٍ وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنْ مُسْلِمِي قُرَيْش نَحْوُ أَلْفَيْنِ فَقَالَ بَعْضُ شُبَّانَ الجَيْش:

---

(١) أخرج بنحوه الترمذي في سننه: (٣٩٢٥)، وابن ماجه في سننه: (٣١٠٨)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٧ و٤٣١)، وأحمد في المسند: (٤/ ٣٠٥)، والدارمي في سننه: (٢/ ٢٣٩)، وابن عبد البر في التمهيد: (٢/ ٢٨٨ و٢٨٩) و(٦/ ٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور: (١/ ١٢٣)، والهندي في كنز العمال: (٣٤٧٠٦) و(٣٨٠٤٠) و(٣٤٦٥٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٤/ ٢٨٣)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: (٤/ ٩).

لَنْ نُغْلَبَ اليَوْمَ عَنْ قِلَّةٍ وَلَمَّا وَصَلَ جَيْشُ المُسْلِمِينَ وَادِي حُنَيْنٍ بَاغَتَهُمْ العَدُوُّ، وَلَمَّا التَقَى الجَيْشَانِ ثَبَتَتْ هَوَازِنُ وَثَقِيفٌ فَقَاتَلُوا قِتَالَ المُسْتَمِيتِ فَفَرَّ الجَيْشُ العَظِيمُ وَلَمْ يَثْبُتْ مَعَ النَّبِيِّ إِلاَّ نَحْوُ عَشَرَةٍ فِيهِمْ عَلِيٌّ وَالعَبَّاسُ، وَكَانَ العَبَّاسُ جَهُورِيَّ الصَّوْتِ فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُنَادِي فِي النَّاسِ فَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ هَلُمُّوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَرَاجَعُوا، وَحَمِيَ الوَطِيسُ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَغْلَتِهِ وَأَقْبَلَ عَلَى العَدُوِّ وَهُوَ يَقُولُ: «**أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ**»(١). ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ رَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الأَعْدَاءِ، فَانْهَزَمُوا مُدْبِرِينَ لاَ يَلْوُونَ عَلَى مَالٍ وَلاَ نِسَاءٍ وَلاَ بَنِينَ، وَوُثِقَ الأَسَارَى يَوْمَئِذٍ فِي الحِبَالِ، وَغَنِمَ المُسْلِمُونَ جَمِيعَ ذَلِكَ. وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الوَاقِعَةِ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤/ ٣٧ و٥٢ و٨١ و١٩٥ و٢٢٤)، وأبو داود في سننه: (٤٨٧)، والترمذي في سننه: (١٦٨٨)، وأحمد في المسند: (١/ ٢٦٤)، و(٢٨٠ و٢٨١ و٢٨٩ و٣٠٤)، والدارمي في سننه: (١/ ١٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ١٥٥)، والهندي في كنز العمال: (٣٠٢٠٦) و(٣٠٢٠٧) و(٣٠٢١٩) و(٣١٨٧٢).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٢٥ ـ ٢٦).

الفَصلُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ

قِسمَةُ الغَنَائِمِ وَحِصَارُ الطَّائِفِ وَعُمرَةُ الجِعرَانَةَ

قِسْمَةُ الغَنَائِمِ وَحِصَارُ الطَّائِفِ وَعُمْرَةُ الجِعْرَانَةِ

لَمَّا انْهَزَمَ مُشْرِكُو هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُجْمَعَ الغَنَائِمُ فِي الجِعِرَانَةَ مَوْضِعٍ عَلَى ثَلاثَةَ عَشَرَ مَيْلاً مِنْ مَكَّةَ. وَكَانَ السَّبْيُ سِتَّةَ آلافٍ، وَالإِبِلُ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِين أَلفاً، وَالغَنَمُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلفاً، وَالفِضَّةُ أَرْبَعَةُ آلافِ أوقِيَّةً، فَأَرجأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِسْمَتَهَا إِلَى أَنْ مَضَتْ بِضْعُ عَشْرَةَ لَيْلَةَ رَجَاءَ أَنْ يُقْدُمَ عَلَيْهِ المُنْهَزِمُونَ، ثُمَّ بَدَا بِقِسْمَتِهَا فَأَعْطَى بَعْضَ المُؤَلَّفَةِ مِنْ مَائَةِ بَعِيرٍ وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنَ الفِضَّةِ وَبَعْضُهُمْ مِنْ مَائَةِ بَعِيرٍ فَقَطْ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ خَمْسَينَ بَعِيرٍ وَبَعْضُهُمْ مِنْ أَرْبَعِينَ فَتَكَلَّمَ النَّاسُ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ شِعْراً: [من البحر المتقارب]

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ العَبِيد بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ. وَقَالَ بَعْضُ شُبَّانِ الأَنْصَارِ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَدَعُنَا وَسُيوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَجَمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «**مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ مَعَاشِرَ الأَنْصَارِ؟**» فَقَالُوا: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ الشُّبَّانُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ**

وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ»[1]؟

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا.

وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ تَقْسِيمَ الغَنَائِمِ قَدِمَ وَفْدُ هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِالسَّبْيِ وَالأَمْوَالِ. فَقَالَ لَهُمْ: **«إِنَّكُمْ قَدْ أَبْطَأْتُمْ حَتَّى قَسَّمْتُ الغَنَائِمَ وَلَكِنِّي أَمُنُّ عَلَيْكُمْ بِالسَّبْيِ»** فَطَلَبَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَدَّهُ عَلَيْهِم.

ثُمَّ حَاصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّائِفَ وَلَمْ يَأْذَنَ اللَّه فِي فَتْحِهَا فَرَجَعَ إِلَى الجِعِرَانَةَ وَدَعَا اللَّه أَنْ يَأْتُوهُ مُسْلِمِينَ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَجَاؤوهُ مُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ مُعْتَمِراً لَيْلاً وَعَادَ إِلى الجِعِرَانَةَ، وَمِنْهَا سَافَرَ إِلَى المَدِينَةِ وَمَعَهُ الأَنْصَارُ وَالمُهَاجِرونَ، وَجَعَلَ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ وَعُمْرُهُ دُونَ العِشْرِينَ، وَفِي القِصَّةِ مَظَاهِرُ كَثِيرَةٌ مِنْ مِصْدَاقِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[2] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٥/ ٢٠١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة: باب رقم: (٤٦) ورقم: (١٣٢)، وأحمد في المسند: (٣/ ١٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٦/ ٣٣٦)، و(٧/ ١٨)، وعبد الرزاق في المصنف: (١٩٩٠٨)، وابن حجر في فتح الباري: (٨/ ٥٠ و٥٣)، وابن كثير في البداية والنهاية: (٤/ ٣٥٦).

(٢) سورة القلم، الآية: (٤).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

الفَصلُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ

حَوَادِثُ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ

حَوَادِثُ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ

بَعْدَ عَوْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَوَازِنَ وَدُخُولِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ العُمَّالَ لأَخْذِ الزَّكَواتِ وَتَقْسِيمِهَا لِمُسْتَحِقِّيهَا، فَبَعَثَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِي بَعْدَ إِسْلاَمِهِ إِلَى أَسْلَمَ وَغِفَارٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بَشِيرٍ إِلَى بَنِي سُلَيمٍ وَمُزَيْنَةَ، وَرَافِعْ بْنَ مُكَيْثٍ إِلَى جُهَيْنَةَ، وَعَمْرو بْنَ العَاصِ إِلَى بَنِي فَزَارَةَ، وَالضَّحَاكْ بْن سُفْيَانَ إِلَى بَنِي كِلابٍ، وَبِشْرَ بْنَ سُفْيَانَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ، وَبَعَثَ ابْنَ اللُّتْبِيَّةَ الأَزْدِي إِلَى بَنِي ذُبْيَانَ، وَالمُهَاجَرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ إِلَى صَنْعَاءَ، وَزِيَاد بْنَ لَبِيدٍ إِلَى حَضرَمَوْتَ، وَمَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ إِلَى بَنِي حَنْظَلَةَ، وَالزِّبْرَقَانَ وَحَسَناً ابْنِي عَاصِمٍ إِلَى بَنِي سَعْدٍ، وَالعَلاَءَ بْنَ الحضْرَمِي إِلَى البَحْرَيْنِ، وَعَلَيَّ بن أَبِي طَالِبٍ إِلَى نَجْرَانَ لأَخْذِ الزَّكَاةِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالجِزْيَةَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأَمَرَ الرُّسُلَ أَنْ يَأْخُذُوا العَفْوَ مِنَ الأَمْوَالِ وَيَتَوَقَّوا كَرَائِمِهَا، فَقَدِمُوا إِلَيْهِ بِهَا وَحَاسَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضَهُمْ فَكَانَ فِي ذَلِكَ إِرْشَادٌ لِمُحَاسَبَةِ العُمَّالِ.

السَّرَايَا وَالغَزَوَاتِ

أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ قُوَّادِهِ لِتَأْدِيبِ المُتَمَرِّدِينَ،

وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى بَعْضِ الجِهَاتِ، فَنَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِيهِ العِبْرَةُ وَالعِظَةُ:

سَرِيَّةِ عَلْقَمَةَ بْنِ المُدْلِجِي إِلَى سَاحِلِ جُدَّةَ لِطَرْدِ الحَبَشَةِ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ وَمَعَهُ ثَلاثُمَائَةٍ، فَهَرَبُوا وَرَجَعَ بِأَصْحَابِهِ فَتَعجَّلَ بَعْضُهُمْ الرُّجُوعَ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِي مِنَ الأَنْصَارِ فَأَوْقَدُوا نَاراً يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُمْ (وَكَانَ فِيهِ دَعَابَةٌ):

أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَاعَتِي قَالُوا: بَلَى قَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْخُلُوهَا فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَرَادَ بَعْضُهُمْ اقتِحَامَ النَّارِ فَقَالَ لَهُمْ: اجْلِسُوا إِنَّمَا أَرَدْتُ المُبَاسَطَةَ فَلَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ أَخْبَرُوا رَسُولَ اللَّهِ بِمَا وَقَعَ فَقَال ﷺ:

«لَوْ دَخَلُوها مَا خَرَجُوا مِنْهَا، لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٩/ ١٠٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب: (٨) رقم: (٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٨/ ١٥٦)، والهندي في كنز العمال: (١٤٣٩٨)، وابن حجر في فتح الباري: (١٣/ ١٢٢)، وأبو نعيم في الحلية: (٥/ ٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٢/ ١١٥).

الفَصلُ التسعُونَ

سَرِيَّةُ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ لِهَدْمِ صَنَمِ طَيءٍ بِاليَمَنِ

سَرِيَّةُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِهَدْمِ صَنَمِ طَيءٍ بِاليَمَنِ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ مَائَةٌ وَخَمْسُونَ فَهَاجَمَهُمْ وَهَدَمَ الصَّنَمَ ثُمَّ سَاقَ السَّبْيَ وَالشَّيَاهَ والنَّعَمَ وَكَانَ فِي السَّبْيِ بِنْتُ حَاتِمٍ الطَّائِي سُفَانَةُ فَقَسَّمَ عَلِيٌّ الغَنَائِمَ فَي الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَقْسِمْ آلَ حَاتِمٍ، وَلَمَّا وَصَلُوا المَدِينَةِ قَابَلَتْ سُفَانَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ أَنَا ابْنَةُ حَاتِمِ الطَّائِي وَقَدْ كَانَ أَبِي يَفُكُّ العَانِي[1] وَيُقْرِي الضَّيْفَ، وَلاَ يَرُدُّ السَّائِلَ.

فَقَالَ لَهَا: «**إِنَّ هَذِهِ صِفَّةُ المُؤْمِنِينَ**»[2] وَمَنَّ عَلَيْهَا وَحَمَلَهَا إِلَى أَرْضِهَا وَأَكْرَمَهَا فَذَهَبَتْ إِلَى أَخِيهَا وَعَاتَبَتْهُ عِتَاباً شَدِيداً عَلَى تَرْكِهِ لَهَا وَقْتَ هَرَبِهِ فَأَجَابَهَا بِقَوْلِهِ:

لا تَقُولِي إِلاَّ خَيْراً فَوَاللَّهِ مَا لِي عُذْرٌ. ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَا تَرِينَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلَ؟

---

(١) انظر ترجمة حاتم في تاريخ الخميس: (١/ ٢٥٥)، والشعر والشعراء: (٧٠)، ونزهة الجليس: (١/ ٢٨٤)، وخزانة البغدادي: (١/ ٤٩٤) و(٢/ ١٦٤).

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٧/ ٩٤).

فَقَالَتْ: أَرَى أَنْ تَلْحَقَ بِهِ فَإِنْ كَانَ نَبِيّاً فَلَكَ فَضْلُ السَّبْقِ وَإِنْ يَكُنْ مَلِكاً فَلَنْ تُذَلَّ فِي عِزِّ اليَمَنِ.

فَخَرَجَ عَدِيٌّ حَتَّى قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ وَأَعْطَاهُ وِسَادَةً يَجْلِسُ عَلَيْهَا، ثُمَّ اسْتَفْهَمَهُ عَنْ أَشْيَاءَ كَانَ يَفْعَلُهَا فِي الخَفَاءِ ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقَرَّ بِهَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا حَاصِلُهُ: «**لَعَلَّ المَانِعَ لَكَ مِنَ الإِسْلامِ مَا تَرَى مِنْ فَقْرِ أَهْلِهِ وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِ وَأَنَّ المُلْكَ فِي غَيْرِهِمْ، فَوَاللَّهِ يُوشِكُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمُ المَالُ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ وَيَنْتَقِلَ المُلْكُ إِلَيْهِمْ**»[1].

فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ، وَشَهِدَ المَوَاقِعَ حَتَّى صِفِّينَ فِي حِزْبِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَهَكَذَا تَكُونُ عَوَاقِبُ أَصْحَابِ الشَّرَفِ عُمَّالِ الخَيْرِ.

---

(١) انظر ترجمة عدي بن حاتم في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة. الترجمة رقم: (٥٤٧٧)، وحسن الصحابة: (١٣٨)، والروض الأنف: (٢/ ٣٤٣)، وإمتاع الأسماع: (١/ ٥٠٩)، ورغبة الآمل: (٦/ ١٣٥)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٤/ ٣١٥) الترجمة رقم: (٢٤٨)، وتهذيب التهذيب: (٧/ ١٥٠)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: (١٢/ ٣٠٥).

الفَصلُ الحَادِي والتِّسعُونَ

غَزوَةُ تَبُوكَ وَحَجُّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ

غَزْوَةُ تَبُوكَ وَحَجُّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ

بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الرُّومَ تَجْمَعُ جُمُوعاً كَثِيرَةً بِالشَّامِ وَقَد انْضَمَّتْ إِلَيْهِمُ القَبَائِلُ المُجَاوِرَةُ لَهُمْ وَقَدَّمُوا مُقَدِّمَاتِهِمْ إِلَى البَلْقَاءِ يَقْصِدُونَ حَرْبَ المُسْلِمِينَ فِي دِيَارِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِالتَّأَهُّبِ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا بَلَغَهُ عَنِ الرُّومِ، وَأَرْسَلَ إِلَى مَكَّةَ يَسْتَنْفِرُ قَبَائِلَهَا وَكَانَ النَّاسُ فِي جَدْبٍ وَعُسْرَةٍ وَقَدِ اشْتَدَّ الحَرُّ وَدَنَا وَقْتُ خَرِيفِ التَّمْرِ وَغَالِبُ النَّاسِ يُحِبُّونَ البَقَاءَ فِي ثِمَارِهِمْ.

وَحَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُسْلِمِينَ عَلَى تَجْهِيزِ المُعْسِرِينَ، فَجَادَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ حَتَّى النِّسَاءَ أَرْسَلْنَ حُلِيَّهُنَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْرَعَ النَّاسِ بَالبَذْلِ وَأَكْثَرَهُمْ فِي الإِنْفَاقِ حَتَّى قَالَ ﷺ: «**لا يَضُرُّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ اليَوْمِ**»(١).

اجْتَمَعَتِ الجُيُوشُ فَخَرَجَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ وَأَمَرَ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَخْلُفَهُ فِي أَهْلِهِ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (٨/ ٢٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ١٩١)، والهندي في كنز العمال: (٣٦١٨٨)، وابن حجر في فتح الباري: (٨/ ١١١).

فَسَمِعَ مِنْ بَعْضِ المُنَافِقِينَ مَا شَقَّ عَلَيْهِ، فَحَمَلَ سِلاَحَهُ وَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ وَأَنَّهُ يُرِيدُ مُرَافَقَتَهُ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ: «**أَمَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي**»(١) فَرَضِيَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَرَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَكَانُوا ثَلاَثِينَ أَلْفاً.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى تَبُوكَ لَمْ يَجِدْ بِهَا جَيْشاً لِلرُّومِ لأَنَّهُمْ قَدْ انْسَحَبُوا إِلَى دَاخِلَ بِلاَدِهِمْ خَشْيَةً مِنْ جَيْشِ المُسْلِمِينَ فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْماً صَالَحَ فِيهَا أَهْلُ القُرَى المُجَاوِرَةِ لِتَبُوكَ، وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَاباً بِالصُّلْحِ ثُمَّ عَادَ إِلَى المَدِينَةِ فِي آخِرِ رَمَضَانَ.

وَوَقَعَ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ مِنْ أَعْلاَمِ النُّبُوَّةِ وَآيَاتِ الرِّسَالَةِ شَيْءٌ كَثِيرٌ:

مِنْهَا: إِنَّ الجَيْشَ نَزَلَ بِمَحَلٍّ فِيهِ وَشَلٌ يَخْرُجُ مِنْهُ مَاءٌ قَلِيلٌ يَرْوِي الرَّاكِبَ وَالرَّاكِبَيْنِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ مَاءً قَلِيلاً وَدَعَا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٥/ ٤٢)، ومسلم في فضائل الصحابة: (١٣٢)، والترمذي في سننه: (١٣٧٢٤)، وأحمد في المسند: (١/ ١٧٣ و١٧٥ و١٨٢ و١٨٤ و٣٣١) و(٣/ ٣٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩/ ٤٠)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ١٣١٧)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٢٩٢)، والهندي في كنز العمال: (٣٢٩٣١)، و(٣٢٩٣٢) و(٣٢٩٣٣) و(٣٦٥١٧)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٤٢١٨)، وأبو نعيم في الحلية: (٧/ ١٩٥، ١٩٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٩/ ١٠٩ و١١٠)، وابن حجر في المطالب العالية: (٣٩٥٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٤/ ٢٠٤) و(١١/ ٤٣٢)، والهيثمي في موارد الظمآن: (٢٢٠١)، وعبد الرزاق في المصنف: (٩٧٤٥) و(٢٠٣٩٠)، وابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٧١).

اللَّهُ ثُمَّ نَضَحَ بِهِ المَحَلَّ فَنَبَعَ الماءُ حَتَّى أَرْوَى الجَيْشَ.

وَمِنْهَا: أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ المُنَافِقِينَ تَآمَرُوا بِقَتْلِهِ ﷺ وَقْتَ مُرُورِ الجَيْشِ بِالعَقَبَةِ فَنَزَلَ الوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمَّا وَصَلُوا العَقَبَةَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الجَيْشَ أَنْ يَسْلُكُوا بَطْنَ الوَادِي وَسَلَكَ ﷺ العَقَبَةَ آخِذاً بِزِمَامِ نَاقَتِهِ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَمِنْ خَلْفِهِ يَسُوقُهَا حُذَيْفَةُ بْنُ اليَمَانِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا العَقَبَةَ، لَحِقَهُمُ المُتَآمِرُونَ فَأَمَرَ ﷺ حُذَيْفَةَ أَنْ يَرُدَّهُم وَأَخْبَرَهُ بِمَا أَرَادُوا، ثُمَّ أَخْبَرَ ﷺ حُذَيْفَةَ بِأَسْمَائِهِمْ، وَلِهَذَا كَانُوا يُسَمُّونَهُ صَاحِبَ السِّرِّ، فَإِذَا مَاتَ الرَّجُلُ يَقُولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انْظُرُوا فَإِنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَإِلاَّ فَهُوَ مُنَافِقٌ.

وَفِي ذِي القِعْدَةِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أن يَحُجَّ بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ وَنَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَ عَشْرَةَ آيَةً مِنْ أَوَّلِ بَرَاءَةٍ. فَبَعَثَ بِهَا عَلِيّاً وَقَالَ: **«لا يُبَلِّغُ هَذَا عَنِّي إِلاَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»**(١). فَلَحِقَ عَلِيٌّ أَبَا بَكْرٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ مَكَّةَ وَسَارَا مَعاً، يُصَلِّي بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ عِيدِ الحَجِّ قَرَأَ عَلِيٌّ الآيَاتِ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ كَافِرٌ وَلاَ يَحُجُّ بَعْدَ هَذَا العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ إِلَى مُدَّتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ فَأَجَلُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى المَدِينَةِ مَسْرُورِينَ.

---

(١) أخرجه ابن حجر في فتح الباري: (٨/ ٣٢١)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٢١٠).

الفَصلُ الثَّانِي وَالتِّسعُونَ

الوُفُودُ إِلَى المَدِينَةِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ

الوُفُودُ إِلَى المَدِينَةِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ وَهَوَازِنَ قَدِمَتِ الوُفُودُ مِنْ سَائِرِ الجِهَاتِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ نَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِيهِ العِبْرَةُ مِنْهَا:

وَفْدُ ثَقِيفٍ:

كَانَ أَوَّلَ وَفْدٍ وَفْدُ ثَقِيفٍ يَرْأَسُهُمْ كِنَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَا لَيْلَ وَأَصْغَرُهُمْ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي العَاصِ، فَأَنْزَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالمَسْجِدِ لِكَيْ يَسْمَعُوا القُرآنَ وَيَرَوا عِبَادَةَ الدَّيَّانِ، فَاقَامُوا أَيَّاماً يَخْتَلِفُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَسْمَعُونَ الأَحْكَامَ، وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي العَاصِ أَشَدَّهُمْ حِرْصاً عَلَى التَّعَلُّمِ، فَأَحَبَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ وَنَجَحَ ذَلِكَ الغُلاَمُ، فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَئِيسُهُمْ كِنَانَةُ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُقَاضِيَهم فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّلْحَ إِلاَّ أَنْ يُسْلِمُوا، فَطَالَبُوهُ أَنْ يُبِيحُ لَهُمُ الزِّنَا ثُمَّ الرِّبَا ثُمَّ الخَمْرَ فَأَبَى، وَتَلاَ عَلَيْهِم آياتِ أَحْكَامِهَا فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَتَشَاوَرُوا وَقَرَّرُوا قَبُولِ الأَحْكَامِ، ثُمَّ طَلَبُوا إِبْقَاء الصَّنَم فَأَبَى ﷺ وَقَالَ: «**سَأَبْعَثُ إِلَيْكُمْ مَنْ يَهْدِمُهَا**»[1] فَأَسْلَمُوا وَطَلَبُوا أَنْ

(١) أخرج ابن كثير في البداية والنهاية: (٥/ ٣٣): «سأبعث إليهم من يكفيهم هدمها».

يُؤَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً، فَأَمَّرَ عَلَيْهِم عُثْمَانَ بْنَ أَبِي العَاصِ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ سِناً، وَلَكِنَّهُ أَعْلَمَهُمْ، ثُمَّ سَافَرُوا مِنَ المَدِينَةِ، وَلَمَّا قَرُبُوا مِنَ الطَّائِفِ قَالَ رَئِيسُهُمْ: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِثَقِيفٍ، فَاكْتُمُوا عَنْهُمْ إِسْلاَمَكُمْ وَخَوِّفُوهُمْ بِالحَرْبِ وَالقِتَالِ، وَأَخْبِرُوهُمْ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الأَحْكَامِ. فَلَمَّا وَصَلُوا وَسئِلُوا عَمَّا حَصَلَ، قَالُوا:

أَتَيْنَا رَجُلاً فَظّاً غَلِيظاً قَدْ دَانَتْ لَهُ العَرَبُ، فَعَرَضَ عَلَيْنَا أُمُوراً شَدِيدَةً، هَدْمَ اللاَّتِ وَالعُزَّى، وَمَنْعَ الرِّبَا، وَتَحْرِيمَ الخَمْرِ، وَالزِّنَا.

فَقَالَتْ ثَقِيفٌ: لاَ نَقْبَلُ هَذَا أَبَداً.

قَالَ الوَفْدِ: أَصْلِحُوا السِّلاح وَتَهَيَّؤُوا لِلْقِتَالِ، فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَاجْتَمَعُوا وَقَالُوا لِلْوَفْدِ: مَا لَنَا بِحَرْبِهِ مِنْ طَاقَةٍ فَارْجِعُوا إِلَيْهِ وَأَعْطُوهُ مَا سَأَلَ.

قَالَ الوَفْدُ: إِنَّا قَدْ فَعَلْنَا وَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْفَى النَّاسِ وَأَرْحَمَهُمْ فَاقْبَلُوا عَافِيَةَ اللَّهِ. قَالُوا:

فَلِمَ كَتَمْتُمُونَا هَذَا الحَدِيث؟

قَالُوا: أَرَدْنَا أَنْ يَنْزِعَ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِكُمْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ.

فَأَسْلَمُوا وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الوَلِيد لِهَدْمِ صَنَمِهِمْ فَخَرَجُوا رِجالاً وَنِسَاءَ يَنْظُرُونَ كَيْفَ يُهْدَمَ، فَهَدَمَهُ خَالِدٌ وَمَنْ مَعَهُ حَجَراً حَجَراً، وَحَفَرُوا أَسَاسَهُ فَوَجَدُوا فِيهِ حُلِيّاً فَكَانَ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

الفصل الثالث والتسعون

وَفْدُ بَنِي عَامِرِ مِنْ نَجْدٍ مُضْمِرِينَ الغَدْرَ

وَفْدُ بَنِي عَامِرِ مِنْ نَجْدٍ مُضْمِرِينَ الغَدْرَ

قَدِمَ وَفْدُ بَنِي عَامِرٍ يَرْأَسُهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ، وَخَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَحَيَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، فَتَقَدَّمَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَقَدِ اتَّفَقَ مَعَ أَرْبَدَ بِأَنَّهُمَا إِذَا قَابَلاَ الرَّسُولَ يُشَاغِلُهُ عَامِرٌ وَيَضْرِبُهُ أَرْبَدُ بِسَيْفِهِ، فَقَابَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ أَرْبَدَ فَلَمْ يَجْسُرْ عَلَى سَلِّ سَيْفِهِ.

وَقَالَ لَهُ عَامِرٌ: أُخَيِّرُكَ بَيْنَ ثَلاَثٍ: يَكُونَ لِي أَهْلُ السَّهْلِ وَلَكَ أَهْلُ المَدَرِ، أَوْ أَكُونَ خَلِيفَتَكَ مِنْ بَعْدِكَ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَلْفَيْ فَرَسٍ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، وَسَيَكْفِينَا اللَّهُ شَرَّكَ»**.

فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ»**[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: (٥/ ٣٢١)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ١٢٦)، والطبراني في المعجم الكبير: (٦/ ١٥٥)، وابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٣٣٧)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٢/ ١٩٩)، وابن كثير في البداية والنهاية: (٥/ ٥٧).

فَمَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ شَرَّ مَيْتَةٍ وَوَفَدَتْ وُفُودٌ أُخْرَى مِنْ نَجْدٍ بَعْدَ ذَلِكَ».

وَفْدُ عَبْدِ القَيْس مِنْ جِهَةَ البَحْرَيْن

قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرْأَسُهُمْ الجَارُودُ بْنُ عَمْرٍو، فَرَحَّبَ بِهِمُ النَّبِيُّ وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَأَسْلَمُوا.

وَفْدُ نَجْرَانَ

وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتُّونَ رَاكِباً يَرْأَسُهُمْ العَاقِبُ عَبْدُ المَسِيحِ، وَالأَيْهَمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ، وَكَانُوا قَد تَنَصَّرُوا قَبْلَ ذَلِكَ فَدَعَاهُمْ ﷺ إِلَى الإِسْلامِ، وَطَالَ مِنْهُمْ الجِدَالُ وَنَزَلَتْ آيَةُ المُبَاهَلَةِ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[1] فَدَعَاهُمْ ﷺ إِلَى المُبَاهَلَةِ وَوَعَدُوهُ الغَدَ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَإِبْنَاهُمَا، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ امْتَنَعُوا عَنِ المُبَاهَلَةِ، وَقَالُوا: نَرَى وُجُوهاً لَوْ أَقْسَمَتْ عَلَى اللَّهِ بِإِزَالَةِ جَبَلٍ لَفَعَلَ، وَصَالَحُوهُ عَلَى إِعْطَاءِ الجِزْيَةِ فَأَرْسَلَ مَعَهُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرِ بْنِ الجَرَّاحِ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٦١).

الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالتِّسعُونَ

وَفْدُ كِنْدَةَ مِنْ جِهَةِ اليَمَنِ

وَفْدُ كِنْدَةَ مِنْ جِهَةِ اليَمَنِ

وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَهْلُ كَنْدَةَ رَئِيسُهُمُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَمَّا خَبَّأَنَاهُ لَكَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الكَاهِنُ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَاباً لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ**»(١).

قَالُوا: أَسْمِعْنَا شَيْئاً مِنْهُ.

فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالصَّافَاتِ صَفّاً وَجَرَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ.

فَقَالُوا: «**أَتَخَافُ مِمَّنْ أَرْسَلَكَ؟**».

قَالَ: «**إِنَّهُ بَعَثَنِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِنْ زُغْتُ عَنْهُ هَلَكْتُ**» وَتَلا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾(٢).

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «**أَلَم تُسْلِمُوا؟**» قَالُوا: بَلَى قَالَ: «**مَا بَالُ هَذَا الحَرِيرِ تَلْبَسُونَهُ**» فَقَامُوا وَأَلْقَوْه وَرَجَعُوا إِلَى بِلادِهِمْ ظَافِرِينَ.

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (٥/ ٢٧٠).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٨٦).

وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ وَقَضِيَّةُ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ

قَدِمَ وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ وَمَعَهُمْ مُسَيْلَمَةُ فَخَلَّفُوهُ فِي رِحَالِهِمْ وَقَابَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمُوا فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَطَايَا فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ خَلَّفُوا صَاحِباً لَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ لَهُمْ وَلَمَّا عَادُوا إِلَى اليَمَامَةِ ادَّعَى مُسَيْلَمَةُ النُّبُوَّةَ، وَكَتَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

مِنْ مُسَيْلَمَةَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أُشْرِكْتُ فِي الأَمْرِ مَعَكَ وَأَنَّ لَنَا نِصْفاً وَلِقُرَيْشٍ نِصْفاً ولكن قُرَيْشٌ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ.

فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**».

ثُمَّ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولَي مُسَيْلَمَةَ الجَوَابَ وَسَأَلَهُمَا: «**هَلْ تَقُولانِ أَنْتُمَا بِمَا يَقُولُ؟**»[1].

قَالاَ: نَعَمْ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْلاَ أَنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا**».

---

(١) انظر: الروض الأنف: (٢/ ٣٤٠)، والكامل لابن الأثير: (٢/ ١٣٧)، وشذرات الذهب: (١/ ١٢٣)، وتاريخ الخميس: (٢/ ١٥٧)، والبدء والتاريخ: (١/ ١٦٢).

وَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ الكِتَابُ اسْتَرْسَلَ فِي كَذِبِهِ وَلَفَّقَ لَهُ أَسْجَاعاً رَاجَتْ عَلَى ضُعَفَاءِ عُقُولِ قَوْمِهِ، مِنْهَا:

لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الحُبْلَى، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى، بَيْنَ صفَاقٍ وَحَشَى.

وَقَدْ صَفَّقَتْ مَعَهُ بَنُو حَنِيفَةَ عَلَى تِلْكَ الخُزَعْبَلاتِ ثُمَّ قَدِمَ مُسَيْلَمَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ المَدِينَةَ وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ أَنَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِهِ وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنَفْخِهِمَا فَطَارَا، فَأَوَلَهُمَا ﷺ بِكَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدَهُ قَالُوا: هُمَا صَاحِبُ صَنْعَاءَ (الأَسْوَدُ العَنَسِي) وَصَاحِبُ اليَمَامَةِ (مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ).

فَلَمَّا وَصَلَ مُسَيْلِمَةُ وَقَوْمَهُ المَدِينَةِ أَمَرَ أَنْ يُنزلُوهُمْ فِي مَحَلٍّ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ وَفِي يَدِهِ قِطْعَةٌ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، فَقَالَ لَهُ: **«إِنْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ مَا أَعْطَيْتُكَهَا»**

فَرَجَعَ مُسَيْلِمَةُ خَائِباً.

الفَصْلُ الخَامِسُ وَالتِّسعُونَ

سَرِيَّةُ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ إِلَى نَجرَانَ مِنْ أَرضِ اليَمَنِ

سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ إِلَى نَجْرَانَ مِنْ أَرضِ اليَمَنِ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مَعَ جَيْشٍ فَلَمَّا وَصَلَ اليَمَنَ، بَعَثَ الدُّعَاةَ يَدْعُونَ إِلَى الدِّيْنِ، فَأَسْلَمُوا وَأَقَامَ خَالِدٌ يُعَلِّمُهُمْ القُرآنَ، ثُمَّ أَقْبَلَ مِنهُمْ وَفْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكْرَمَهُمْ وَسَأَلَهُمْ.

«**بِمَ كُنتُمْ تُغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ؟**»قَالُوا: كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلاَ نَتَفَرَّقُ وَلاَ نَبْدأُ أَحداً بِظُلْمٍ.

قَالَ: «**صَدَقْتُمْ**»[1]. أَيْ كَانَ غَلَبُكُمْ بِاجْتِمَاعِ كَلِمَتِكُمْ وَعَدَمِ ظُلْمِكُمْ.

سَرِيَّةُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَنِي مُذْحِجٍ بِاليَمَنِ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ مَعَ جَيْشٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ تَجَمَّعَتْ جُمُوعُهُمْ دَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَبَوْا، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى انْهَزَمُوا، فَكَفَّ عَنْ طَلَبِهِمْ ثُمَّ لَحِقَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ،

(١) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية: (٥/ ٩٥).

فَأَسْلَمُوا وَبَقِيَ يُعَلِّمُهُمْ وَأَخَذَ صَدَقَاتِهِمْ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ عَلِمَ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهَا فَحَجَّ مَعَهُ حَجَّةَ الوَدَاعِ، وَبَعْدَ الحَجِّ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ العُمَّالَ إِلَى جِهَاتِ اليَمَنِ، فَجَعَلَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ عَلَى الكُورَةِ العُلْيَا مِنْ جِهَةِ عَدَنٍ، وَأَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ عَلَى السُّفْلَى، وَوَصَّاهُمَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ بِقَوْلِهِ:

«يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا»(١).

وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ، وَإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ لاَ يَأْخُذَا كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَأَنْ يَتَّقِيَا دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤/ ٧٩ و٢٠٤ و٢٠٥) و(٨/ ٣٦) و(٩/ ٧٨)، وأحمد في المسند: (٤/ ٤١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٨/ ١٥٥ و٢٩١ و(١٠/ ٨٦)، وعبد الرزاق في المصنف: (٥٩٥٩)، وابن حجر في تغليق التعليق: (١١٨٢)، وابن حجر في فتح الباري: (٨/ ٦٠) و(١٠/ ٥٢٤) و(١٢/ ٢٧٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٣٧٢٤)، والهندي في كنز العمال: (٥٣٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد: (٧/ ١٢٥).

الفَصلُ السّادِسُ وَالتّسعُونَ

حجَّةُ الوَدَاعِ وغديرُ خُمّ

حجَّةُ الوَدَاعِ وغديرُ خُمّ

عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الحَرَام وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ بَنَاتُهُ وَنِسَاؤُهُ وَالأَنْصَارُ وَالمُهَاجِرُونَ وَذَلِكَ يَوْمُ السَّبْتِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي القِعْدَةَ، وَأَقْبَلَ المُسْلِمُونَ مِنْ سَائِرِ الجِهَاتِ يُرِيدُونَ الحَجَّ مَعَهُ ﷺ، فَوَصَلَ مَكَّةَ لأَرْبَعِ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ وَمَعَهُ نَحْوُ مَائَةِ أَلفٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَةَ تَاسِعَ ذِي الحِجَّةِ وَكَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَخَطَبَ خُطْبَةً طَوِيلَةً شَرَحَ فِيهَا أُصُولَ الدِّينِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ آخِرَ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

وَلَمَّا أَكْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجَّهُ قَفَلَ رَاجِعاً إِلَى المَدِينَةِ. وَلَمَّا وَصَلَ غَدِيرَ خُمْ نَادَى مُنَادِيهِ:

هَلُمُّوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيٌّ فَوَعَظَهُمْ، ثُمَّ قَالَ:

(١) سورة المائدة، الآية: (٣).

«أَوَلَسْتُ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. كَرَّرَهَا ثَلاثاً وَكَرَّرُوا الجَوَابَ ثَلاثاً، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ وَقَالَ:

«مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذَا مَوْلاهُ» وَفِي رِوَايَة: «فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ»[1].

عِنْدَ ذَلِكَ قَامَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُهَنِّئُونَ عَلِيّاً بِذَلِكَ.

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَخٍ بَخٍ لَكَ يَا عَلِيّ لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

ثُمَّ دَخَلُوا المَدِينَةَ المُنَوَّرَةِ مَسْرُورِينَ.

* * *

وَهَهُنَا نُوقِفُ جَوَادَ القَلَمِ عَنِ الطِّرَادِ فِي حَلْبَةِ البَيَانِ وَنَكْتَفِي بِمَا حَرَّرْنَاهُ مِنْ زُبْدَةِ المُجْمَلِ لِصَحِيحِ المَنْقُولِ مِنْ سِيرَةِ سَيِّدِنَا الرَّسُولِ وَلإِتْمَامِ الفَائِدَةِ، نَخْتِمُ الكِتَابَ بِشَيءٍ يَسِيرٍ مِنْ أَخْلاقِهِ ﷺ وَكَمَالِ صِفَاتِهِ، وَخَبَرِ وَفَاتِهِ، إِتْماماً لِمَا أَرَدْنَاهُ مِنْ إِشْرَابِ القُلُوبِ بِمَحَبَّتِهِ، وَالاسْتِمْسَاكِ بِشَرِيعَتِهِ، وَبَعْثِ النُّفُوسِ إِلَى دَعْوَتِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: (١١٦)، وأحمد في المسند: (١/ ١١٩) و(٤/ ٣٧٢) و(٥/ ٣٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير: (٥/ ٢٢٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٩/ ١٠٥ و١٠٧)، والهندي في كنز العمال: (٣٦٤١٨) و(٣٦٤٢٢) و(٣٦٤٨٧)، وابن أبي عاصم في شرح السنة: (٢/ ٦٠٦)، والشجري في الأمالي: (١/ ١٤٥).

الفَصلُ السَّابِعُ وَالتِّسعُونَ

أَخلاَقُهِ ﷺ وَسَجَايَاهُ

أَخْلاَقُهِ ﷺ وَسَجَايَاهُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[1].

وَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

مَنْ دَرَسَ تَارِيخَ حَيَاتِهِ ﷺ دِرَاسَةَ تَحْقِيقٍ جَزَمَ بِأَنَّهُ ﷺ جَوْهَرَةُ عِقْدِ الكَمَالِ، قَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مَا تَفَرَّقَ فِي كُمَّلِ الرِّجَالِ، فَهُوَ الإِنْسَانُ الكَامِلُ الحَائِزُ لأَشْتَاتِ الفَضَائِلِ، اخْتَارَهُ اللَّهُ رَسُولاً للإِنْسَانِيَّةِ العَامَّةِ، فَجَعَلَهُ القُدْوَةَ الحَسَنَةَ لِلْخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ، يَسْتَرْشِدُ بِهِ الضَّالُّ فِي عَقِيدَتِهِ وَالنَّاسِكُ فِي خُلْوَتِهِ، وَيَجِدُهُ العَامِلُ فِي حِرْفَتِهِ، وَالتَّاجِرُ فِي تِجَارَتِهِ، وَالمُوسِرُ فِي نِعْمَتِهِ، وَالمُعْسِرُ فِي مِحْنَتِهِ، بَلْ الحَاكِمُ فِي تَدْبِيرِ حُكُومَتِهِ، وَالزَّعِيمُ فِي قِيَادَةِ أُمَّتِهِ، كُلُّ هَؤلاَءِ وَأَمْثَالُهُمْ يَجِدُونَ مِنْ نُورِ مِشْكَاةِ شَرِيعَتِهِ وَأَشِعَّةِ شَمْسِ هِدَايَتِهِ مَا يُضِيءُ لَهُمُ السَّبِيلَ وَيُوصِلُهُمْ إِلَى المَقْصَدِ النَّبِيلِ.

وَتَقْرِيباً للأَفْهَامِ نَذْكُرُ جُزْءاً مِنْ أَخْلاَقِهِ الطَّاهِرَةِ، ثُمَّ نُشِيرُ إِلَى بَعْضِ شَوَاهِدِهَا البَاهِرَةِ فَنَقُولُ:

---

(١) سورة القلم، الآية: (٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، وَأَوْفَاهُمْ عَهْداً وَأَبَرَّهُمْ وَعْداً، وَأَعْذَبَهُمْ لِساناً، وَأَفْصَحَهُمْ بَياناً، وَأَثْبَتَهُمْ جَنَاناً، وَأَبْسَطَهُمْ بِالمَعْرُوفِ بَنَاناً، وَأَوْسَعَهُمْ صَدْراً وَأَرْجَحَهُمْ حِلْماً وصَبْراً، وَأَوْفَرَهُمْ عِلْماً، وَأَعْدَلَهُمْ حُكْماً، وَأَدَقَّهُمْ فِي السِّيَاسَةِ نَظَراً، وَإِكْمَلَهُمْ حَيَاءً وَتَوَاضُعاً، وَأَحْسَنَهُمْ عِشْرَةً وَمُعَامَلَةً، وَأَشَدَّهُمْ قَنَاعَةً وَزُهْداً، وَأَكْثَرَهُمْ عِبَادَةً وَخَشْيَةً، وَأَرْحَمَهُمْ قَلْباً، وَأَكْرَمَهُمْ تَجَاوُزاً وَصَفْحاً.

بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَمَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا مَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَشَاعِرَ مُخَالِطِيهِ، فَأَحَبُّوهُ حُبّاً شَدِيداً، وَقَدَّمُوهُ عَلَى نُفُوسِهِمْ وَالبَنِينَ.

وَبِهَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَى خُصُومِهِ، وَتَمَّ لَهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ وَالفَتْحُ المُبِينُ.

الفَصلُ الثَّامِنُ وَالتِّسعُونَ

صِدقُ لَهجَتِهِ وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ

صِدْقُ لَهْجَتِهِ وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ

هَاتَانِ الصِّفَتَانِ أَخَصُّ صِفَاتِ الرُّسُلِ: وَأَكْبَرُ مُمَيِّزَاتِهِمْ. وَيَتْبَعُهَا الوَفَاءُ بِالعَهْدِ وَالبِرُّ فِي الوَعْدِ. وَقَدْ حَبَا اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ مِنْ هَذِهِ الصِّفاتِ، النَّصِيبَ الأَوْفَر، والحَظَّ الأَكْبَرَ.

أَمَّا الصِّدْقُ فَقَدْ اشْتَهَرَ بِهِ مِنْ حَالِ صِبَاهُ، وَشَهِدَ لَهُ بِهِ أَصْدِقَاؤُهُ وَعِدَاهُ، صَعَدَ عَلَى الصَّفَا فِي أَوَّلِ بِعْثَتِهِ وَنَادَى قَبَائِلَ قَوْمِهِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اجْتَمعُوا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ:

«إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيلاً بِالوَادِي سَتُغِيرُ عَلَيكُمْ، هَلْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»[1].

أَجَابُوا كُلُّهُمْ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقاً.

وَقَدْ أَجَابَ أَبُو سُفْيَانَ هِرَقْلَ مَلِكَ الرُّومِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ صِدْقِهِ قَبْلَ بِعْثَتِهِ بِقَوْلِهِ: مَا كُنَّا نَتَّهِمُهُ بِالكِذْبِ.

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ ذَلِكَ الوَقْتَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٦/ ١٧٩).

فَقَالَ لَهُ هِرَقْلُ: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى الخَلْقِ وَيَكْذِبَ عَلَى الخالِقِ.

وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ: وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ المُصْطَفَى قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلاماً حَدَثاً أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثاً.

وَأَمَّا الأَمَانَةُ فَلَمْ تُعْرَفْ مِنْهُ زِلَّةٌ، وَلاَ حُفِظَتْ عَنْهُ هَفْوَةٌ، شَهِدَ لَهُ بِهَا قَبَائِلُ العَرَبِ قَبْلَ بِعْثَتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ يَضَعُ الحَجَرَ الأَسْوَدَ مَكَانَهُ وَقْتَ بِنَائِهِمْ الكَعْبَةَ، فَأَقْبَلَ ﷺ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: هَذَا الأَمِينُ وَكُلُّنَا نَرْضَاهُ.

فَوَضَعَ الحَجَرَ فِي ثَوْبٍ وَقَالَ:

«لِيَأْخُذْ كُلُّ رَئِيسٍ بِطَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ ثُمَّ يَرْفَعُونَهُ إِلَى مَقَرِّهِ».

فَرَضُوا جَمِيعُهُمْ وَرَفَعُوهُ فَوَضَعَهُ ﷺ فِي مَحَلِّهِ وَبَنَاهُ وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْتَوْدِعُونَ نَفِيسَ أَمْوَالِهِمْ فِي دَارِهِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِهِ وَأَذِنَ لَهُ فِي الهِجْرَةِ وَمُفَارَقَةِ وَطَنِهِ، فَكَانَ أَعْظَمُ هَمِّهِ فِيمَنْ يَنُوبُ عَنْهُ فِي رَدِّ أَمَانَاتِ قَوْمِهِ، فَأَنَابَ عَنْهُ ابْنَ عَمِّهِ عَلِيّاً، وَأَمَرَهُ أَنْ لا يُغَادِرَ مَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيهَا لأَهْلِهَا، وَمِثْلُ هَذَا العَمَلِ لا يَصْدُرُ إِلاَّ مِمَّنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ وَكَمَالِ الصِّفَاتِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ.

الفَصلُ التّاسِعُ وَالتِّسعُونَ

وَفَاؤُهُ بِعَهْدِهِ وَبِرِّهِ فِي وَعْدِهِ

وَفَاؤُهُ بِعَهْدِهِ وَبِرُّهُ فِي وَعْدِهِ

أَمَّا الوَفَاءُ بَالعَهْدِ وَالبِرُّ فِي الوَعْدِ فَهُمَا مِنْ لَوَازِمِ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، وَقَدْ جَعَلَ ﷺ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ عَلاَمَاتِ الإِيمَانِ وَأَضْدَادهَا عَلاَمَاتِ للنِّفَاقِ.

فَمِنْ شَوَاهِدِ وَفَائِهِ بِالعَهْدِ: أَنَّهُ لَمَّا تَقَرَّرَتْ شُرُوطُ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ، وَفِيهَا أَنْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قُرَيْشٍ كُلَّ مَنْ جَاءَهُ مِنْهُمْ مُسْلِماً جَاءَهُ مُسْلِماً أَبُو جَنْدَلِ العَامِرِيُّ يَرْفُلُ فِي قَيْدِهِ، فَقَالَ: مَنْدُوبُ قُرَيْشٍ لِلصُّلْحِ هَذَا الرَّجُلُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ تُجِيزُ هَذَا لِي**».

فَقَالَ القُرَيْشِيُّ: لا أُجِيزَهُ لَكَ بَلْ تَرُدُّهُ عَلَيْنَا، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ وَأَوْصَاهُ بِالصَّبْرِ وَبَشَّرَهُ بِالفَرَجِ. وَمِنْ شَوَاهِدِ بِرِّهِ بِوَعْدِهِ أَنَّهُ تَبَايَعَ مَعَ رَجُلٍ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: مَكَانَكَ حَتَّى آتِيكَ، فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُ حَتَّى عَادَ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ يَا هَذَا كَثِيراً فَإِنَّنِي مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُكَ مُنْذُ أَمْس**».

الفَصلُ المَائَةُ

فَصَاحَةُ لِسَانِهِ وَعُذُوبَةُ بَيَانِهِ

فَصَاحَةُ لِسَانِهِ وَعُذُوبَةُ بَيَانِهِ

أَمَّا الفَصَاحَةُ فَقَدْ عَلاَ سِنَامَهَا، وَمَلَكَ زِمَامَهَا، يُخَاطِبُ كُلَّ قَبِيلَةٍ بِلَحْنِ لِسَانِهَا، وَيَسْبِقُهَا فِي مَيْدَانِ بَيَانِهَا مَعَ عُذُوبَةِ اللَّفْظِ، وَسَلاَمَةِ التَّعْبِيرِ، وَجَزَالَةِ المَعْنَى، يَحْفَظُ كَلاَمَهُ سَامِعُوهُ، وَيَفْهَمُ تَعْبِيرَهُ وَاعُوهُ، يَجْلِسُ البَدَوِيُّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَيَّاماً فَيَعُودُ إِلَى قَوْمِهِ مُعَلِّماً كَأَنَّمَا دَرَسَ أَعْوَاماً.

وَقَدْ جَمَعَ العُلَمَاءُ مِنْ جَوَاهِرِ كَلِمِهِ وَدُرَرِ حِكَمِهِ مَا لا يُوَازِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهِ، وَبَلاَغَةِ مَعْنَاهُ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَرِفَ مِنْ بَحْرِهَا، وَيَعْتَنِي بِحِفْظِ جَوَاهِرِ دُرَرِهَا، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

الفَصلُ الوَاحِدُ بَعْدَ المَائَةُ

ثَبَاتِ جَنَانِهِ وَبَسطُ بَنَانِهِ وَسِعَةِ صَدْرِهِ

ثَبَاتِ جَنَانِهِ وَبَسْطُ بَنَانِهِ وَتسِعَةُ صَدْرِهِ

أَمَّا الشَّجَاعَةُ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا وَحَامِلُ لِوَائِهَا وَرَايَتِهَا. حَضَرَ الوَقَائِعَ وَالمَلاَحِمَ وَفَرَّ عَنْهُ كُمَاةُ الأَبْطَالِ، فَثَبَتَ فِي مُوْقِفِهِ ثُبُوتَ رَاسِيَاتِ الجِبَالِ، بَلْ كَانَ إِذَا حَمِي الوَطِيسُ أَعْلَمَ عَنْ نَفْسِهِ.

«أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»[1].

ثُمَّ يَتَقَدَّمُ إِلَى نُحُورِ الأَعْدَاءِ حَتَّى يَكُونَ أَشْجَعُ الكُمَاةِ مَنْ يَقْرُبُ مِنْ مَوْقِفِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ. وَحَسْبُكَ مَا وَقَعَ مِنْهُ فِي يَوْمَيْ أُحُدٍ وَحُنَيْنٍ فَإِنَّهُ بَعْدَ انْهِزَامِ المُسْلِمِينَ، بَقِيَ يُقَاتِلُ حَتَّى أَتَاهُ النَّصْرُ المُبِينُ.

وَأَمَّا الكَرَمُ فَهُوَ سَحَابُهُ المَاطِرُ، وَبَحْرُهُ الزَّاخِرُ، مَا رَدَّ سَائِلاً، وَلاَ خَيَّبَ آمِلاً، بَلْ كَانَ سَهْلَ الإِنْفَاقِ، جَزْلَ الإِرْفَاقِ، يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لاَ يَخْشَى الفَقْرَ، أَعْطَى المُؤَلَّفَةِ يَومَ حُنَيْنٍ مِنْ مَائَةٍ وَمِنْ خَمْسِينَ وَمِنْ أَرْبَعِينَ مِنَ الجِمَالِ، ثُمَّ بَعْدَ قِسْمَةِ الغَنَائِمِ، أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ تَطْلُبُ بِرَّهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ السَّبْيَ، وَكَانَ سِتَّةَ آلافٍ.

---

(١) سبق تخريج الحديث.

وَحُمِلَ إِلَيْهِ مَرَّةً تِسْعُونَ أَلفاً فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَسَّمَهَا، ثُمَّ جَاءَ سَائِلٌ.

فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**اقْتَرِضْ وَنَحْنُ نُوَفِّيهِ لَكَ**».

وَأَمَّا الصَّبْرُ وَالحِلْمُ فَقَدْ كَانَا سَجِيَّةً لَهُ مِنْ بَدْءِ نَشْأَتِهِ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ قَضَى فِي قُرَيْشٍ بَعْدَ بِعْثَتِهِ ﷺ ثَلاَثَةَ عَشَرَ عَاماً آذُوهُ بِأَنْوَاعِ الإِيذَاءِ، وَسَلَّطُوا عَلَيْهِ العَبِيدَ وَالسُّفَهَاءَ، فَرَمَوهُ بِالحِجَارَةِ حَتَّى صُبِغَتْ نَعْلاهُ بِالدِّمَاءِ. فَمَا كَانَ مِنْهُ لَهُمْ إِلاَّ الدُّعَاءَ:

«**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي... اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهم لاَ يَعْمَلُونَ**».

وَلَمَّا اسْتَأْمَرَهُ مَلَكُ الجِبَالِ فِي إِهْلاَكِهِمْ إِجَابَهُ بِقَوْلِهِ:

«**إِنِّي أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَتَوَلاَّهُ**»[1].

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤/ ٢١٤)، وأحمد في المسند: (١/ ٤٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ١١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٤١٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير: (٦/ ١٤٦ و٢٠١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٥/ ٥٤) و(٧/ ٩٣ و١٠٨ و٣٦٠) و(٨/ ٢٥٨)، والهندي في كنز العمال: (٢٩٨٨٣) و(٣٥٥٦٣)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٩٧٩٩) و(٩٨٧٢)، وابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٣٧٣) و(١٢/ ٢٨٢)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٣/ ٢١٥).

الفَصلُ الثَّانِي بَعْدَ المَائَةِ

وَفُورُ عِلْمِهِ وعَدَالَتُهُ حُكْمِهِ وَدِقَّةُ نَظَرِهِ

فِي سِيَاسَةِ قَوْمِهِ

وَفُورُ عِلْمِهِ وعَدَالَةُ حُكْمِهِ
وَدِقَّةُ نَظَرِهِ فِي سِيَاسَةِ قَوْمِهِ

أَمَّا العِلْمُ فَقَدْ حَازَ مَصُونَهُ وَأَحْرَزَ مَكْنُونَهُ، أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ كِتَاباً جَامِعاً لِعُلُومِ الأَوَائِلَ وَالأَوَاخِرِ، ثُمَّ وَكَّلَ إِلَيْهِ شَرْحَ مَا حَوَاهُ مِنْ أُصُولِ الشَّرائِعِ الَّتِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا حَتَّى الآنَ تَشْرِيعُ أَرْقَى أُمَمِ بَنِي الإِنْسَانِ، وَأَمَرَهُ بِبَيَانِ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ حِكَمٍ وَمَوَاعِظ وَآدابٍ تَخْضَعُ لِعَظَمَتِهَا عُقُولُ ذَوِي الأَلْبَابِ، فَقَامَ بِمَا وُكِلَ إِلَيْهِ أَتَمَّ قِيَامٍ وَلاَ تَزَالُ الأُمَمُ الحَيَّةُ تَغْتَرِفُ مِنْ بَحْرِ عَلِمِهِ الزَّاخِرِ وَتَقْتَبِسُ مِنْ نُورِ مِشْكَاتِهِ البَاهِرِ.

وَأَمَّا العَدْلُ فَهُوَ أَسَاسُ أَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ، سَاوَى فِيهَا بَيْنَ الرَّفِيعِ وَالوَضِيعُ، وَالعَدُوِّ، وَالصَّدِيقِ، وَالمَرؤوس وَالرَّئيس، وَبِذَلِكَ تَمَّ لَهُ بِنَاءُ جَامِعَةِ الدِّينِ، وَانْدَمَجَتْ فِيهَا أَجْنَاسُ الأُمَمِ لا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبٍ وَعَجَمٍ وَلاَ بَيْنَ أَسْوَدَ وَأَبْيَضَ.

وَمِن لَطَائِفِ عَدْلِهِ أَنَّهُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ قَامَ يُصْلِحُ صُفُوفَ الجَنْدِ، فَضَرَبَ سَوَادَ بْنَ غَزْيَةَ أَحَدَ الجُنْدِ عَلَى بَطْنِهِ بِعَصا كَانَتْ فِي يَدِهِ، فَقَالَ لَهُ سَوَادٌ: القَوَدَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْجَعْتَنِي.

فَنَاوَلَهُ العَصَا وَكَشَفَ لَهُ عَنْ بَطْنِهِ، فَأَقْبَلَ الجُنْدِيُّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُ

بَطْنَهُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: «**مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟**» قَالَ الجُنْدِي: قَدْ حَضَرَ مَا تَرَى وَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ عَهْدِي مِنَ الدُّنْيَا مَسُّ جِلْدِي جِلْدَكَ[1].

وَأَمَّا السِّيَاسَةُ فَهُوَ عَاهِلُهَا الأَكْبَرُ، وَعَذِيقُهَا المُرَجَّبُ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ قَامَ بِدَعْوَتِهِ فِي أُمَّةٍ جَاهِلَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ مَعَاهِدِ العِلْمِ وَأَهْلِهِ، مُنْقَسِمَةٍ عَلَى قَبَائِلَ مُتَعَادِيَةٍ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنْهَا تَرَى فَخْرَهَا فِي إِبَادَةِ جَارَتِهَا، فَبَثَّ تَعَالِيمَهُ القَوِيمَةَ فِيهِمْ نَحْوَ عِشْرِينَ عَاماً أَزَالَ تِلْكَ الفَوَارِقَ وَأَبْدَلَ العَدَاءَ بِالأُلْفَةِ، وَالقَطِيعَةَ بِالاتِّحَادِ، فَاجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ، وَصَارُوا كُتْلَةً وَاحِدَةً دَوَّخُوا العَالَمَ بِفُتُوحَاتِهِمْ، وَسَادُوا بِعَدْلِهِمْ مُلُوكَ الأَرْضِ وَبَسَطُوا سُلْطَانَ حُكْمِهِمْ فِي طُولِ البَسِيطَةِ وَالعَرْضِ فِي مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ لَمْ يُعْهَدْ لَهَا نَظِيرٌ فِي نَوَامِيسِ البَشَرِ.

ثُمَّ إِنَّ فِي مُكَاتَبَاتِهِ وَمُعَاهَدَاتِهِ ﷺ وَأَعْمَالِهِ الشَّيء الكَثِيرَ مِنْ لَطَائِفِ السِّيَاسَةِ وَدَقَائِقِهَا، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ عَامَ الفَتْحِ طَلَبَ العَبَّاسُ لَهُ مَيزَةً يَتَأَلَّفُهُ بِهَا، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُنَادِي بِمَكَّةَ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**»[2] فَأَرْضَى عَمَّهُ العَبَّاسَ وَأَبَا سُفْيَانَ بِالأَوَّلِ وَمَحَا أَثَرَ المِيزَةِ بِالثَّانِي وَالثَّالِثِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة: (٢/١٤٨)، الترجمة رقم: (٣٥٧٥).

(٢) سبق تخريجه.

الفَصلُ الثَّالِثُ بَعْدَ المَائَةُ

كَمَالُ حَيَاتِهِ وَتَوَاضُعِهِ وَحُسنُ عِشرَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ

كَمَالُ حَيَاتِهِ وَتَوَاضُعِهِ وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَدِيدَ الحَيَاءِ وَالتَّوَاضُعِ، يَغُضُّ طَرْفَهُ عَمَّا لاَ يُعْجِبُهُ، وَيَتَبَسَّمُ لِمَا يُعْجِبُهُ، يَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِهِ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ المَجْلِسُ، وَيَمْشِي بَيْنَهُم وَلاَ يَرْضَى بأَنْ يُخَصَّصَ لَهُ مَكَانٌ وَلاَ أَنْ يَمْشِي بَيْنَ حَاجِبٌ يَرْكَبُ الفَرَسَ وَالبَعِيرَ وَالبَغْلَةَ وَالحِمَارَ بِإِكَافٍ وَبِغَيْرِ إِكَافٍ[1]، وَيُرْدِفُ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِكْبَارٍ وَلاَ اسْتِنْكَافٍ، يُحِبُّ الفُقَرَاءَ وَالمَسَاكِينَ، وَيَعُودُ المَرْضَى، وَيُواسِي المُحْتَاجِينَ، وَيَتَأَلَّفُ أَهْلَ الشَّرَفِ وَالفَضْلِ، وَيُعْطِي كُلَّ جَلِيسٍ مِنْ كَرَامَتِهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ حَتَّى يَظُنُّ كُلُّ جَلِيسٍ لَهُ أنه أَكْرَمُ جُلَسَائِهِ عَلَيْهِ، يُمَازِحُ وَيُبَاسِطُ وَلَكِنه لاَ يَقُولُ إلا حَقّاً، دَخَلَ مَكَّةَ فِي عَشَرَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ رَاكِباً نَاقَتَهُ مُطَأطِئاً رَأسَهُ حَتَّى حَاذَى بِهِ رَحْلَهُ تَوَاضُعاً وَخَشْيَةً، وَحَجَّ ﷺ حَجَّةَ الوَدَاعِ فِي نَحْوِ مَائَةِ أَلفٍ مِنَ الأَصْحَابِ وَالأَتْبَاعِ، فَرَكِبَ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ يُسَاوِي عَشَرَةَ دَرَاهِمَ مُرْدِفاً مَعَهُ أَحَدَ صِغَارِ أَقَارِبِهِ مَعَ أَنَّهُ ذَبَحَ فِي تِلْكَ الحِجَّةَ مَائَةِ بَدَنَةٍ تَقَرُّباً إِلَى مَوْلاهُ جَلَّ وَعَلاَ، وَكَانَ ﷺ خَيْرَ النَّاسِ لأَهْلِهِ، يَخْدِمُهُمْ بِنَفْسِهِ، فَيَجْلِبَ

(١) **الإكاف**: البردعة.

شِيَاهَهُمْ، وَيَقْضِي مِنَ الأَسْوَاقِ حَوَائِجهمْ، وَيَسْمُرُ بَعْضَ اللَّيَالِي مَعَه وَرُبَّمَا اغْتَسَلَ مَعَ إِحْدَى أَزْوَاجِهِ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانُوا يُغَاضِبُونَهُ وَيَهْجُرُونَهُ، فَيَصْبِرَ، وَلاَ يُعَاقِبُ، مَا ضَرَبَ خَادِماً، وَلاَ عَابَ لَهُ عَمَلاً، بَلْ مَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعَهُ خَادَمُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ، وَلاَ لِشَيْءٍ تركهَ لِمَ تَرَكْتَهُ، وَكَثِيراً مَا كَانَ يُبَاسطُ أَهْلَهُ وَضُيُوفَهُمْ.

دَخَلَ مَرَّةً عَلَى عَائِشَةَ وَعِنْدَهَا امْرأَةٌ تُكْثِرُ الثَّنَاءَ عَلَى زَوْجِهَا فَقَال عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ:

«أَلَيسَ فِي عَينِهِ بَيَاضٌ؟»

فَقَالَتْ المَرْأَةُ: كَلاَّ إِنَّ عَيْنَيْهِ أَحْسَنُ عَيْنٍ رَأَيْتُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بَلَى أَنَّ فِي عَينَيهِ بَيَاضاً»**.

فَبَكَتِ المَرْأَةُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَلَيسَ كُلُّ إِنسَانٍ فِي عَينَيهِ بَيَاضٌ»**[1] فَضَحِكَتْ وَاسْتَبْشَرَت عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٦/ ٣٧)، وابن حجر في فتح الباري: (١٠/ ٣٨٧)، والهندي في كنز العمال: (٢٧٥١١) و(٢٧٥١٢) و(٢٨٥١٣) و(٢٧٥١٨).

الفَصْلُ الرَّابِعُ بَعْدَ المَائَة

شِدَّةُ قَنَاعَتِهِ وَزُهْدِهِ وَكَثْرَةُ عِبَادَتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَرَحْمَةُ قَلْبِهِ

شِدَّةُ قَنَاعَتِهِ وَزُهْدِهِ وَكَثْرَةُ عِبَادَتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَرَحْمَةُ قَلْبِهِ

أَمَّا الزُّهْدُ فَقَدْ كَانَ إِمَامَهُ، تَرَبَّى فِي بَيْتِ عَمِّه أَبِي طَالِبٍ عَلَى شَظَفِ العَيشِ فَكَانَ قَانِعاً بِمَا يَصِلُ إِلَيْهِ، لَمْ يُزَاحِمْ خُلَطَاءَهُ عَلَى طَعَامٍ، وَقَدْ شَهِدَتْ لَهُ بِذَلِكَ حَاضِنَتُهُ أُمُّ أَيْمَنَ، ثُمَّ لَمَّا أَغْنَاهُ اللَّهُ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا، وَاقْتَصَرَ فِي قُوتِهِ وَلِبَاسِهِ وَفِرَاشِهِ عَلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةُ الحَيَاةِ، فَكَانَ فِرَاشُهُ ﷺ الجِلْدَ وَالحَصِيرَ[1] وَلِبَاسُهُ البُرْدَ الغَلِيظَةَ وَطَعَامُهُ التَّمْرَ وَالشَّعِير[2]، تَمْضِي بِضْعُ شُهُورٍ عَلَى أَهْلِهِ لا يُوقِدُونَ نَاراً، وَكَثِيراً مَا كَانَ يَبِيتُ طَاوِياً وَيُصْبِحُ صَائِماً[3]، حُمِلَتْ إِلَيْهِ الأَمْوَالُ فَلَمْ يَدَّخِرْ لِنَفْسِهِ مِنْهَا شَيْئاً بَلْ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيّ فِي قُوتِ لأَهْلِهِ، عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

وَأَمَّا خَشْيَتُهُ فَقَدْ كَانَ ﷺ يُوَاصِلُ الصَّوْمَ حَتَّى يَظُنُّوا أَنَّهُ لاَ

(١) أخرج أحمد في المسند: (٦/ ٧٣): كان فراش رسول الله ﷺ أدماً وحشوة ليف.

(٢) أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠/ ٣٢١): كان طعامنا مع نبي الله التمر والماء.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٥/ ١٥١).

يُفْطِرُ[١] وَيُطِيلَ القِيَامَ وَالسُّجُودَ فِي الصَّلاةِ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، وَيَظُنَّ أَنَّهُ فَارَقَ الحَيَاةُ، يُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيرِ القِدْرِ فِي حَالِ المُنَاجَاةِ[٢]، كُلَّ ذَلِكَ خَشْيَةً مِنْ مَوْلاهُ، وَكَانَ يُجِيبُ مَنْ يُطَالِبُهُ بِالرِّفْقِ بِنَفْسِهِ (لأَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ) بِقَوْلِهِ:

«أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»[٣].

وَأَمَّا رَأْفَتُهُ ورَحْمَتُهُ فَقَدْ ظَهَرَتَا فِي أَدْوَارِ حَيَاتِهِ، وَاتَّضَحَتَا مِنْ مُعَامَلَتِهِ لِقَومِهِ فِي تَطَوُّرِ حَالاتِهِ، فإِنَّهُ لَمَّا انْهَزَمَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ وَاستَحَرَّ فِيهِمْ القَتْلُ، أَمَرَ مَنْ يُنَادِي بِالكَفِّ عَنْهُ وَاسْتِبْدَالِهِ بَالأَسْرِ.

وَأَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعُوا فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَقَفَ عَلَيْهِمْ وَخَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ:

«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَاذا تَظُنُّون أَنِّي فَاعِلٌ بِكُم اليَومَ؟».

فَأَجَابُوهُ: خَيْراً أَخٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (١/ ١٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٣/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٣/ ٢٣)، وابن كثير في تفسيره: (٣/ ٣١٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: (٤١٢)، وابن ماجه في سننه: (١٤١٩) و(١٤٢٠)، وأحمد في المسند: (٤/ ٢٥١ و٢٥٥) و(٦/ ١١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٢/ ٤٩٧) و(٣/ ١٦).

فَقَالَ لَهُمْ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء**»[1].

عِنْدَ ذَلِكَ أَسْلَمُوا وَطَلَبُوا مِنْهُ العَفْوَ عَنْهُمْ فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ:

«**لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**»[2].

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ».

(١) أخرجه ابن حجر في فتح الباري: (٨/ ١٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٨/ ٤١)، وانظر مناهل الصفا: (١٨).

(٢) أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٣/ ١٧٩).

الفَصلُ الخَامِسُ بَعْدَ المَائَة

خَبَرُ الوَفَاةِ

خَبَرُ الوَفَاةِ

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[2].

في شَهْرِ صَفْر مِنَ السَّنَةِ العَاشِرَةِ لِلهِجْرَةِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِالتَّأَهُّبِ لِلجِهَادِ وَعَيَّنَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مَوْلاَهُ أَمِيراً عَلَى الجَيْشِ وَكَانَ سِنُّهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَفِي الجَيْشِ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ بِالجَيْشِ إِلَى نَاحِيَةِ البَلْقَاءِ وَأَنْ يُوطِىءَ الخَيْلَ أَرْضَ أُبْنَى قُرْبَ مُؤْتَةَ حَيثُ اسْتَشْهَدَ وَالِدُهُ زَيْدٌ[3]، وَجَعْفَرٌ الطَّيَارُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ.

فَتَجَهَّزَ أُسَامَةَ، وَخَيَّمَ خَارِجَ المَدِينَةِ لِيَتَكَامَلَ الجَيْشُ، وَلِكنَّ اللَّهَ غَالِبَ عَلَى أَمْرِه، فَفِي يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ صَفَرٍ اعْتَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَضُ الحُمَّى، فَتَقَاعَسُوا عَنْ إِنْفَاذِ الجَيْشِ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٥٦).

(٢) سورة الرحمٰن، الآية: (٢٦ ـ ٢٧).

(٣) أخرجه الحميدي في المسند: (٥٢٦).

وَيَوْم الخَمِيس ثَمَانِيَةَ رَبِيعِ الأَوَّلِ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّؤسَاءِ فَحَادَثَهُمْ كَعَادَتِهِ ثُمَّ قَالَ:

«إِيتُونِي أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً».

فَاهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَتِهِ، فَثَارَت فِي مَجْلِسِهِ زَوْبَعَةٌ عَظِيمَةٌ، كَانَتْ مَسَاعِي العُقَلاَءِ فِي إِخْمَادِهَا عَقِيمَةً، ذَلِكَ أَنَّ الحَاضِرِينَ اخْتَلَفُوا فِي فَهْمِ مَا أَرَادَ وَكَثُرَ اللَّغَط حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ، وَقَال آخَرُ: هَجَرَ هَجَرْ، وَقَالَ آخَرُونَ: قَرِّبُوا لَهُ يَكْتُبُ مَا يُرِيدُ وَطَالَ النِّزَاعُ.

فَلَمَّا رَأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَنَازُعَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَانَ أَمْرُ الكِتَابَةِ أَمْرَ تخْيِيرٍ صَرَفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ:

«دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ»[1].

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُسَامَةَ أَنْ يُعَجِّلِ بِالسَّفَرِ وَأَنْ لاَ يَتَخَلَّفَ مِنْ جَيْشِهِ أحَدٌ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَشَارَ عَلَى أُسَامَةَ بَالتَّرَيُّثِ رَجَاءَ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ بَالشِّفَاءِ.

وَيَوْمَ الأَحَدِ اشْتَدَّ المَرَضُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَمَعَ أَهْلَهُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤/ ٨٥) و(٦/ ١١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الوصية، باب: (٥)، رقم: (٢٠)، وأحمد في المسند: (١/ ٢٢٢)، وعبد الرزاق في المصنف: (١٩٣٧١)، وابن حجر في فتح الباري: (٨/ ١٣٢).

وَأَقَارِبَهُ وَأَدْنَى مِنْهُ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ ثُمَّ سَارّهَا بِوَفَاتِهِ، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً، ثُمَّ سَارَّهَا بِكَوْنِهَا أَوَّلَ النَّاسِ لُحُوقاً بِهِ، فَخَفَّ بِكَاؤهَا وَرَجَتْ مِنْ عَلِيٍّ وَالعَبَّاسِ أَنْ لاَ يَبْرَحَا عَنِ الدَّارِ[1].

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (٦/٤٠٧)، وأبو نعيم في الحلية: (٢/٤٠)، وابن سعد في الطبقات: (٢/٤٠)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٤/١٢٧).

الفَصلُ السَّادِسُ بَعدَ المَائَة

يَومُ الوَفَاةِ

يَوْمُ الوَفَاةِ

فِي صُبْحِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ اثْنَى عَشَرَ رَبِيعِ الأَوَّل، انْتَقَلَ المُصْطَفَى ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، وَرَقَتْ رَوْحُهُ الطَّاهِرَةُ إِلَى السَّمَواتِ العُلَا، فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ وَالعَبَّاسُ إِلَى أُسَامَةَ وَكِبَارِ الصَّحَابَةِ بِالخَبَرِ، فَأَقْبَلُوا وَقَدْ وَقَعَ النَّبَأُ مَوْقِعَ الصَّاعِقَة عَلَى الرُّؤُوسِ، فَحَارَتِ الأَفْكَارُ وَدُهِشَتِ العُقُولُ، حَتَّى ذَهلَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مُحَمَّداً يَمُوتُ كَغَيْرِه مِنَ الرُّسُلِ، وَصَارَ القَوْمُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ حَتَّى قَالَ عُمَرُ:

مَنْ تَحَدَّثَ بِأَنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ قَطَعْتُ عُنُقَهُ.

وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيّاً وَمَيْتاً.

عِنْدَ ذَلِكَ صَعَدَ أَبُو بَكْرٍ المَنْبَرَ وَتَلا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[1] ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٤٤).

كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ أَبداً. بِهَذِهِ الخُطْبَةَ زَالَ بَعْضُ الارْتِبَاكِ مِنْ رُؤُوسِ الرُّؤَسَاءِ وَشَرَعُوا يُفْهِمُونَ غَيْرَهُمْ مِنَ الغَوْغَاءِ.

ثُمَّ لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ أَقْبَلُوا عَلَى دَارِ النَّبِيِّ وَقَدْ أَتَمَّ تَجْهِيزَهُ العَبَّاسُ وَعَلِيّ، فَصَلَّى الرِّجَالُ عَلَيْهِ تِبَاعاً ثُمَّ صَلَّتْ بَعْدَهُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، ثُمَّ حَمَلُوهُ، وَفِي صُفَّةِ بَيْتِ عَائِشَةَ وَضَعُوهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ البُخَارِي أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ نَعَتْهُ بِقَوْلِهَا:

يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ
يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلُ نَنْعَاهُ

وَلَمَّا دَفَنُوهُ قَالَتْ عَلَيْهَا السَّلامُ:

يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أن تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ.

وَكَانَ آخِرُ كَلامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**»(١) عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ.

* * *

فَالحَمْدُ لِلَّهِ فِي البَدءِ وَالخِتَامِ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَصَابِيحُ الظَّلام وَبُدُور التَّمَام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦/ ١٨ و١٩) و(٨/ ٩٤ و١٣٣)، وأحمد في المسند: (٦/ ٨٩)، وابن حجر في فتح الباري: (٨/ ١٥٠) و(١١/ ١٤٩ و٣٥٨)، ومالك في الموطأ: (٢٣٩)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٧/ ١٢٠٨)، والربيع بن حبيب في المسند: (٢/ ٢٦).

فهرس المحتويات

كلمة التقديم ليوسف الدموي ٥
كلمة التقديم الشنقيطي ٧
ترجمة المؤلف ٩
مؤلفاته ١٦
المُقَدِّمَةُ أنباءُ الرُّسل عَلَيْهِم الصّلاةُ والسّلامُ ١٨
● بِعْثَةُ الْمُنْقِذِ الأعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ ١٩
● حَالَةُ العَالَمِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والدِّينِيَّةِ والأَخْلاَقِيَّةِ فِي القَرْنِ السَّادِسِ لِلْمِيلاَدِ . ٢٠
● سُنَّةُ اللَّهِ فِي بِعْثَةِ الرُّسُلِ ٢٢
● المُقَارَنَةِ بَيْنَ الأُمَمِ وفَضْلُ العَرَبِ ٢٣
مصادر الكتاب ٢٧
الجُزء الأوّلُ من كتاب زبدة السِّيرة النَّبويَّة أو زبْدَة المُجْمَلِ لصَحِيحِ
المَنْقُولِ مِنْ تَارِيخُ حَياةِ الرّسُول ٢٨
الفَصْلُ الأوّلُ اصْطِفَاءُ اللّه لَهُ ﷺ ٣١
الْفَصْلُ الثَّانِي اقْتِرَان أَبَوَيْهِ الكَرِيمَيْنِ ٣٣
الفَصْلُ الثَّالِثُ رَضَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَفَالَتُهُ ٣٦
الفَصْلُ الرَّابِعُ أَطْوَارُهُ فِي نَشْأَتِهِ ٣٩
الفَصْلُ الخَامِسُ زُهْدُهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي المَالِ ٤٢
الفَصْلُ السّادِسُ بَدْءُ نُزُولِ الوَحْي ٤٥
الفَصْلُ السَّابِع فَتْرَةُ الوَحْيِ وَشِدَّةِ شَوْقِ الرَّسُولِ ٤٨
الفَصْلُ الثَّامِن قُوَّةُ عِزِيمَتِهِ ﷺ وَمُلَخَّصُ دَعْوَتِهِ ٥١
الفَصْلُ التَّاسِع سِيَاسَتُهُ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ وَأَوَّلُ مَنْ سَارَعَ بِإِجَابَتِهِ ٥٤
الفَصْلُ العَاشِر جَمْعُهُ بَنِي هَاشِم لِسَمَاعِ دَعْوَتِهِ ٥٧
الفَصْلُ الحَادِي عَشَر القُرْآن الكَرِيم هُوَ مُعْجِزَتُهُ البَاقِيَةُ ٦٠

الفَصْلُ الثَّانِي عَشَر جَرَاءَةُ قُرَيْشٍ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِسْلاَمُ عَمِّه حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٦٣
الفَصْلُ الثَّالِث عَشَر قُوَّةُ عَزِيمَة أَبِي طَالِب فِي الدِّفَاعِ عَنْ النَّبِي ﷺ ٦٦
الفَصْلُ الرَّابِعُ عَشَر الهِجْرَةِ الأُولَى إِلَى الحَبَشَةِ وَأَسْمَاءُ المُهَاجِرِينَ ٦٩
مَسْأَلَةُ الغَرَانِيقِ ٧١
الفَصْلُ الخَامِسُ عَشَر إِسْلاَمُ عُمَرَ رِضَيَ اللَّهُ عَنْهُ وَطَوافُ المُسْلِمِينَ بِالبَيتِ جِهَاراً ٧٣
الفَصْلُ السَّادِس عَشَر عَدَدُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَوَّلِ البِعْثَةِ إِلَى الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ جَهَاراً وَيُسَمُّونَ السَّابِقِينَ وَالسَّابِقَاتِ ٧٦
الفَصْلُ السَّابع عَشَر شَهَامَةُ أَبِي طَالِب وَثَبَاتُهُ أَمَامَ تَيَّارِ المُقَاطَعَةِ ٨٢
الفَصْلُ الثَّامِن عَشَر الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الحَبَشَةَ وَأَسْمَاء المُهَاجِرِينَ ٨٥
الفَصْلُ التَّاسِع عَشَر العِظَةُ وَالعِبْرَةُ بِعَدَدِ مَنْ أَسْلَمَ فِي نَحْوِ سَبْعِ سَنَوَاتٍ .. ٩٠
الفَصْلُ العشْرُون اشْتِدَادُ وَطْأَةِ المُقَاطَعَةِ وَثَبَاتُ الهَاشِمِيينَ ٩٣
الفَصْلُ الحَادِي وَالعِشْرُون المُصَابُ الأَلِيمْ بِمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ زَعِيمُ الهَاشِمِيّين وخَدِيجَةَ أُمّ المُؤْمِنِينَ ٩٦
الفَصْلُ الثَّانِي وَالعِشْرُون هِجْرَتُهُ إِلَى الطَّائِفِ رَجَاءَ أَنْ تُؤْمِنَ وَتَأْوِيهِ ثَقِيفٌ . ٩٩
الفَصْلُ الثَّالِث وَالعِشْرُون الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ ١٠٣
الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُون فِي الأَدِلَّةِ المَحْسُوسَةِ عَلَى جوَازِهمَا وَوُقُوعِهِمَا لَهُ ﷺ ١٠٦
الفَصْلُ الخَامِس وَالعِشْرُون مُلَخَّصُ قِصَّةِ الإِسْرَاءِ ١١٠
الفَصْلُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونْ مُلَخَّصِ قِصَّةِ المَعْرَاجِ ١١٢
الفَصْلُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونْ سِدْرةُ المُنْتَهَى وَفَرْضُ الصَّلَوات ١١٥
الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالعشْرُون عَوْدُهُ إِلَى مَكَّةَ وَإِخْبَارُهُ قَوْمَهُ بِمَسْرَاهُ ١١٩
الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالعشْرُون إِقَامَتُهُ ﷺ البُرْهَانَ عَلَى صِدْقِ الخَبَرِ ١٢٢
الفَصْلُ الثَّلاثُونَ بَعْضُ أَسْرَارِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ وَحِكْمَتِهَا ١٢٥
الفَصْلُ الحَادِي وَالثَّلاثُونَ تَعْلِيمُ كَيْفِيَّةِ الصَّلَوَاتِ وَتَحْدِيدُ أَوْقَاتِهَا ١٢٨
الفَصْلُ الثَّانِي وَالثَّلاثُونَ شِدَّةُ المُعَارَضَة سَبَبٌ لانْتِشَارِ الدَّعْوَةِ ١٣٠

الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ عَرْضُ الرَّسُولِ نَفْسَهُ عَلَى القَبَائِلِ وَمُحَاوَرَتُهُ لَبَعْضِهِمْ ١٣٤
الفَصْلُ الرَّابِعُ والثَّلاثُونَ إِسْلامُ الأَوْسِ والخزرج ١٣٨
الفَصْلُ الخَامِسُ وَالثَّلاثُونَ عَزْمُ مُصْعَبٍ وَمُسْلِمِي الخَزْرَجِ البَيْعَةَ الكُبْرَى .. ١٤٣
الفَصْلُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ البَيْعَةُ الكُبْرَى وَمَا دَارَ فِيهَا وَعَلَى أيِّ شَيءٍ وَقَعَتْ ١٤٨
الفَصْلُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ الأَمْرُ بِانْتِخَابِ النُّقَبَاءِ وَتَنْصِيبِهِمْ وَذِكْرُ أَسْمَائِهِمْ وَمَا جَرَى مِنْ قُرَيْشٍ ١٥٣
الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ فَوْزُ اليَثْرِبِيِّينَ وَفَشَلُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَمُؤَاخَاةُ الرَّسُولِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَهِجْرَتِهِمْ إِلَى يَثْرِبَ ١٥٧
الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ المُؤَامَرَةُ بِقَتْلِ النَّبِيِّ وَإِنَابَةُ عَلِيّ عَنْهُ وَنَوْمُهُ عَلَى فِرَاشِ المُخْتَارِ وَقْتَ خُرُوجِهِ مِنَ الدَّارِ ١٦١
الفَصْلُ الأَرْبَعُونَ تَدْبِيرُ أَمْرِ السَّفَرِ مَعَ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ ١٦٥
الفَصْلُ الحَادِي وَالأَرْبَعُونَ النُّزُولُ مِنَ الجَبَلِ وَالهِجْرَةُ إِلَى يَثْرِبَ ١٦٨
الفَصْلُ الثَّانِي والأَرْبَعُونَ وُصُولُ قُبَاءَ وَدُخُولُ المَدِينَةِ ١٧١
الجُزْءُ الثَّانِي من كتاب زبدة السيرة النبوية أو زبْدَة المُجْمَلِ لِصَحِيحِ المَنْقُولِ مِنْ تَارِيخِ حَيَاةِ الرَّسُولِ ١٧٤
الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ حَوَادِثُ السَّنَةِ الأُولَى مِنَ الهِجْرَةِ بَاكُورَةُ أَعْمَالِهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ ١٧٧
الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ خِطَّةُ تَكْوِينِهِ ﷺ الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ بِالمَدِينَةِ ١٨١
الفَصْلُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ المُؤَاخَاةُ وَحِكْمَةُ تَخْصِيصِهَا بِالمُهَاجِرِينَ ١٨٥
الفَصْلُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ نَشْرُ الدَّعْوَةِ إِلَى الإِسْلامِ وَإِسْلامُ ابْنُ سَلام ... ١٨٩
الفَصْلُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ تَمَادِي قُرَيْشٍ فِي البَغْيِ وَإِذْنُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ بِقِتَالِهِمْ ١٩٢
بَاقِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الأُولَى الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ سَرِيَّةُ حَمْزَةَ وَعُبَيْدَةَ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ١٩٥

سَرِيَّةُ حَمْزَةَ وَعُبَيْدَةَ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ١٩٦
حوادث السنة الثانية الفصل التاسع والأربعون ١٩٨
غَزْوَةُ وَدَّان وَتُسَمَّى الأبْوَاءَ وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ١٩٩
غَزْوَةُ العَشِيرَةِ ٢٠٠
سَرِيَّةُ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَبْدِ الله بْنِ جَحْشٍ الأسَدِي ٢٠٠
الفَصْلُ الخَمْسُونَ تحويلُ القِبْلَةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَالزَّكَاةُ صَلاَةُ العِيدِ وَزَوَاجُ فَاطِمَةَ وَعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ٢٠٢
الفَصْلُ الحَادِي وَالخَمْسُونَ غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى وَالشُّورَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ ... ٢٠٥
الفَصْلُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ الْتِقَاءُ الجَيْشَيْنِ وَالتِحَامُ القِتَالِ ٢٠٨
الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ دَفْنُ القَتْلَى وَنِدَاءُ المَوْتَى ٢١١
الحِزْبُ الأَوَّلُ المُهَاجِرُونَ أَرْبَعَةٌ وَتِسْعُونَ ٢١٥
الحِزْبُ الثَّانِي الأَوْسُ أَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ هَذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ ٢١٨
الحِزْبُ الثَّالِثُ الخَزْرَجُ مَائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَتِسْعُونَ هَذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ ٢٢١
بَاقِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ ٢٢٩
غَزْوَةُ بَنِي سُلَيم أو الكَدْرِ بِنَاحِيَةِ الفُرْعِ ٢٣٠
غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ بِالمَدِينَةِ ٢٣٠
غَزْوَةُ السُّوِيقِ ٢٣١
حَوَادِثُ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ الفَصْلُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ ٢٣٢
زَوَاجُهُ ﷺ بِزَيْنَبَ وَإِبْطَالُ بِدْعَةِ التَّبَنِّي وَالتَّبَرُّجِ الجَاهِلِي ٢٣٣
زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَتَبَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ قَبْلَ البِعْثَةِ ٢٣٤
زَوَاجُ زَيْدٍ بِزَيْنَبَ وَطَلاَقُهُ لَهَا ٢٣٤
إِبْطَالُ بِدْعَةِ التَّبَرُّجِ الجَاهِلِي ٢٣٧
بَاقِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ الفَصْلُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ ٢٣٩
غَزْوَةُ أُنْمَار أَو ذِي أَمرٍ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ٢٤٠
غَزْوَةُ بُحْرَانَ ٢٤١
سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى القَرَدَةِ فِي جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ٢٤١

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ غَزْوَةُ أُحُدٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ٢٤٢
غَزْوَةُ أُحُدٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ٢٤٣
الفصل الثامن والخمسون الْتِقَاءُ الجَيْشَيْنِ وَالتِحَامُ القِتَالِ ٢٤٥
الْتِقَاءُ الجَيْشَيْنِ وَالتِحَامُ القِتَالِ ٢٤٦
الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ الفَشَلُ نَتِيجَةُ مُخَالَفَةِ الأَمْرِ ٢٤٨
الفَشَلُ نَتِيجَةُ مُخَالَفَةِ الأَمْرِ ٢٤٩
الفَصْلُ السِّتُّونَ دَفْنُ القَتْلَى وَمُطَارَدَةُ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ ٢٥٢
دَفْنُ القَتْلَى وَمُطَارَدَةُ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ ٢٥٣
غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ ٢٥٣
الفَصْلُ الحَادِي والسِّتُّونَ مَا حَوَتْهُ غَزْوَةُ أُحُدٍ مِنَ الحِكَمِ وَالأَحْكَام ٢٥٦
حَوَادِثُ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ الفَصْلُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ ٢٥٩
أَجْرَأُ فِدَائِي يَسِيرُ وَحْدَهُ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى عَرَفَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَعَرَفَة ٢٦٠
سَرِيَّةُ قَطَنٍ شَرْقِي المَدِينَةِ فِي مُحَرَّمٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ٢٦٠
سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ فِي صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ٢٦١
الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ سَرِيَّةُ القُرَّاءِ أَوْ بِئْرِ مَعُونَةَ شَرْقِي المَدِينَةِ فِي صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ٢٦٢
سَرِيَّةُ القُرَّاءِ أَوْ بِئْرِ مَعُونَةَ شَرْقِي المَدِينَةِ فِي صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ٢٦٣
غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَهُمُ اليَهُودُ المُجَاوِرُونَ لِلمَدِينَةِ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ٢٦٤
غَزْوَةُ بَدْرٍ المَوْعِدِ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ ٢٦٤
حَوَادِثُ السَّنَةِ الخَامِسَةِ الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ ٢٦٥
حَوَادِثُ السَّنَةِ الخَامِسَةِ ٢٦٦
غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ جَنُوبَ المَدِينَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الفرع ٢٦٦
وَهَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي نَزَلَتْ فِي بَرَاءَةِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا ٢٦٩
الفَصْلُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ اليَهُودُ شَرُّ العِبَادِ وَجُرْثُومَة الفَسَادِ ٢٧١
الفَصْلُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ غَزْوَةُ الأَحْزَابِ ٢٧٤

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ اشْتِدَادُ الكَرْبِ وَعِظَمُ الخَطَرِ ثُمَّ هَزِيمَةُ الأَحْزَابِ . ٢٧٧
غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ وَوَفَاةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ٢٨٠
حَوَادِثُ السَّنَةِ السَّادِسَةِ الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ ٢٨٣
سَرِيَّةُ مُحَمَّد بْنِ مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِي إِلَى بَنِي كَلْبٍ (بِنَاحِيَةِ ضَرِيَّةِ) ٢٨٤
سَرِيَّةُ عُكَاشَةَ بْنِ مُحْصِنٍ إِلَى بَنِي أَسَدٍ (فِي نَاحِيَةِ فَيْدٍ) ٢٨٥
سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلَمَةَ ثُمَّ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى بَنِي سُلَيمٍ لأَنَّهُمْ قَاتَلُوا القُرَّاء السَّبْعِينَ - بِذِي القَصَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّبَذَةِ ٢٨٥
الفَصْلُ السَّبْعُونَ سَرِيَّةُ زَيْد بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي سُلَيمٍ ٢٨٦
سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضاً إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ بِالطَّرَفِ طَرِيقَ العِرَاقِ ٢٨٧
سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضاً إِلَى بَنِي فَزَارَةَ بِوَادِي القُرَى (شَمَالِ المَدِينَةِ) ... ٢٨٧
سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحمٰنِ بْنِ عَوفٍ إِلَى بَنِي كَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ (الجَوْفِ) بَيْنَ المَدِينَةِ وَدِمَشْقَ ٢٨٨
الفَصْلُ الحَادِي وَالسَّبْعُونَ سَرِيَّةُ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِبَنِي سَعْدٍ بِنَاحِيَةِ خَيْبَرَ ٢٩٠
سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ إِلَى أَسِيرِ بْنِ رِزَامَ بِمَدِينَةِ خَيْبَرَ ٢٩٠
سَرِيَّةُ كُرْزِ بْنِ خَالِدٍ الفِهْرِي فِي طَلَبِ العُرَنِيِّينَ ٢٩١
الفَصْلُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ غَزْوَةُ عُسْفَانَ وَقِصَّةُ الحُدَيْبِيَةِ ٢٩٢
الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ مُلَخَّصُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الفَتْحِ مِنْ كَلاَمِ المُحَقِّقِينَ .. ٢٩٦
الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ الحِكَمُ وَالأَحْكَامُ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا قِصَّةُ الحُدَيْبِيَةِ ... ٣٠٣
الفَصْلُ الخَامِسُ والسَّبْعُونَ غَزْوَةُ الغَابَةِ وَأَوَّلُ مُطَارِدٍ عَلَى قَدَمَيْهِ لِلْفُرْسَانِ . ٣٠٧
الجِزءُ الثالث من كِتاب زبدة السيرة النبوية أو زُبْدَة المُجْمَلِ لِصَحِيحِ المَنْقُولِ مِنْ تَارِيخ حَيَاةِ الرَّسُول ٣١٠
الفَصْلُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ مُكَاتبَتُهُ المُلُوكَ وَالأُمَرَاءِ ٣١٢
حَوَادِثُ السَّنَةِ السَّابِعَةِ الفَصْلُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ ٣١٦
أَوَّلُ عِصَابَةٍ فِي الإِسْلاَمِ يَرْأَسُهَا أَبُو بَصِيرٍ ٣١٧
الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ غَزْوَةُ خَيْبَرَ ٣١٩
الفصل التاسع والسبعون غَزْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِبَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ

مِنْ بَنِي غَطَفَانَ بِذَاتِ الرِّقَاعِ ٣٢٢
سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ إِلَى هَوَازِنَ بِتَرَبَةَ فَوْقَ الطَّائِفِ ٣٢٤
سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى بَنِي كَلْبٍ مِنْ فَزَارَةَ بِنَاحِيَةِ ضَرِيَّةَ جِهَةِ نَجْدٍ ... ٣٢٤
الفَصْلُ الثَّمَانُونَ سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ الأَنْصَارِي إِلَى مُرَّةَ بِنَاحِيَةِ فَدَكٍ ٣٢٥
سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ اللَّيْثِي إِلَى أَهْلِ المَيْفَعَةِ جِهَةَ نَجْدٍ ٣٢٦
سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى بَنِي غَطَفَانَ وَحَيَّانَ وَيُمْنِ قُرْبَ خَيْبَرَ ٣٢٧
الفَصْلُ الحَادِي وَالثَّمَانُونَ عُمْرَةُ القَضَاءِ ٣٢٨
حَوَادِثُ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ الفَصْلُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ ٣٣١
سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيّ إِلَى بَنِي المُلَوَّحِ بِالْكَدِيدِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ ٣٣٢
سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيّ إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكٍ ٣٣٢
سَرِيَّةُ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ الأَسَدِي إِلَى بَنِي عَامِرٍ ٣٣٣
سَرِيَّةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ الغِفَارِيّ إِلَى ذَاتِ أَطْلاحٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ٣٣٣
الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الغَسَّانِيِّينَ الَّذِينَ قَتَلُوا رَسُولَ النَّبِيِّ أَمِيرِ بُصْرَى ٣٣٤
الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ سَرِيَّةُ ذَاتِ السَّلاسِلِ وَرَاء وَادِي القُرَى ٣٣٧
سَرِيَّةُ الخَبَطِ أَوْ سَيْفِ البَحْرِ ٣٣٩
فَتْحُ مَكَّةَ ٣٣٩
الفَصْلُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ قُوَّةُ الإِسْلامِ بِإِسْلامِ قُرَيْشٍ وَحِكْمَةُ تَأْخُرِ إِسْلامِ أَكْثَرِهِمْ ٣٤٤
الفصل السابع والثمانون غَزْوَةُ حُنَيْنٍ ٣٤٧
الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ قِسْمَةُ الغَنَائِمِ وَحِصَارُ الطَّائِفِ وَعُمْرَةُ الجِعْرَانَةِ ... ٣٥٠
الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ حَوَادِثُ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ ٣٥٣
السَّرَايَا وَالغَزَوَاتِ ٣٥٤
سَرِيَّةِ عَلْقَمَةَ بْنِ المُدْلِجِي إِلَى سَاحِلِ جُدَّةَ لِطَرْدِ الحَبَشَةِ ٣٥٥
الفَصْلُ التسعُونَ سَرِيَّةُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِهَدْمِ صَنَمِ طَيءٍ بِاليَمَنِ ٣٥٦
الفَصْلُ الحَادِي والتِّسْعُونَ غَزْوَةُ تَبُوكَ وَحَجُّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ ٣٥٩

الفَصْلُ الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ الوُفُودُ إِلَى المَدِينَةِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ ٣٦٣
الفصل الثالث والتسعون وَفْدُ بَنِي عَامِرِ مِنْ نَجْدٍ مُضْمِرِينَ الغَدْرَ ٣٦٦
وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ مِنْ جِهَةِ البَحْرَيْنِ ٣٦٨
وَفْدُ نَجْرَانَ ٣٦٨
الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَفْدُ كِنْدَةَ مِنْ جِهَةِ اليَمَنِ ٣٦٩
وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ وَقَضِيَّةُ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ ٣٧١
الفَصْلُ الخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ إِلَى نَجْرَانَ مِنْ أَرضِ اليَمَنِ ٣٧٣
سَرِيَّةُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَنِي مُذْحِجٍ بِاليَمَنِ ٣٧٤
الفَصْلُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ حجَّةُ الوَدَاعِ وغديرُ خُمّ ٣٧٦
الفَصْلُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ أَخْلاَقُهِ ﷺ وَسَجَايَاهُ ٣٧٩
الفَصْلُ الثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ صِدْقُ لَهْجَتِهِ وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ ٣٨٢
الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ وَفَاؤُهُ بِعَهْدِهِ وَبِرِّهِ فِي وَعْدِهِ ٣٨٥
الفَصْلُ المَائَةُ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ وَعُذُوبَةُ بَيَانِهِ ٣٨٧
الفَصْلُ الوَاحِدُ بَعْدَ المَائَةُ ثَبَاتِ جَنَانِهِ وَبَسْطُ بَنَانِهِ وَسِعَةِ صَدْرِهِ ٣٨٩
الفَصْلُ الثَّانِي بَعْدَ المَائَةِ وَفُورُ عِلْمِهِ وعَدَالَةُ حُكْمِهِ وَدِقَّةُ نَظَرِهِ فِي سِيَاسَةِ قَوْمِهِ ٣٩٢
الفَصْلُ الثَّالِثُ بَعْدَ المَائَةُ كَمَالُ حَيَاتِهِ وَتَوَاضُعِهِ وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ .. ٣٩٥
الفَصْلُ الرَّابِعُ بَعْدَ المَائَة شِدَّةُ قَنَاعَتِهِ وَزُهْدِهِ وَكَثْرَةُ عِبَادَتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَرَحْمَةُ قَلْبِهِ ٣٩٨
الفَصْلُ الخَامِسُ بَعْدَ المَائَة خَبَرُ الوَفَاةِ ٤٠٢
الفَصْلُ السَّادِسُ بَعْدَ المَائَة يَوْمُ الوَفَاةِ ٤٠٦
فهرس المحتويات ٤٠٩